

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 01/PG/D/IMD/HIS/18

عنوان الأطروحة:

الحرف والصنائع في المغربين الأوسط والأقصى من (ق6هـ - ق9هـ)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD في التاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ الدكتور: لخضر بن بوزيد

إلياس هبال : مساعد المشرف : مبروك بن مسعود

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
مسعود كربوع	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	رئيسا
لخضر بن بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
مبروك بن مسعود	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا مساعدا
علي زيان	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا
محمد عيساوة	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	مناقشا
خالد شارف	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ / 2023-2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: 01/PG/D/IMD/HIS/18

عنوان الأطروحة:

الحرف والصناعات في المغربين الأوسط والأقصى من (ق6هـ - ق9هـ)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD في التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور:

لخضر بن بوزيد

إعداد الطالب:

إلياس هبال

مساعد المشرف : مبروك بن مسعود

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
مسعود كربوع	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	رئيسا
لخضر بن بوزيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
مبروك بن مسعود	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مشرفا مساعدا
علي زيان	أستاذ محاضر أ	جامعة بسكرة	مناقشا
محمد عيساوة	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	مناقشا
خالد شارف	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأغواط	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ / 2023-2024م

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى الوالدين الكريمين

إلى أهلي وأصدقائي

إلى أساتذتي وكل من علموني

إلى المستضعفين في كل مكان

شكر و عرفان

الحمد والشكر لله الذي من علي باتمام هذا البحث

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور لخضر بن بوزيد

الذي تكرم بالإشراف على الرسالة وأفادني بتوجيهاته كثيرا، وصبر علي طيلة سنوات

البحث .

والشكر موصول إلى كل أساتذة قسم التاريخ بجامعة بسكرة، خاصة أساتذة

تخصص التاريخ الوسيط، وإلى كل الطواقم الإدارية بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية .

مقدمة

مقدمة :

يمثل التراث الحرفي والصناعي أحد روافد الهوية الحضارية لأي مجتمع من المجتمعات، يعكس بشكل أو بآخر مستوى التطور والتمدن الذي يحدث بالدول والأقطار، وهو يختلف من مكان لآخر باختلاف الذهنيات والظروف والوسائل المتاحة .

وتعد بلاد المغرب أحد هاته الأقطار المقصودة وهي تمثل محطة هامة من محطات الحضارة الاسلامية المشعة، حيث تمتعت بإرث حضاري متنوع شمل مجالات عدة من بينها مجال الحرف والصنائع وهو المجال الذي شهد على جهودات أجيال متتالية من أهلها وعلى قدراتهم الإنتاجية وخدماتهم المتنوعة .

والخوض في هكذا مواضيع يواكب الطفرة التي تشهدها الدراسات التاريخية في الحقول الاقتصادية والاجتماعية في العقود الأخيرة والتي مهدت الطريق لمن أراد خوض غمار البحث في جزئياتها، وذلك تجاوزا للنظرة التقليدية التي تحوم حول السلطان والنخب الحاكمة، وكسرا للطابع الرسمي الذي جسده النصوص السلطانية، وبالتالي التركيز على جهودات الفئات الشعبية التي أدت دورا طلائعيا في الحركة التاريخية .

ووفق هذا التصور يكون موضوع دراستنا تحت عنوان **الحرف والصنائع في المغربين الأوسط والأقصى من ق 6 الى ق 9 هـ / ق 12 إلى ق 15 م** وهو موضوع يبدو للعيان أنه ذو بعد اقتصادي فقط لكنه في الحقيقة يشمل جميع الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية، حيث يسלט الضوء على الدور الحضاري الذي لعبه الحرفيون والصناع في المغربين ويرصد ويحصى كما معتبرا من الصنائع التي ظهرت آنذاك ومدى تفاعلها مع المجال والظروف المحيطة بها، وقد اخترنا الفترة المذكورة ما بين القرنين السادس والتاسع هجري كفضاء زمني لنبحر فيه مدا وجزرا وهو خيار حدد بعناية ذلك أن القرن السادس وإن شمل نهاية حكم كل من المرابطين والحماديين لكنه شهد حكم الموحيدين الذي يمثل مرحلة الذروة والقوة التي مست مختلف الميادين، وأثرنا تتبع ذلك إلى عهد الدول التي ورثت ممتلكات الموحيدين كبنو مرين وبني زيان وصولا إلى القرن التاسع الذي يمثل المرحلة الأخيرة من العصر الوسيط .

وتظهر أهمية الموضوع في أنه يغطي أحد الجوانب الحضارية بالمنطقة وذلك من أجل المحافظة على الهوية الحضارية وموروثنا الثقافي، وباعتبار أن الحرف والصنائع يمثلان أحد أعمدة الاقتصاد في دويلات المغربين فهما

يشهدان على أسلوب حياة الشعوب ونمط معيشتها وكذا مهاراتهم وأذواقهم، فضلا على كل هذا أن الموضوع يحاكي التوجه الجديد والتميز في الكتابة التاريخية في الآونة الأخيرة .

من بين الأسباب والدوافع التي كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع والبحث فيه : الرغبة في إثبات مكانة الصنائع في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية في فترة الدراسة، علاوة على هذا أن الدراسات الاقتصادية والاجتماعية مازالت قليلة نسبيا إذا ما قورنت بالمجالات الأخرى، أضف إلى ذلك محاولة رد الاعتبار للفئات الإنتاجية المهمشة وإنصافها، كما أن استحضار حركية الماضي يمثل فرصة لاستنهاض الهمم والحث على العمل والبناء خاصة في ظل الغزو الثقافي الغربي.

وقد اعتمدت في هذا البحث على دراسات شكلت بالنسبة لنا أرضية مناسبة للمضي في هذا البحث .
نوردها كالتالي :

. دراسة هناء مُجَّد عبد الحميد الفقي المعنونة بتاريخ الصناعة في المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين وهي في الأصل عبارة عن رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب جامعة طنطا تم نشرها في دار العلم والإيمان ودار الجديد سنة 2018، وهي دراسة هامة جدا وإن كانت مقتصرة على فترة قصيرة وهي فترة حكم المرابطين والموحدين ومجالها الجغرافي واسع جدا يضم بلاد المغرب والأندلس .

. دراسة لخضر بلعربي الموسومة بالحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني (633 – 962هـ) وهي رسالة ماجستير جامعة معسكر، 2011، تعالج بدقة وضعية الحرف بأنواعها و أصنافها وما يؤثر فيها في نطاق جغرافي محدد وهو مدينة تلمسان .

. دراسة عبد اللطيف الخلابي الحرف والصنائع و أدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669 – 960هـ / 1270 – 1550م) نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، وهو بحث مستفيض خصص لمدينة فاس أيام بني مرين ضم أهم الحرف والصنائع الموجودة بالمدينة في تلك الفترة ذاكرا وسائلا أدواتها وتقنياتها وكذا أماكن تواجدها وانتشارها، وقد قسمها بناءا على معايير فكرية وحسب الأهمية وموقعها من السلطة وحسب نوع الإنتاج .

. دراسة رشيد خالدي الحرف والصنائع بمدينتي تلمسان وفاس من القرن 7هـ إلى القرن 10هـ / 13 – 16م مقارنة تحليلية، وهي أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي جامعة تلمسان 2022/2021م عنيت

بتتبع أحوال الحرف والصنائع في قاعدتي بني زيان وبني مرين (تلمسان - فاس) وأدوارهم الاقتصادية والاجتماعية والعمرائية مع المقارنة بينهما من ناحية مدى التطور والوسائل والتقنيات متبعا في ذلك نفس طريقة عبد اللطيف الخلابي في دراسته من ناحية بناء الموضوع وتقسيمه.

يقوم الموضوع على إشكالية مركزية تشمل تحديد صورة الحرف والصنائع وواقعها في المغربين الأوسط والأقصى في الفترة المذكورة من خلال مستوى النشاط والوسائل والآليات المعتمدة وكذا المناخ المحيط بها بين التأثير والتأثر . فإلى أي مدى ازدهر النشاط الحرفي والصناعي في المغربين ما بين القرنين 6 و9 هـ ؟ وتتفرع عن الإشكالية جملة من التساؤلات التي تحيط بالدراسة وهي :

- كيف انعكست الظروف والأحوال العامة على الإنتاج الحرفي والصناعي؟
- ما هي أبرز الحرف والصنائع التي شهدت حضورا بارزا في المغربين؟
- فيم تتمثل الوسائل والتقنيات المستعملة في العمل الصناعي والحرفي؟
- ما مدى إسهام الحرفيين والصناع في مختلف الميادين ؟
- فيما تجلت مجهودات السلطة التنظيمية والرقابية على الحرف والصنائع؟

ولدراسة هذا الموضوع قمت باتباع منهج تاريخي يقوم على الوصف والتحليل وذلك بالعودة إلى المادة التاريخية المتفرقة في بطون المظان التاريخية بمختلف أصنافها واستنباط منها ما يخدم الموضوع وتوظيفه في المكان المناسب، وتقديم معطيات وصفية حول وضعية هاته الحرف في فترة الدراسة من حيث الكم و النوعية والوسائل والتقنيات والظروف العامة، مع تحليلها والتعليق عليها .

بما أن الصعوبات لا تفارق أي عمل أكاديمي فقد واجهتني مجموعة من الصعاب طيلة أطوار إنجاز البحث أبرزها طول الفضاء الزمني وما حدث فيه من تقلبات سياسية مما سبب صعوبة في الربط بين العصور، إضافة إلى غياب المعطيات الرقمية في النصوص الوسيطة والاعتماد على الأوصاف بالدرجة الأولى، وأيضا التفاوت الحاصل بين مدن المغربين من ناحية الوزن السياسي والاقتصادي والعمرائي مما يعيق كثيرا عملية التحليل والمقارنة بينهم، كذلك التهميش الذي طال فئة الحرفيين والصناع من طرف المصادر التاريخية وغيرها مما منعي من اقتحام جوانب عدة تمس أوضاع هاته الفئة . أما الصعاب الخارجية فتمثلت في تعسر الحصول

على بعض المراجع خاصة في الفترة الاستثنائية التي مر بها العالم خلال جائحة كورونا، بالإضافة الى صعوبة التنقل خارج البلد لأسباب مختلفة .

للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها تم بناء الموضوع على خطة تتكون من مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة .

خصص المدخل للمفاهيم والنظريات التي تخص هذا المجال، وكذلك حدود الدراسة من الناحيتين الجغرافية والسياسية حيث تناول تعريف الحرفة وتعريف الصناعة والفرق بينهما، وموقع هذين المفهومين في ميزان المفكرين المسلمين، الإطار الجغرافي، الإطار السياسي.

وتضمن **الفصل الأول** العوامل المؤثرة في الإنتاج الحرفي والصناعي، تناولنا فيه جملة المقومات والظروف المساعدة وأيضا المعوقات والمؤثرات السلبية، تمثلت العوامل الطبيعية في الثروة المائية ووفرة المواد الأولية من معادن وغطاء نباتي وثروة حيوانية بالإضافة الى الآثار السلبية ممثلة في الجوائح الطبيعية، ثم تطرقنا إلى العوامل البشرية وشملت تنوع التركيبة السكانية، الحروب، وأخيرا السياسة الضريبية .

أما **الفصل الثاني** فقد حاولنا من خلاله التعرف على الحرف والصنائع ذات الأصلين النباتي والحيواني والتي تشمل الصنائع الغذائية والنسيجية والخشبية وحرف أخرى متفرقة .

في حين جاء **الفصل الثالث** ليسلط الضوء على الحرف والصنائع المعدنية والترايبية والصخرية تحدثنا فيه عن تصنيع النقود والعملات، صناعة الحلي، حرفة الحدادة والصفارة أما الشطر الثاني فكان عن الفخار والخزف، الجص والرخام ، الزليج، الزجاج .

وبالنسبة **للفصل الرابع** فتطرق إلى تنظيم الحرف والصنائع من خلال مؤسسة الحسبة، كما تناول أدوار المجال الحرفي والصناعي على مختلف الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية .

وفي نهاية البحث ضمت **الخاتمة** جملة النتائج التي تمخضت عن البحث وبعض الإجابات عن التساؤلات المطروحة .

وبالنسبة للأهداف المحددة من الدراسة فإننا نسعى إلى :

- إنجاز دراسة أنثروبولوجية وافية، ورفد المكتبة التاريخية بهذا نوع من البحوث .
- محاولة اكتشاف الواقع الحرفي والصناعي في تلك الفترة وتتبع مسيرته وانعطافاته .
- تسجيل مآثر ساكنة المغريين وأنجازاتهم الصناعية .
- الوقوف على المستوى الحضاري بمدن المغريين في ذلك العصر.
- التأريخ لطبقة العامة والفئات الإنتاجية المهمشة والكشف عن إبداعاتهم المختلفة .

ارتكز البحث على مجموعة من المصادر والمراجع ذات الفنون والمضامين والأصناف المتنوعة مرتبة على الشكل التالي :

كتب الرحلات والجغرافيا :

هي مصادر استثنائية تحوي معلومات غزيرة ومتنوعة تخص الموارد المتنوعة التي حظيت بها المنطقة وأنواع الصنائع التي اقتصت بها من خلال أوصاف هؤلاء الرحالة والجغرافيين الحية، لذا شكلت أساس هاته الدراسة ومن بين الكتب التي رافقتنا في هذا المجال:

. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي أبو عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الحسني (ت646هـ/1248م) يعد موسوعة جغرافية شاملة قدم فيها معلومات وافية عن المغريين الأوسط والأقصى فيما يخص توزيع المواد الأولية واختصاص كل منطقة بإنتاج معين زراعيًا كان أو صناعيًا، لذا رافقتنا في كل فصول الدراسة تقريبًا .

. الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول (ت ق6هـ/ 12م) وهو كتاب جد مهم في تتبع أخبار وعجائب أقطار عديدة مثل الحجاز ومصر وبلاد المغرب، وبخصوص هذه الأخيرة فمعلوماته عنها كانت أكثر دقة بحكم أنه مغربي الموطن لذا كان محيطًا بأخبارها، استفدنا منه في الفصلين الأول والثاني من الدراسة من خلال المعطيات التي قدمها حول الثروات الزراعية والمعدنية الموجودة بكل منطقة وكذا إنتاجها الصناعي .

. وصف إفريقيا للحسن الوزان (ليو الإفريقي) (ت957هـ/1552م) وهو من المؤلفات المتأخرة لكنه في منتهى الأهمية حيث يحوي معطيات مفيدة وبتفاصيل دقيقة عن المغريين خاصة المغرب الأقصى، يستعرض

أوصاف الشوارع والأحياء ذات الدكاكين والأنشطة المتنوعة بها خاصة مدينة فاس التي أطنب في وصفها، وقد ارتكزنا عليه في تتبع جغرافية المواد الأولية وكذا في توزيع الصنائع عبر فضاء المغربين كل مدينة على حدا وبالتالي كان حاضرا معنا في جل أطوار الدراسة كونه يغطي أواخر الفترة الوسيط .

الكتب التطبيقية للصنائع :

وهي المصنفات التي تخصصت في الحديث عن حرفة بذاتها، ما يميزها أن مؤلفيها كانوا من يجتفون هاته الصنائع أو أشرفوا عنها أو كانوا قريبين منها وبالتالي نقلوا لنا خبراتهم وتجاربهم ومعارفهم حولها . ومن أهم هاته الكتب :

. الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم (ق 8هـ/14م) وهو كتاب متفرد في مجاله فهو الوحيد في الغرب الإسلامي الذي خصص حول عملية سك العملة وتقنياتها وشؤونها، تظهر أهميته في أن المؤلف أشرف على هاته الحرفة بنفسه حيث أنه تولى أمانة دار سكة فاس في العصر المريني مثلما تولى جده نفس المنصب من قبل، وبالتالي فهو خبير بالمعادن وخطوات العمل من الجانبين العلمي والعملية، وهكذا أطلعنا الكتاب على نظام الضرب في المغرب الإسلامي ليس فقط في القرن الثامن بل في الفترة الوسيطة ككل وأفادنا حول الأساليب والتقنيات الصناعية المتبعة بدور السك في ذلك الوقت وكذا طريقة الإشراف عليها من الناحية الإدارية .

. كتاب التسيير في صناعة التسفير من تأليف الاشيلي بكر بن ابراهيم بن المجاهد اللخمي (ت 628هـ/1230م) تتجلى أهمية الكتاب في أن مؤلفه يعد أشهر المجلدين في العصر الوسيط والذي جمع تجربته وقصته مع هاته الحرفة في هذا المؤلف شرح فيه بالتفصيل طريقة التجليد (التسفير) والتقنيات المتبعة في ذلك والأدوات المستعملة، لذا يعد مصدرا مفصليا للباحثين في هذا المجال وقد كان حاضرا معنا في الفصل الثاني عند التطرق لحرفة التجليد .

. كتاب فضالة الخوان في طبيبات الطعام والألوان لابن رزين التجيبي أبو الحسن علي بن محمد (ق 7هـ/13م) يحتوي على مجموعة من الوصفات حول الأطعمة والأشربة المستهلكة في عصره بالإضافة إلى ذكره الأواني المستعملة في الطهي بأنواعها وأشكالها المختلفة، لذا استفدنا منه في العنصر الخاص بصناعة الحلويات وأيضا عند استعراض نماذج عن الأواني في الفصلين الثاني والثالث .

كتب الخطط :

وهو نوع من التصانيف اختص بدراسة المدن وطابعها العمراني مبرزا ما تحويه من مرافق وبنيات ومصانع ومؤسسات وأيضا أوصاف الدروب والأسواق وما شهدته المدن من حوادث مختلفة . نذكر من بينها:

. كتاب جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي (ت ق 7هـ/13م) يؤرخ الكتاب لمدينة فاس منذ تأسيسها إلى غاية عهد الخليفة الموحدى مُحَمَّد الناصر استعرض فيه عمراتها ومرافقها وتجهيزاتها وإضافات السلاطين والخلفاء عليها . وقد ساعدنا كثيرا في الوقوف على حالة الصناعة بفاس أيام الموحدين خاصة في عهدي كل من المنصور والناصر من خلال المعطيات الإحصائية التي قدمها حول الدكاكين والأرحية ودور السك والأفران ودور الدباغة والصباغة والنسيج ...

. اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار للأنصاري السبتي مُحَمَّد بن القاسم (ق 9هـ/15م) قدم لنا صورة واضحة عن المدينة وعمراتها ومصانعها ومؤسساتها، تظهر قيمة الكتاب في أن مؤلفه من ساكنة سبتة ومصدر معلوماته مبنية على الملاحظة والمشاهدات اليومية، لذا رافقنا في جل الدراسة .

كتب الحسبة :

وهي المؤلفات العملية لوظيفة الحسبة التي تمثل ذلك الجهاز الرقابي والتنظيمي للمجال الحرفي والصناعي، تكمن أهميتها في المعطيات القيمة التي تقدمها والتي تخص أحوال الأسواق وأنواع السلع والمنتجات الصناعية وضروب الغشومن أشهر هاته المؤلفات :

. ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب وهي عبارة عن ثلاث مصنفات جمعها ليفي برونفسال في كتاب واحد، آداب الحسبة والمحتسب لابن عبد الرؤوف، رسالة في القضاء والحسبة لابن عبدون، ورسالة في الحسبة للجرسيفي، تكتسب هاته الرسائل أهمية خاصة لما تحويه من نصوص تتعلق بالأسواق وتنظيماتها وشكل الصنائع وأحوالها، ومع أنها أندلسية التأليف لكنها تقدم صورة عن وضع الصنائع في الفترة الوسيطة ككل، كما أنها تعد مراجع معتمدة لمحتسبة المغرب الاسلامي، أما أوجه استفادتنا من هذا النوع من الكتب عموما فهي التعرف على الشروط الواجبة على بعض الحرف والصنائع وكذا معرفة بعض الوسائل المستعملة في عدد

من الصنائع في ذلك العصر بالإضافة إلى التعرف على ضروب الغش والتدليس التي استعملها بعض الحرفيون والصناع .

كتب النوازل :

نوع من المصنفات الفقهية تحوي كما كبيرا من المسائل الواقعية تمثل خزانة علميا ومعرفيا للباحثين في الدراسات التاريخية خاصة في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي لما تضمنته من تفاصيل دقيقة حول المجتمع، الأسواق، الصنائع، التجارة، العملات، المعادن، المكايل والأوزان.... ولعل أبرز هاته الكتب وأشملها :

. كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب من تصنيف الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ / 1509م) وهو مدون ضخمة يضم عددا من الفتاوى الشرعية لعدد من فقهاء المغرب والأندلس المتقدمين والمتأخرين، تكمن أهميته أنه يسلط الضوء على واقع الحياة اليومية في بلاد المغرب ويؤرخ لمختلف الحوادث التي عاشها أهله مما جعله يضم معلومات قيمة جدا تتعلق بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والدينية لذا لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة هاته الجوانب .

الكتب الفكرية :

وهي التي تطرح نظريات ورؤى فلسفية في مجالات معينة وتطرق قضايا تخص الواقع الذي تعيشه الأمم والمجتمعات الانسانية. خير من مثل هذا النوع من المؤلفات في الغرب الاسلامي :

. المقدمة لعبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي (ت 808هـ/1406م) وهي الجزء الأول من كتاب العبر إلا أن شهرتها طغت عليه بسبب العبقرية التي أبانها الرجل فيها والتي أصل فيها لعلم جديد سماه علم العمران البشري والاجتماع الانساني، قدم تصورا مختلفا حول الحرف والصنائع ومدى ارتباطها بالعمران والتمدن كما وقف على ماهية كل صنعة من الصنائع التي أوردها حسب العصر الذي عاش فيه لذا كان حاضرا معنا عند استعراض النظريات المختلفة حول الصنائع وأيضا عند تعريف كل حرفة من الحرف التي ذكرناها في الفصلين الثاني والثالث .

كتب التاريخ العام :

وهي التي تعنى بتتبع الأحداث السياسية والعسكرية وأخبار الحكام مما يجعلها مفيدة في الوقوف على تأثيرات هاته الأحداث على المجال الصناعي وإنجازات الحكام المختلفة في المجال ذاته، واعتمدنا من بينها على:

. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م) تكمن أهميته في أن مؤلفه اعتمد على مصادر مفقودة، اعتمدنا على الجزء المخصص للموحدين والذي حققه مجموعة من الباحثين، قدم لنا أخبار ومعلومات كثيرة تخص دولة الموحدين والأحداث التي شهدتها .

. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي بن عبد الله (ت749هـ/1347م) يتناول تاريخ المغرب الأقصى ككل وتاريخ مدينة فاس بشكل خاص بداية من تأسيسها على يد الأدارسة إلى سنة 726هـ أي في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان، وقد دعمنا دراستنا بإشاراته حول الجوائح الطبيعية التي أرخ لما وأيضا الأخبار السياسية والاقتصادية التي ذكرها وكذا أحوال مدينة فاس ومرافقها وصنائعها أيام الموحدين وما بعدهم .

. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م)، وهو مدون ضخمة يتناول تاريخ البشرية عموما منذ أصل الخليقة إلى القرن الثامن هجري، استفدنا من الجزئين السادس والسابع في التعرف على بعض القبائل البربرية ومضاربها، وفي تتبع أخبار وإنجازات دول المغربين دولة الموحدين ودولتنا بني زيان وبني مرين .

المراجع :

. كتاب تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى لعثمان عثمان إسماعيل مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1993، يقع في خمس أجزاء يسلط الضوء فيها على المنجزات المعمارية والفنية بالمغرب الأقصى من عهد الأدارسة حتى أيام العلويين، لذا استفدنا منه في الفصلين الثالث والرابع من الدراسة أين أشرنا إلى الحرف الخاصة بالجانب المعماري .

. كتاب اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط لمحمود هدية، منشورات هنداي 2017، يتكلم عن حضور النسيج في الغرب الإسلامي بداية من زراعته ومراحل صناعته وصولاً إلى تجارته، اعتمدنا عليه في الفصل الثاني عند تتبع خطوات صناعة النسيج .

. كتاب النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين لصابر عبد المنعم مُجَّد علي البلتاجي تناول فيه السياسة المالية للموحدين من خلال الوظائف والموارد والنفقات والمعاملات، كان حاضراً في دراستنا في الفصلين الأول والثالث عند التطرق إلى السياسة الضريبية للدول والحديث عن العملات في المغربين .

. كتاب ورقات عن حضارة المرينيين من تأليف مُجَّد المنوي منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، مطبعة النجاح، 2000م، هو كتاب قيم يتناول مختلف الإنجازات الحضارية للدولة المرينية التي مست الجوانب الإدارية والعمرائية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، لذا سجل حضوره في عناصر متفرقة من هذا البحث .

. رسالة دكتوراه تطور صناعتي الجص والرخام في المغرب الإسلامي من القرن الخامس هجري إلى نهاية القرن التاسع دراسة تاريخية أثرية مقارنة إعداد عبد الرحيم جديد، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2017/2018، تختص هذه الرسالة بدراسة الجوانب الفنية لصناعة الرخام والجص وفق نماذج من المغرب الإسلامي، يكمن وجه الاستفادة منها في الفصل الثالث من دراستنا عند معالجة العناصر الخاصة بمهاتين الصنعتين .

مدخل :

أولا : مفاهيم

- ❖ تعريف الحرفة
- ❖ تعريف الصناعة
- ❖ الحرف والصنائع في التراث الفكري الاسلامي

ثانيا : حدود الدراسة

- ❖ الإطار الجغرافي
- ❖ الإطار السياسي

شكلت الصناعات والحرف أهمية بارزة في المنظومة الاقتصادية في المغربين الأوسط والأقصى، وقبل أن نخوض في تفاصيلها ونسبر أغوارها يلزم أن نقف على ماهيتها ونتعرف على مفهومها ونتطرق إلى موقعها في الأدبيات الفلسفية والفكرية الإسلامية التي أدلت فيها بقسط من التنظير .

أولاً: مفاهيم

أ/ تعريف الحرفة

1/ لغة :

الحرفة اسم من الاحتراف وهو الاكتساب، يقال حرف ويحرف لعياله ويحترف بمعنى يكتسب من هاهنا وهاهنا¹. وأحرف استغنى بعد فقر، وأحرف الرجل إذا كد على عياله²، فهو محرف أي نما ماله وصلح³. والمحترف الصانع، فلان حريفي أي معاملي⁴، حرفة الرجل صنعته⁵، فيقولون صنعة فلان و حرفة فلان أي يعمل ويفعل كذا لأنه ينحرف إليها⁶. وقد روي عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- أنه قال: "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : هل له حرفة ؟ فإذا قالوا لا سقط من عيني"⁷.

والاحتراف هو الاكتساب أيا كان⁸، ويكون بصفة منتظمة ومستمرة عكس الهواية⁹، وحريف الرجل معاملة في حرفته¹⁰، والحرفي من يكسب رزقه بالعمل في حرفة ما بصورة منتظمة¹¹.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج 9، دار صادر، بيروت، د.ت. ص 43؛ الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: محمد علي نجار، عبدالله درويش، ج 5، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 16؛ الزبيدي، تاج العروس، تح: عبد الفتاح الحلو، ج 23، مطبعة حكومة الكويت، 1984. ص 132.

² ابن منظور، المصدر السابق، ص 44؛ الأزهرى، المصدر السابق، ص 16.

³ الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات البشرية، تح: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص 775.

⁴ الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 1343.

⁵ ابن منظور، المصدر سابق، ص 43.

⁶ الزبيدي، المصدر سابق، ص 133.

⁷ نفسه، ص 133؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مكتبة النهضة، بغداد، 1976، ص 505.

⁸ ابن منظور، المصدر السابق، ص 44.

⁹ إقبال زكي سليمان وآخرون، المعجم الكبير، مطابع يوزر يوسف، القاهرة، 2000، ص 253.

¹⁰ ابن منظور، المصدر السابق، ص 44.

¹¹ مصطفى ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004. ص 167.

وقد تعني كلمة حرفة عكس المعنى السابق حيث يقال رجل محارف محروم منقوص الحظ لا ينمو له مال وحرف فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه¹.
وعلى هذا الأساس تعد الحرفة من ألفاظ الأضداد تدل في مواضع على الكسب والغنى وتدل في أخرى على الحرمان والفقير².

2/ اصطلاحا :

الحرفة هي مصدر الرزق ووسيلة المعاش حيث تطلق على كل ما اشتغل به الانسان ولازمه من أي أمر كان³.

وبتعبير آخر : هي عمل يمارسه الانسان إما لمصلحته أو لدى الآخرين بحيث لا يحتاج إلى تدريب طويل المدى، وإنما تكتسب بمجرد النظر أو التدريب القصير⁴.

ب/ تعريف الصناعة :

1/ لغة :

الصناعة حرفة الصانع و عمله الصنعة⁵، وهي مأخوذة من فعل صَنَعَ. صَنَعَ الشيء يصنعه صُنِعَ وصُنِعَ فهو مصنوع وصنيع⁶. والصناعة كما يقول ابن سيده ما تستصنع من أمر وقد صنعته فهو صناعتي أي اتخذته صناعة⁷.

والصُنَاع الذين يعملون بأيديهم، مفردها صانع⁸، والصانع عامل الشيء والصناعة حرفته⁹. يقال رجل صَنَع و صُنِع وصنيع اليدين أي حاذق وماهر في الصنعة، وامرأة صناع اليدين أي حاذقة ماهرة

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ص43؛ الخزاعي، المصدر السابق، ص776.

² نفسه، ص776.

³ الزبيدي، المصدر السابق، ج23، ص133.

⁴ محمد عبد الغني المصري، أخلاقيات المهنة، مكتبة الرسالة الحديثة، مصر، 1986، ص50.

⁵ الجوهري، المصدر السابق، ج3، ص1246؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج21، ص363.

⁶ الخزاعي، المصدر سابق، ص776؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص208؛ الزبيدي، المصدر سابق، ج21، ص363.

⁷ ابن سيده، المخصص، سفر12، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص257.

⁸ الأزهري، المصدر السابق، ج2، ص38؛ ابن سيده، المصدر السابق، س12، ص257.

⁹ الخزاعي، المصدر السابق، ص776.

بعمل اليدين¹، وامرأتان صناعتان ونسوة صنّعت²، واصطنع فلان عنده صنّعة³، واستصنع الشيء دعا إلى صنعه، والصنعة ما تنتج من عمل الصانع⁴، وقد تطلق على جودة المصنوع حيث يقال الثوب الصنيع الجيد النقي والسيف الصنيع الصقيل⁵.

ب/ اصطلاحا :

يعرفها الجرجاني بقوله: "هي ملكة نفسانية يصدر عنها الأفعال الاختيارية من غير روية، وقيل هي العلم المتعلق بكيفية العمل"⁶.

ويعرفها المعجم الوسيط تعريفاً أبسط فيقول "هي كل علم أوفن مارسه الانسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له"⁷، أو هي عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنّعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع، أو في صفتها، حيث يسمى المصنوع باسم غير اسم مادته⁸.

3/ الفرق بين الحرفة والصناعة

يجد الباحث صعوبة في تحديد الفرق بين الحرفة والصناعة نظرا للتداخل بين المصطلحين، ومن خلال التعريفات السابقة يبدو أن مفهوم الحرفة أوسع من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الانسان من أجل الكسب ويشمل ذلك حتى التجارة والزراعة والدلالة وتعليم العلوم والطبابة والطبخ، وكثير من هذه الأعمال لا يطلق عليه اسم صناعة⁹.
وبالنسبة للصناعة فهي عملية تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها وهذا يتطلب استغلال

¹ الزبيدي، المصدر السابق، ج21، ص369 368؛ الجوهري، المصدر السابق، ج3، ص1246.

² الخزاعي، المصدر السابق، ص776.

³ الزبيدي، المصدر السابق، ج21، ص673.

⁴ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص209.

⁵ الأزهري، المصدر السابق، ج2، ص39؛ الزبيدي، المصدر السابق، ج21، ص365.

⁶ الجرجاني، معجم التعريفات، تح: مُجّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص115.

⁷ إقبال زكي وآخرون، المرجع السابق، ص525.

⁸ ظاهر خير الدين الشويري، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، مجلد19، القاهرة، 1904، ص57.

⁹ نفسه، ص57؛ جهاد غالب مصطفى الزغلول، الحرف والصناعات في الاندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف مُجّد عبده حتامله، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994، ص14.

ثروات البلاد لخدمة الصناعة وهذا الصناعات التحويلية يطلق عليها اسم الحرف الصناعية، وبهذا التعريف يمكن الربط بين المصطلحين والقول بأن الصناعة تدخل في مفهوم الحرفة¹.

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى ذلك مثل المجيلدي الذي يشير إلى أهل الحرف والصنائع وذكر منهم الدباغ والخراز والصائغ والخياط والنجار، وتحدث في موضع آخر عن الحرف وذكر منهم الخراز والحداد، كما ذكر الغزالي أهل الصناعات والحرف وكذلك السقطي أشار إلى أرباب الصنائع²، وهذه الإشارات تشعر الباحث بوجود فارق نوعا ما بين الحرفة والصناعة كما عبر عن ذلك جهاد غالب³. وقد ذكرت عائشة غطاس أنه لا فرق بينهما وأن الحرفة والصناعة مصطلحان يرمزان إلى شيء واحد⁴، ولعل ذلك يبدو من خلال التعريفات السابقة حيث يتم ذكر الصناعة عند تعريف الحرفة والعكس صحيح، وهذا ما وضحه قاموس الصناعات الشامية عند تعريفه للصناعة بقوله: الصناعة كل ما اشتغل به الإنسان ومارسه حتى صار ملكة فيه... ومن أسمائها الحرفة لأن الإنسان ينحرف إليها أي يميل⁵. فكلاهما وسيلة للكسب وتحصيل الرزق، ويعدان عنصرا من عناصر النشاط الاقتصادي، وبذلك لا يمكن أن يقوم أي مجتمع بغيرهما.

ج/ الحرف والصنائع في التراث الفكري الإسلامي :

بذل عدد من المفكرين المسلمين جهودا في محاولة التنظير لموضوع الحرف والصنائع ، فقاموا بتصنيفها وتبيان أنواعها وفق أسس منظمة، وسوف نعرض هنا نبذة عن تصنيف الصنائع عند مجموعة من هؤلاء

¹ جهاد غالب المرجع السابق، ص14؛ عبد المعطي بن مجّد، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العدد26، 2016، ص70.

² المجيلدي، التسيير في أحكام التسعير، تح: لفي بروفنسال، الجزائر، 1970، ص 83؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، دار بن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص529؛ السقطي، في آداب الحسبة، تح: لفي بروفنسال، القاهرة، 1955، ص9؛ عبد المعطي بن مجّد، المرجع السابق، ص71.

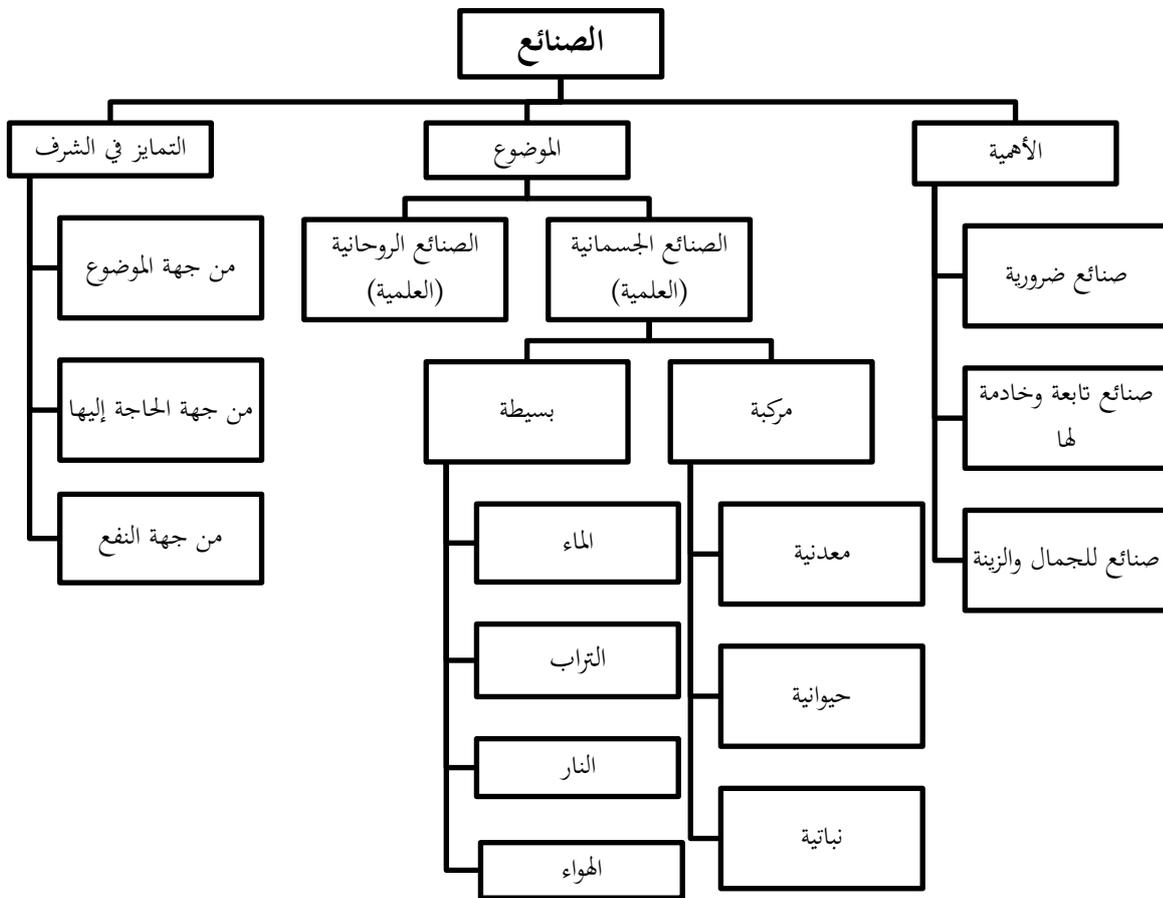
³ جهاد غالب ، المرجع السابق، ص15.

⁴ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف مولاي بلحميسي، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص147.

⁵ محمود سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، تح: ظافر القاسمي، ج1، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1988، ص13.

المفكرين، على غرار إخوان الصفا¹، وأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) والدمشقي (ت1174/570م) وابن خلدون (808هـ/1406م).

اهتم إخوان الصفا بموضوع الصنائع والصناع كثيرا وخصصوا لها فصولا عدة في رسائلهم، وأشادوا بالحرفيين والصناع وأثنوا عليهم معتبرين أن حذقهم وإتقانهم للصنائع يقربهم من الصانع الأول عز وجل، وقد قدموا وصفا تاما للصنائع وصنفوها وفق أسس متعددة ومعايير مختلفة مثل معيار الأهمية وشرف الصنعة وأساس الموضوع² مثلما هو موضح في المخطط التالي :



¹ جماعة سرية يكتنفها الكثير من الغموض، يقال انها نشأت في البصرة وانتشرت في مختلف البلدان، كانوا أصحاب مذهب فلسفي أخلاقي، كما كانوا يسترون دعوتهم السياسية ضد الخلافة العباسية، ألفوا رسائلهم التي بلغ عددها بين 51_53 رسالة والتي يرجح أنها ألقت خلال القرن الرابع هجري، تناولوا فيها كل نواحي المعرفة، من أهم افكارهم إن الشريعة دنست بالجهالات والضلالات ولا سبيل الى غسلها إلا بالفلسفة. انظر : عمر فروخ، اخوان الصفا، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، 1953، ص14-17؛ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في ق4هـ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1995، ص 114.

² نفسه، ص114.

صنائع ضرورية : كالحرثة والحياكة والبناء¹ .

صنائع تابعة لها وخادمة أو متممة ومكاملة: لها مثلاً الحياكة صناعة ضرورية لا تتم بصناعة الغزل وهذه الأخيرة لا تتم إلا بصناعة الحلج فصار كلاهما تابعاً وخادماً لصناعة الحياكة، كما تعد الخياطة والطرز متممة و مكاملة لها².

صنائع للجمال والزينة : كصناعة الديباج والحرير وصناعة العطور³.

كما قدم هؤلاء تصنيف آخر يقوم على أساس الموضوع، والصنائع على حسب هذا التصنيف نوعان :

الصنائع الروحانية : (العلمية) وتشمل الصنائع الفكرية .

الصنائع الجسمانية: (العملية) وتشمل المهن اليدوية⁴ وتصنف بدورها الى صنفين :

صنائع يكون موضوعها بسيطاً وتقوم على أربعة أركان الماء والتراب والنار والهواء، من الصنائع التي يكون الموضوع فيها الماء (كصناعة الملاحين والسقائين...) والهواء (صناعة الزمارين والنفاخين) أو الماء والتربة معا (كصناعة الفخارين والغضارين⁵ وضراي اللبن)⁶.

صنائع مركبة : وهي ثلاث أصناف :

الأجسام المعدنية : الحدادين والصفارين⁷ والرصاصين والزجاجين والصواغين .

¹ اخوان الصفا وخلان الوفا، رسائل اخوان الصفا، مكتب الاعلام الاسلامي للنشر، طهران، د ت، ص284 .

² نفسه، ص 284 .

³ نفسه، ص 285 .

⁴ اخوان الصفا وخلان الوفا، المصدر السابق، ص280؛ صباح الشخلي، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق للنشر، بغداد، 2010، ص31 .

⁵ هم الذين يشتغلون في صناعة الغضار وهو الطين اللازب الأخضر أو الذين يصنعون الغضار وهو الخزف أو الذين يصنعون الغضارة وهي القصة الكبيرة، انظر: اخوان الصفا، المصدر السابق، ص281.

⁶ اخوان الصفا وخلان الوفا، المصدر السابق، ص 280-281؛ جهاد غالب، المرجع السابق، ص16؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 114-115.

⁷ صانعي الصفر وهو النحاس الجيد الذي تصنع منه الأواني . انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص461.

الأجسام النباتية : تقوم هذه الصناعات إما على أصول النبات من الأشجار والقضبان والأوراق (النجارين ، والخواصين¹ والحصريين) أو على لحاء النبات مثل (الكتانين، صناع الكاغد) أو على ورق الأشجار والحشائش وزهر النباتات وعروقها وقشورها أو على ثمر الاشجار وحب النبات (كالدقاقين والعصارين)

الأجسام الحيوانية : سواء عامة (كالصيادين ورعاة الغنم والبقر ، وأصحاب الطيور والبيطرة) أو تقوم الصناعات على إنتاج الحيوان (كالقصابين والشوائين والطباخين والدباغين والأساكفة والخرازين)².

وقد أضافوا تصنيفا على حسب استعمال الصنائع للنار التي لا بد منها في أكثر الصنائع مثل (الحدادين ، الصفارين، الزجاجين والجرارين والقدوريين والغضارين والطباخين والشوائين والخبازين...)³.

وآخر حسب الأدوات والآلات المستعملة فيها حيث توجد بعض الصنائع لا يحتاج فيها الصانع الى آلات وهناك من يحتاج فيها الى أداة واحدة ومنهم من يحتاج الى أدواتين أو أكثر، وبطبيعة الحال تختلف أشكال هذه الأدوات وهيئاتها حسب طبيعة الصناعة، وبالتالي تختلف أفعال الصانع الذين يظهرون في صنعهم ضروبا من الأفعال والحركات⁴.

وتصنيفا على أساس شرف الصنائع وقيمة إنتاجها حيث تمتاز على بعضها من عدة وجوه من جهة مادة الصنع ومن جهة الحاجة اليها ومن جهة منفعتها على العموم⁵.

أما الدمشقي فقد صنف الصنائع إلى صنائع علمية وأخرى عملية، حيث تحتاج الأولى إلى الفكر (كالهندسة والنحو والفقہ) أما الثانية فتحتاج إلى الحركة مثل (الحياكة والفلاحة ومشط الصوف والكتان) كالمشاهدة وشيئا من التدريب أما الصنائع المركبة فتحتاج الى الحركة والفكر معا مثل الطب والكتابة والفروسية)⁶ ويضيف أيضا تصنيفا آخر يعتمد على الدرجة الاجتماعية فالصنائع حسب قوله إما شريفة

¹ الخوص هو ورق النخل والخواصين من ينسجونه أو يبيعونه. أنظر: الجوهري، الصحاح، ج3، ص1038.

² اخوان الصفا وخلان الوفا، المصدر السابق، ص281-282؛ جهاد غالب المرجع السابق، ص16؛ صباح الشبخلي، المرجع السابق ص32

³ اخوان الصفا وخلان الوفا، المصدر السابق، ص283-284.

⁴ اخوان الصفا، المصدر السابق، ص282-283.

⁵ نفسه، ص287-288؛ عبد العزيز الدوري، المرجع سابق، ص115.

⁶ الدمشقي ، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تقديم : محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999، ص54؛ صباح

الشبخلي، المرجع السابق، ص32.

ترفع أصحابها وإما قبيحة تضعهم وتحط من منزلتهم¹، كما تحدث عن الصنائع المضرة وتنقسم حسب رأيه إلى قسمين :

. صنائع مضرة بالعقول والآراء وهي التي يخالط أهلها النساء والصبيان كثيرا .

. صنائع مضرة بالأدمغة والأجسام مثل الأشياء النتنة كالسمك والغبار وصناعة الكيال ودق الكتان والأعمال الشاقة².

وبدوره قسم الغزالي الحرف والصناعات إلى مهمة وغير مهمة وهي ما يستغني لرجوعها إلى طلب النعيم والتزيين في الدنيا مثل (صناعة النقش والصبغة وتشبيد البنيان بالحص)³، كما صنفها على حسب النظرة الاجتماعية والدينية إلى صناعات مستحبة كالتجارة والخياطة والحداة والوراقة (وصناعات مكروهة كالدباغة الجزارة والكناسة والحجامة والدلالة)⁴.

ويأتي ابن خلدون ليتناول موضوع الصنائع في إطار فلسفة العمران الحضري والاجتماع الإنساني وقد أفرد لها فصولا في مقدمته الشهيرة. وحسب رأيه فإن نشوء الصنائع والحرف وتطورها يندرج ضمن عملية التقدم العمراني للمدن وازدهارها، والنشاط الصناعي عنده غالبا ما ارتبط بالفكر و المعرفة، وهكذا ربط بين تطور الصنائع وكمال العمران الحضري وكثرته⁵. وقام بتقسيم الصنائع إلى أقسام مثلما هو مبين في الجدول الآتي:

صنائع تختص بالعمران	صنائع بسيطة	النجارة، الحداة، الخياطة، الجزارة، الحياكة .
	صنائع كمالية	الغناء، الرقص، الوراقة، الصفارة، الطبخ .
	صنائع مكاملة للكمالية	/

¹ الدمشقي، المصدر السابق، ص55؛ جهاد غالب، المرجع سابق، ص18.

² الدمشقي، المصدر السابق، ص57-58؛ جهاد غالب، المرجع سابق، ص18.

³ الغزالي، المصدر السابق، ص529.

⁴ الغزالي، المصدر السابق، ص529؛ جهاد غالب، المرجع سابق، ص18.

⁵ صلاح الدين حسين خضير، ابن خلدون وآراؤه الاقتصادية في المعاش، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد1، العراق، 2009، ص52؛ نادية صباح الكبايجي، علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون، مجلة آداب الرافدين، العدد51، العراق، 200، ص13.

التوليد، الكتابة، الوراقة، الطب	صنائع شريفة	على حسب العاملين فيها
منها ما يختص بالأفكار والعلوم ومنها الصنائع الأساسية كالبناء والفلاحة والتجارة والخياطة ...	صنائع معيشية	

الصنائع البسيطة تختص بالضروريات يحتاجها المجتمع سواء كان بدائيا أو حضريا مثل (النجارة والحدادة والخياطة والجزارة والحياكة) والصنائع الكمالية التي تعد من متطلبات النعيم والثروة (كالغناء والرقص والوراقة والدهان والصفارة والطبخ)¹.

حيث يقول في هذا الصدد ((وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكماليات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجاداتها فكملت بجميع متماتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله))²، وهذا على عكس العمران البدوي الذي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط وتوجد فيه بمقدار الضرورة فقط³.

كما أشار إلى أمهات الصنائع وصنفها إلى نوعين :

صنائع ضرورية في العمران مثل الفلاحة، البناء، الخياطة، التجارة، الحياكة ...

صنائع شريفة بالموضع كالتوليد، الكتابة، الوراقة، الغناء، الطب والتي تستمد شرفها في الاتصال بالملوك ومحالطتهم، وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتهنة في الغالب⁴.

ويضيف ابن خلدون عن نظرياته في الصنائع أنها تضعف وتقل إذا ضعفت أحوال المدن وانتقص عمراتها وقل ساكنوها حيث ينقص فيها الترف ويرجع الناس إلى الضروري من أحوالهم⁵.

ولهذه التصنيفات أهمية كبرى حيث أنها تقدم صورة عن واقع تلك الحرف والصنائع ومدى ازدهارها في المجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط، كما أنها تلقي الضوء على الفكر الاقتصادي في تلك الفترة

¹ ابن خلدون، المقدمة، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص501-502؛ صباح الشبخلي، المرجع السابق، ص 33.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص503.

³ نفسه، ص502.

⁴ نفسه، 508-509.

⁵ نفسه، ص506.

والذي سبق التصنيفات الحديثة، إلا أنها اتسمت بالعمومية حيث ضمت كل المهن والأعمال التي يمارسها الانسان وهذا يختلف نوعا ما مع المفهوم التي يندرج ضمن هاته الدراسة والذي سيكون أكثر دقة وخصوصية.

ثانيا : حدود الدراسة

أ/ الإطار الجغرافي

نتتبع هنا الحدود الجغرافية لمجال المغربين الأوسط والأقصى وتطورها حسب ما ورد في المصادر الجغرافية والتاريخية :

1/ المغرب الأوسط :

هو مصطلح متأخر الظهور ظهر لأول مرة في القرن الخامس وأول من استعمله الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري (ت487هـ/1094م) وجعل مدينة تلمسان قاعدة له وبهذا يقوم تصنيفه على اعتبارات قبلية وليست سياسية ولعل عبارة "هي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر"¹ التي أوردتها تبين ذلك .

ويأتي بعده الإدريسي (ت560هـ/1164م) ليستعمل أيضا مصطلح المغرب الأوسط إلا أنه جعل قاعدته مدينة بجاية باعتبار أنها في زمنه كانت عاصمة بني حماد، كما ذكر مجموعة من المدن التي تنتمي الى مجال المغرب الأوسط كقسنطينة طبنة المسيلة القلعة مليانة وجزائر بني مزغنة وتنس وصولا الى تلمسان التي تمثل نهاية المغرب الأوسط² -حسب نظره- من الناحية الغربية، وبالتالي يكون اعتمد في طرحه على المقياس السياسي .

أما ابن خلدون فوظف المصطلح على يبدو وفقا للاعتبارات القبلية والسياسية معا حين قال " أما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن ... ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار الملكة"³ .

¹ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت، ص 76- 77 .

² الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 260، 222.

³ ابن خلدون، العبر، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 134 .

ويظهر أن المصطلح ظل مستعملا حتى في الفترات التي كان فيها المغرب الأوسط تابعا لأحد الكيانات المجاورة في افريقية أو المغرب الأقصى، فقااضي بجاية أبو العباس الغبريني (ت704هـ/1304م) أثبت استمرار حضور المصطلح حتى في أيام تبعية بجاية إلى السلطة الحفصية في وقته وذلك عند حديثه عن أحد العلماء فقال " لم يكن بوقته في مغربنا الأوسط مثله"¹، وهذا يعني أنه ظل يعتبر بجاية ضمن المغرب الأوسط وإن كانت تدين بالولاء للحفصيين، ونفس الأمر نجده عند العمري² الذي لا زال يذكر لفظ المغرب الأوسط وهو الذي عاصر غياب سلطة مركزية تمثله آنذاك بحكم سيطرة الحفصيين والمرينيين على أجزاء كبيرة منه .

2/ المغرب الأقصى :

ورد عند صاحب الاستبصار المغرب الأقصى هو مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمارات متصلة تبدأ حدودها الشرقية من آخر المغرب الأوسط عند واد ملوية إلى البحر المحيط في الغرب، وجنوبا إلى الصحراء المحاذية لمدينة سلجماسة³ .

وعند ابن خلدون " فأما المغرب الأقصى فهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق إلى آسفي حاضرة البحر المحيط"⁴ .

و يمكن أن نقسمه إلى ثلاث أقسام :

الجزء الشمالي ويشمل الشريط الساحلي ومنطقة الريف الجبلية من أبرز مدنه سبتة، طنجة، بادس .

إقليم حوض نهر سبو يشمل السهول الفسيحة التي تحيط بواد سبو وصولا إلى المناطق الواقعة على البحر المحيط وأهم المدن الواقعة في مجاله فاس ومكناس، سلا ، رباط الفتح .

المناطق الوسطى والجنوبية وتشمل أحواض نهر أم الربيع وتانسيفت وصولا إلى بلاد السوس الأقصى

¹ الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 88.

² العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، ج4، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2010، ص90.

³ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت، ص 179 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 133 .

آزمور، مراكش، تارودانت، سجلماسة¹.

ب/ الإطار السياسي:

من أجل التعرف على الحدود السياسية لمجال المغرب الأوسط والأقصى ينبغي الإشارة إلى الكيانات السياسية التي وجدت آنذاك في المجال الجغرافي لهما في الفترة المذكورة :

دولة بني حماد : (408-547هـ/1018-1152م)

يرجع نسب هاته الدولة إلى مؤسسها حماد بن بلكين (408-419هـ/1014-1028م) الذي افتك استقلال المغرب الأوسط من الزيريين إثر نجاحه كرجل عسكري في ردع فروع قبيلة زناتة وإدارته لمناطق شاسعة من الأوراس إلى واد ملوية لما كان واليا على أشير بأمر من الأمير باديس بن المنصور². لتصبح دولته أول دولة محلية بربرية تقوم بالمغرب الأوسط.

وبالنسبة للمجال الجغرافي للدولة فكانت تشمل منذ تأسيسها حتى أيام محسن بن القائد القلعة والمسيلة وطبنة والزاب وأشير وسوق حمزة وتاهرت³، وفي عهد بلكين بن محمد (447-454هـ/1055-1062م) وصلت حدود الدولة إلى المغرب الأقصى إذ قام بغزوه عدة مرات⁴، وفي فترة حكم الناصر (451-481هـ/1062-1082م) أسست مدينة بجاية وتم التوسع شرقا حيث ضمت مجموعة من المدن مثل قسنطينة، مليانة، الجزائر ومدن من إفريقية كصفاقس وتونس⁵، وفي أيام المنصور (481-498هـ/1088-1104م) صارت بونة ضمن ممتلكات الدولة⁶.

مرحلة القلعة : شهدت حكم خمسة من الأمراء بداية من المؤسس حماد بن بلكين (408-419هـ/1014-1028م)، ثم ابنه القائد (419-446هـ/1028-1054م) ومحسن بن القائد

¹ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط3، دار الرشاد، القاهرة، 1999، ص 124.

² ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان، ليفي برونفسال، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص248؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 227.

³ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1977، ص 117.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 229.

⁵ نفسه، ج6، ص 232.

⁶ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 117.

(446-447هـ/1054-1055م) وبلكين بن مُجَد (447-454هـ/1055-1062م) والناصر بن
 علناس (451-481هـ/1062-1088م)¹ .

مرحلة بجاية : قام الناصر باختطاط عاصمة جديدة على الساحل وهي مدينة بجاية واسماها الناصرية، في
 هذه الفترة حكم كل من الناصر والمنصور (481-498هـ/1088-1104م) ثم باديس بن المنصور
 (498-499هـ/1104-1105م) وعبد العزيز بن المنصور (499-515هـ/1104-1121م) ويحيى
 بن عبد العزيز (515-547هـ/1121-1152م)² .

الدولة المرابطية (448-541هـ/1056-1146م)

قامت هذه الدولة على أساس ديني إصلاحي انطلقت جذورها من صحراء جنوب المغرب الأقصى
 منتصف القرن الخامس بزعامة عبد الله بن ياسين الذي قام بتوحيد قبائل الملتئمين ثم اندفع بهم نحو الشمال
 من أجل كسر شوكة أمراء زناتة ونشر مبادئه الإصلاحية³ .

في البداية تولى أبو بكر بن عمر اللمتوني قيادة جموع الملتئمين من طرف عبد الله ابن ياسين وقد قام
 بإخضاع سجلماسة ودرعة وبلاد السوس وأغمات ثم ديار برغواطة بتامسنا، من أهم إنجازاته أيضا اختطاط
 عاصمة الدولة مراكش، وقد عاد إلى الصحراء تاركا المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين⁴ .

كان يوسف أول الأمر تابعا لأبي بكر بن عمر ثم ما برح أن انفرد بالسلطة لتكون له ولخلفه من
 بعده، وقد تمكن من إرساء دعائم هذه الدولة وتوطيد أركانها، انطلقت توسعته منذ أن كان أميراً وما إن
 حلت سنة 474هـ/1081م حتى صار المغرب الأقصى تحت قبضته، وتوغل إلى أجزاء من المغرب
 الأوسط وتوجه إلى الأندلس، حتى صارت له مملكة مترامية الأطراف من الجزائر شرقا إلى البحر المحيط غربا

¹ عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة، القاهرة، دار الوفاء، المنصورة، 1991، ص 110 .

² نفسه، ص 111 .

³ عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص 12-16 .

⁴ مجهول، الخلل الموشية في أخبار في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص69،
 59، 24 .

ومن الأندلس شمالاً إلى حدود بلاد السودان جنوباً، وكان له الفضل الكبير في الانتصار الساحق على ممالك النصارى بالأندلس في موقعة الزلاقة الشهيرة (479هـ/1086م)¹.

حكم بعد يوسف ابنه علي (500-537هـ/1106-1142م) الذي كان حسن السيرة والحكم ظل رافعاً راية الجهاد في الأندلس واستعان بالفقهاء في تسيير شؤون الدولة كما اهتم بالعمارة والبناء، ظهرت في عهده حركة الموحدين وكان له نصر كبير عليهم في معركة البحيرة سنة 524هـ/1102م²، تولى بعده ولده تاشفين (537-539هـ/1142-1144م) وكان أمر الموحدين قد استفحل وثورتم قد اشتدت حيث لم يستطع ردهم وعثر عليه مقتولاً بوهران سنة 539هـ/1144م³.

دولة الموحدين : (524-668هـ/1129-1269م)

من أعظم الدول التي ظهرت بالغرب الإسلامي حيث سادت المغرب كله من برقة إلى البحر المحيط وأجزاء من الأندلس، قامت على أساس ديني إصلاحية واعتمدت على عصبية قبيلة مصمودة، وكان من نصيبها القضاء على القوى السياسية الموجودة قبلها كالمرابطين والحماديين⁴.

تعود هذه الدولة بأصولها إلى شخصيتين أساسيتين محمد بن تومرت وعبد المومن بن علي الأول قام بأعباء الدعوة ولم يشهد قيام الدولة، والثاني هو من تولى المشروع السياسي بعده ويعتبر المؤسس الفعلي للدولة التي استمرت في نسله من بعده⁵.

استهل عبد المومن طريقه في إخضاع المغرب بالاستيلاء على مدن المرابطين واحدة تلو الأخرى بداية من تادلة 526هـ/1132م ودرعة وسلا وتازة، ثم تلمسان ووهران⁶، وأخذ فاس بعد حصار شديد

¹ حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 49، 58.

² محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول، القسم الأول - ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص 58.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 231.

⁴ عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص 48.

⁵ مغنية غرداين، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف لخضر عبدلي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016، ص 37.

⁶ عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، دار المعارف، مصر، 1968، ص 131.

سنة 540هـ/1146م، ثم أغمات سنة 541هـ/1147م¹، وفي نفس السنة سقطت العاصمة مراکش في أيديهم بعد حصار طويل واتخذوها عاصمة لدولتهم² بعد أن شغلت تينملل هذا الدور لمدة سبع سنوات.

بعدها عزم عبد المومن أن يمد سلطته إلى كل بلاد المغرب فسارت جيوشه شرقا نحو أراضي بني حماد إذ فتحت العاصمة بجاية أبوابها له سنة 547هـ/1152م، ثم واصل الزحف حتى أخضع إفريقية كلها سنة 555هـ/1160م³، واصل تحقيق طموحاته بالسيطرة على أجزاء من بلاد الأندلس وتم ذلك على مراحل⁴.

تمثل المرحلة الأولى من عمر الدولة مرحلة القوة شهدت حكم أربع خلفاء بداية من عبد المومن بن علي، ثم ابنه أبو يعقوب يوسف (558-580هـ/1163-1181م) الذي توفي مجاهدا قرب مدينة شنترين في غرب الأندلس⁵، وبعد عصر أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) أزهى العصور على مختلف الأصعدة وهو الذي شهد ذلك الانتصار التاريخي في موقعة الأرك (591هـ/1195م) على نصارى الأندلس⁶، خلفه مُجَّد الناصر الذي شهد عهده القضاء على حركة بني غانية نهائيا لكنه ختم بالانكسار في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م التي حددت مصير الوجود الاسلامي في الأندلس ومصير الموحدين بشكل خاص⁷، إذ أعقبتها مرحلة فوضى واضطرابات في بلاد المغرب أدت إلى ضعف الدولة وسقوطها في الأخير على يد بني مرين سنة 668هـ/1269م⁸.

¹ البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط، ص 62.

² نفسه، ص 66.

³ مجهول، الحلل الموشية، ص 148-149.

⁴ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص 150-152.

⁵ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - تح: مُجَّد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص 162.

⁶ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمود سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية القاهرة، 1963، ص 227.

⁷ ابن عذاري، المرجع السابق، قسم الموحدين، ص 239، 263.

⁸ عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 262.

الدولة الزيانية (633-962هـ/1236-1554م)

قامت هاته الدولة بزعمارة يغمراسن بن زيان الذي ينتمي إلى بني عبد الواد إحدى فروع قبيلة زناتة، استقل بالمنطقة التي كان يحكمها باسم الموحدين ونظم شؤون الدولة الناشئة واختار تلمسان لتكون عاصمة لدولته نظرا لجاهزيتها وتطور عمراها مثلما قال ابن خلدون "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع والصروح بها بالأجر والقرميد تعالى وتشاد إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم"¹.

عمرت هذه الدولة قرابة الثلاث قرون مرت فيها بظروف متفاوتة ما بين قوة وضعف، أما عن حدودها فكانت تتمدد أو تتقلص حسب درجة الاستقرار وقوة السلاطين، ففي حين وصلت حدود الدولة الغربية في عهد يغمراسن (633-681هـ/1236-1283م) إلى مدينة وجدة وما وراء ملوية وإقليم فجيج في الجنوب الغربي²، تم في عهد كل من السلطانين أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1308-1318م) وأبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) من الوصول في الجهة الشرقية إلى قسنطينة وبجاية وحصارها مرات عديدة لكنها سرعان ما كانت تتقلص في الظروف العادية³.

واجهت الدولة أخطارا جسيمة نظرا لوقوعها بين دولتين تناصباها العداء الشديد الحفصيين في إفريقية من جهة والمرينيين في المغرب الأقصى من جهة أخرى لذا كانت في كل مرة تتعرض العاصمة تلمسان إلى حصار جديد ومحاولة اقتحام كان أشدها حرجا وأكثرها شهرة حصار بني مرين الذي دام ثمان سنوات (698-706هـ/1298-1306م) بنيت جراه مدينة بجوار تلمسان لتضيق الخناق عليها وهي مدينة المنصورة وانتهى بفشله واستماتة ساكنة المدينة في الدفاع عنها⁴، على أنه هناك حصار آخر كلل بسقوط المدينة بأيدي المرينيين سنة 737هـ/1336م⁵، واستمر ذلك إلى أن استرجعت من طرف الأمير أبو ثابت

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 105 .

² عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 23 .

³ التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان، تح: محمود بوعياض، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 137؛ هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف مبخوت بودواية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، 2013-2014، ص 23 .

⁴ يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 210 .

⁵ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 148 .

سنة 751هـ/1350م قبل أن تسقط مرة أخرى بعد انهزام بني زيان في موقعة سهل أنكاد سنة 753هـ/1352م حتى قام السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389م) ببعث السلطة من جديد سنة 760هـ/1358م¹.

دولة بني مرين : (668-869هـ/1269-1465م)

يرجع نسبهم إلى فخذ من أفخاذ قبيلة زناتة البترية كانوا يعيشون قبل دخولهم المغرب الأقصى حياة بدوية قوامها الغزو والتنقل والترحال، ظهوروا على مسرح الأحداث بالمغرب منذ أن ضعف أمر الموحدين وعظمت رغبتهم في الإغارة على ممتلكاتهم والإطاحة بحكمهم، تولى رئاستهم في هاته الفترة مجموعة من الأمراء².

منذ عهد أبو بكر بن عبد الحق (642-652هـ/1244-1258م) بدأت كبريات مدن المغرب تتهاوى وتسقط أمامه بداية من مكناس التي سقطت في سنة 643هـ/1245م، ثم مدينة فاس 646هـ/1248م³، بعدها سلا ورباط الفتح 649هـ/1251م، وسجلماسة 655هـ/1257م⁴ وصولاً إلى العاصمة مراكش التي وقعت في يد يعقوب بن عبد الحق سنة 668هـ/1269م وبذلك تم إنهاء حكم الموحدين نهائياً ويصبح يعقوب (656-685هـ/1258-1286م) المؤسس الفعلي للدولة وأول حكامها بشكل رسمي⁵.

لم تكن حدود الدولة ثابتة وهذا يخضع لمعياري القوة والضعف اللذان تمر بهما الدولة فمثلاً في عهد يوسف بن عبد الحق (685-706هـ/1286-1307م) تمت سيطرته على مناطق عدة من المغرب الأوسط يوم حصاره تلمسان سنة 698هـ/1299م وخاصة بأراضي مغراوة وبني توجين في ندرومة ووهران ومستغانم وتنس ومليانة⁶، أما في أيام أبو الحسن المريني (731-752هـ/1331-1351م) فوصلت

¹ العبر، ج7، ص 164.

² ابن أبي زرع، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، دن، الرباط، 1972، ص 14، 25، 27، 30، 35.

³ ابن أبي زرع، الذخيرة السننية، ص 66، 72.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 232، 233.

⁵ مجهول، الحلل الموشية، ص 171.

⁶ مجهول، العبر، ج6، ص 124، 127؛ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 85.

حدود الدولة إلى إفريقية في الشرق في محاولة منه لتوحيد بلاد المغرب تحت راية بني مرين¹ مثلما فعل سلفهم الموحدون لكن الأمر كان ظرفيا ولم يدم طويلا، ونفس المحاولة حدثت في عهد خلفه أبي عنان (752-759هـ/1351-1357م) لكنها فشلت²، أما ما بعد فترة أبي عنان فقد فترت سياسة التوسع وأصبحت عبارة عن غارات من بعض السلاطين سرعان ما تنتهي خاصة مع ضعف الدولة داخليا وازدياد نفوذ الوزراء وتسلطهم مما عجل بسقوطها في الأخير سنة 869هـ/1464م³.

¹ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 81-85.

² الزركشي، المصدر السابق، ص 94؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 383.

³ هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 85-87.

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في الإنتاج الحرفي والصناعي – مقومات وعوائق –

أولا. العوامل الطبيعية:

أ. الثروة المائية

ب. المواد الأولية:

1. المعادن

2. الغطاء النباتي

3. الثروة الحيوانية

ج. الجوائح الطبيعية

ثانيا. العوامل البشرية

أ. نظرة المجتمع إلى الحرف والصنائع

ب. تنوع التركيبة السكانية

ج. الحروب

د. السياسة الضريبية

من أجل الإحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه، خصص هذا الفصل للتعرض إلى جملة المؤثرات والعوامل التي يحتكم إليها الإنتاج الحرفي والصناعي في بلاد المغربين الأوسط والأقصى، بوجهيها الايجابي أو السلبي وبشكلها الطبيعي و البشري.

أولا. العوامل الطبيعية :

1/ الثروة المائية :

يمثل الماء عنصرا حيويا في حياة المجتمعات الانسانية ومختلف الكائنات جعله الله تعالى أصلا للحياة وضرورة من ضرورياتها، فعليه قامت وتطورت كل الحضارات وتصارعت من أجله الشعوب والحكومات، وقد بينت النصوص الشرعية أهميته وحثت على الحفاظ عليه يقول تعالى في محكم تنزيله " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"¹، وفي آية أخرى " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ"²، وفي موضع آخر يقول سبحانه تعالى "وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ"³.

كما وجد في تراثنا الاسلامي من اهتم بهذا السائل العجيب وتصدى لتعداد أنواعه ومصادره ومنافعه ومذاقه⁴، في حين جعل البعض الآخر توفر الماء شرطا أساسيا في اختيار موقع المدن عند اختطاطها لتموين مرافقها وصنائعها وحاجات السكان اليومية⁵، أما عن مصادره فهي على أربع أشكال:

الأمطار: تعد الأمطار المصدر الأساسي للمياه وهي أفضل المياه وأجودها⁶، تتفاوت كميات تساقط الأمطار في بلاد المغرب عموما حسب الموقع والتضاريس واتجاه الكتل الهوائية حيث تقل نحو الجنوب وتكاد تنعدم في المناطق

¹ سورة الأنبياء، الآية 30.

² سورة النحل، الآية 10.

³ سورة ابراهيم، الآية 32.

⁴ من هذه المؤلفات: الكرخي، أنباط المياه الخفية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1940؛ الكندي، رسائل الكندي، دار الفكر العربي، بيروت، 1978؛ أبوزيد الأنصاري، كتاب المطر، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، 1905؛ ابن بصال، كتاب الفلاحة، تح: خوسي ماريا، مجّد عزيمان تطوان، 1955.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 434.

⁶ التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، تح: أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 81؛ ابن بصال، المصدر السابق،

الصحراوية،¹ تستمد الأنهار والعيون والآبار مياهها منها وتتأثر بوفرتها أو قلتها، ذلك أن الجبال تلعب دورا مهما في تخزين المياه² وفي تغذية الأنهار والعيون والآبار خاصة في الظروف الصعبة في أوقات الندرة المائية والجفاف³.

الأنهار: تعني كلمة نهر مجرى الماء إذ يقال نهر الماء أي جرى في الأرض وجعل لنفسه نهرا⁴، ترادفها كلمة الواد أو الوادي وتستخدم في بلاد المغرب. تستمد الأنهار مياهها من تساقط الأمطار ومن الثلوج المتواجدة على قمم الجبال وكذلك من الينابيع، وهي على نوعين أنهار دائمة وأنهار موسمية، يرتفع منسوب مياهها في فترات التساقط وتنخفض كثيرا في فصل الصيف وتعرض للجفاف أحيانا في أوقات الجفاف والقحط⁵.

تعتبر مصدرا هاما في تزويد ساكنة المغربين بالمياه نظرا لتنوع منافعها وتعدد مجالات الاستفادة منها، وقد شيدت عدة مدن في بلاد المغرب عموما بالقرب من الأنهار، وعلى غرار استفادة هاته المدن منها في نشاطاتها المختلفة تقوم بعض الحرف التي تحتاج كثيرا من المياه على ضفاف الأنهار ناهيك عما توفره من مواد قابلة للتصنيع كالرمل والحصى وغيرها، كما تستغل كمادة طاقوية تتلاءم مع ذاك العصر قبل استعمال الكهرباء وهو ما تجسد في الطواحين المائية مثلما سيأتي تبياناه في الفصل المقبل .

تتغذى بلاد المغربين الأوسط والأقصى بشبكة كبيرة من الأنهار توزعت على الشكل التالي:

نهر المسيلة يسميه الزهري بنهر سحر، تقع عليه مدينة المسيلة حيث يمر من غربيها وتغوص مياهه في رمال الصحراء⁶.

¹ بان علي مُجد البياتي، الثروة المائية في المغرب العربي من ق 4-7هـ، مجلة التراث العربي، ع1، العراق، 2016، ص 274.

² ينقل ابن الوردي مما سمعه أن الأمطار والثلوج حين تتساقط على الجبال تنحاز الى المغارات الموجودة بها وتبقى هناك في فصل الشتاء، ثم تنساح تلك المياه مشكلة جداول، حتى تجتمع مع بعض وتمد الأنهار بالماء. أنظر: ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نج: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، بيروت، دت، ص 62 .

³ خيرة سياب، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة، إشراف مُجد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 32، 34.

⁴ ابن منظور، المصدر السابق، ج 5، ص 237.

⁵ بان علي مُجد البياتي، المرجع السابق، ص 279؛ سناء ضاري زيدان، عدنان خلف كاظم، مصادر المياه وتأثيراتها على بيت المال في بلاد المغرب (627-982هـ)، مجلة ديابي، العدد80، 2019، ص 128.

⁶ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص126.

نهر بجاية ويسمى بالوادي الكبير وعليه بساطينها وقرها¹ .

نهر الشلف يعد أكبر أنهار المغرب الأوسط ينبع من جبال ونشريس ويصب في البحر المتوسط يمر بقرب مدينة مليانة² .

نهر سطفيسف يمر شرقي مدينة تلمسان وتتزود المدينة منه بالمياه³ .

نهر تنانين نهر كثير المياه يمر بالقرب من مدينة تنس التي تغطي حاجياتها المائية منه⁴ .

نهر ندرومة وادي يمر بشرقي مدينة ندرومة له مرسى مأمون مقصود⁵ .

نهر تانسيفت وهو نهر متوسط الكبر دائم الجريان ينزل من جبل درن يمر على بعد أميال من مدينة مراكش من ناحية الشمال والشرق يصب فيه كل من وادي وريكة ووادي نفيس مصبه في رباط حوز⁶ .

وادي سبو وهو من بين الأنهار التي نالت شهرة كبيرة في بلاد المغرب، يعتبره صاحب الاستبصار أعظم أنهار بلاد المغرب منبعه من جبل بني وارتين يحيط بمدينة فاس من شرقيها بمسافة تقدر من ثلاثة إلى ستة أميال⁷ (حوالي 4.8 كلم إلى 9.6 كلم).

نهر سوس أخذ إقليم السوس تسميته منه ينبع من جبل لمطة ويصب في البحر المحيط يتزود من المياه من العيون وهو نهر دائم الجريان، شيدت عليه مدينتا إيجلي وتارودانت قصبتا إقليم السوس الأقصى⁸ .

نهر أم الربيع من الأودية الكبرى والمشهورة يصل طوله الى حوالي ستمئة كلم ينبع من جبال صنهاجة من موضع يسمى وانسيفن يمر شمالي مدينة أزموور ويصب في البحر المحيط يتميز بسرعة الجريان وكثرة الانحدار يبعد عن

¹ المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، 1963، ص 449.

² مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت، ص 171.

³ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984، ص 318.

⁴ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت، ص 75.

⁵ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 135.

⁶ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 235.

⁷ نفسه، ص 247؛ الاستبصار، ص 184.

⁸ الحميري، المصدر السابق، ص 330.

مدينة مراكش بحوالي ثلاث مراحل تقع عليه قرية أم الربيع المعروفة بوفرة الزرع والضرع، من أبرز الروافد التي تصب فيه وادي الأخضر ووادي العبيد¹.

وادي ملوية نهر كبير ومشهور بين تلمسان ورباط تازا ينطلق من جبال الأطلس في ناحية الحوز يصب في البحر المتوسط².

نهر إسمير ينبع من أحد جبال الأطلس ويصب في البحر المحيط على ضفتيه توجد مدينتي سلا ورباط الفتح، صار فيما بعد يسمى نهر أبي رقراق³.

وادي درعة أطول أنهار المغرب ينبثق من جبل درن يتوغل جنوبا عبر إقليم درعة ويمر بالصحراء ويصب في البحر المحيط⁴.

نهر مكناسة ويسمى نهر فلفل وكما يقال :

أنظر إلى مكناسة الزيتون بين الأباطح والجبال الجون

وكأن فلفل بينهن مهند يهتز بين تعطف وسكون⁵

نهر لو ينحدر من جبل غمارة بنيت عليه مدينة بادس⁶.

واد سفدد الكبير هو واد غزير المياه تدخله المراكب يستعمله أهل مدينة البصرة بمراكبهم يمر جنوب مدينة أصيلا⁷.

¹ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 247.

² ابن سعيد، المصدر السابق، ص 140.

³ الادريسي، المصدر السابق، ص 239.

⁴ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 124.

⁵ أبو الفدا، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850، ص 123.

⁶ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 139.

⁷ الادريسي، المصدر السابق، ص 530.

نهر أغمات ويسمى أيضا تاقيروت هو نهر صغير يدخل مدينة أغمات من جنوبها ويخرج من شمالها¹.
نهر سلجماسة يأتي من الجنوب والشرق منبعه من جبل أرزو ينقسم الى قسمين ثم يجتمعان على غربي المدينة وشرقيها يصب في نهر زيز الذي يمشي معه ثم يصب زيز في نهر ملوية².
نهر طنجة نهر كبير تدخله السفن يصب في البحر يأتي من جبال بغربي المدينة تأتي منه سيول عظيمة³.

العيون: تعد من الموارد الأساسية التي تزود سكان المغربين بالمياه وتزداد أهميتها في المناطق التي تقل فيها الأمطار، ومن أشهر العيون المنتشرة في المغربين الأوسط والأقصى :

عيون مدينة المسيلة⁴، وعيون جبل أمسيول (ميسون) الذي تقع عليه مدينة بجاية ، وبقسنطينة كما يذكر الوزان عينان واحدة يتدفق منها ماء ساخن وأخرى يخرج منها ماء بارد⁵، ولجزائر بني مزغنة عيون كثيرة ويعتمد أهل وهران وتنس على العيون المجاورة لهما⁶ وأيضا في سهل متيجة عيون سائحة⁷، وتوجد حول مدينة تلمسان عيون عيون كثيرة تزودت منها المدينة مثل عين لوريط⁸، واشتهر جبل ونشريس بكثرة العيون، وجبل زكار الذي يطل على مدينة مليانة هو الآخر مليء بالعيون، وبوجدة ومكناس عدة عيون⁹ وتحتوي مدينة فاس على عدد كبير من العيون، حددها العمري بأربعمئة عين¹⁰ في حين ذكر الوزان أنها ستمئة عين تستعملها المدينة في حاجاتها، وقد تمت إحاطتها بجدران وأبواب¹¹.

¹ البكري، المصدر السابق، ص 153.

² نفسه، ص 148 .

³ الحميري، المصدر السابق، ص396.

⁴ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 143.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 59، 101.

⁶ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 258، 256، 251.

⁷ الحموي، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1977، ص 53.

⁸ الحميري، المصدر السابق، ص 135.

⁹ الاستبصار، ص 171، 177، 178.

¹⁰ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سليمان الجبوري، ج4، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2010، ص90.

¹¹ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 247.

الآبار: تم التوصل إلى المياه الجوفية وحفر الآبار من طرف ساكنة المغربين تلبية للاحتياجات المتكررة للمياه خاصة في أزمته الجفاف وفي المناطق التي تقل فيها الأمطار أو التي لا تتواجد فيها أنهار وعيون¹، كما تم حفرها في أغلب المنازل في بلاد المغرب وكذا في الأرياف. وهي إما آبار عادية أو إرتوازية تختلف مواصفاتها ومسمياتها على حسب عمقها وغزارة مياهها وطعمها لذا نجد مسميات مثل الأحساء والجب والترع والرس... وقبل حفر هذه الآبار يستدل على وجود المياه في جوف الأرض ببعض الطرق والوسائل المتوفرة آنذاك وبالاعتماد على معرفة بعض الأشخاص ومهاراتهم².

ب/ المواد الأولية:

1. المعادن:

تحتل المعادن مكانة هامة في حياة البشر فهي عماد اقتصاد البلدان ومصدر دخل مهم لها وقاعدة أساسية لمعظم الصناعات، لذا حرصت الشعوب على استغلالها والاستفادة منها في مختلف المجالات، وكما هو معلوم أن المغربين الأوسط والأقصى زخرا بثروات معدنية كثيرة ومتنوعة كان لها حضور محوري في عدد من الصناعات وأبرز هاته المعادن :

الذهب : معدن طبيعي لين ذو لون أصفر براق يتميز باللين والكثافة ومقاومة الكيمياءات ولا يتأثر بالنار ولا بالتراب³، فهو كما وصفه أحدهم " إن النار لا تقدر على تغريق أجزائه ولا يبلى بالتراب ولا يصدأ ابدا"⁴.

نال هذا المعدن مكانة رفيعة منذ الحضارات القديمة فهو رمز الثراء والجمال والازدهار والسلطان، كما أخذ مكانه في لغة العرب حيث ظهر بأسماء عديدة فيسمى العسجد لميله الى الحمرة ، والنظار لصفوته والابريز كلما كان صافيا والتبر عندما يكون قطعاً قبل أن ينقى من الشوائب، والسام عروق الذهب ويدعى أيضا بالزخرف

¹ عدنان خلف كاظم، المرجع السابق، ص 131.

² سياب خيرة، المرجع السابق، ص 56، 57.

³ جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف ابراهيم فخار، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2001، 2000، ص 91.

⁴ بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج8، دب، دت، ص 380.

لزينته وتزيينه¹، ويسمى أيضا الصريف ومنه اشتق اسم الصراف، الزرياب يطلق على مائه، وكذلك يدعى بالعقيان مثل قول أحدهم :

ثم إني خبرت ملكا وكنوزا من خالص العقيان²

ولم تكن بلاد المغرب تمتلك مناجم ذهب باستثناء مكانين أشارت إليهما النصوص الجغرافية أحدهما ذكره البكري في جبل قرب مدينة تازة واصفا إياه بالجودة³، والآخر في سجلماسة ذكره كل من المقدسي وصاحب الاستبصار⁴، لكن الذهب ظل موجودا دوما في مختلف مدن بلاد المغرب و مصدره الأول السودان الغربي⁵ حيث كان يجلب من مناطق وانقارا وبوري وأشانتي⁶ بحكم القرب الجغرافي نسبيا مع بلاد المغرب والنشاط التجاري الكثيف بينهما، والذي لعبت فيه المدن الجنوبية للمغربين والواقعة عبر المنافذ التجارية دورا كبيرا مثل ورجلان و توات⁷ وسجلماسة، لذا أصبح يطلق على هذا الطريق التجاري الذي يخترق الصحراء طريق الذهب الذي أضحي يفوق أهمية طرق الحرير والتوابل الشهيرة آنذاك⁸.

¹ الهمداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تح: أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009، ص 71، 72؛ الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1958، ص 21.

² الهمداني، المصدر السابق، ص 72.

³ البكري، المصدر السابق، ص 118.

⁴ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 231؛ مجهول، الاستبصار، ص 202.

⁵ هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها على أرض البربر وجنوبها في البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها و الحرارة بها شديدة جدا لأن الشمس لا تزال مشامته لرؤوسهم، و أهلها عراة لا يلبسون من شدة الحر منهم المسلمون و منهم الكفار، أرض منبت الذهب، وبها حيوانات عجيبة كالفيال والكركدن و الزرافة وبها أشجار عظيمة لا توجد في غيرها. أنظر: القزويني، آثار البلاد في أخبار العباد، ليدن، 1848، ص 18.

⁶ جميلة بن موسى، المرجع السابق، ص 98.

⁷ نفسه، ص 208، 209؛ قومي مجّد، دور يهود توات خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، ع28-29، 2016، ص 275.

⁸ مجّد بركات البيلي، مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان، مجلة المؤرخ المصري، ع3، جامعة القاهرة، 1989، ص 76.

الفضة: ثاني المعادن قيمة بعد الذهب، وهي ذات لون أبيض براق ندعوه فضي على اسمها قابل للتغيير إلى البني أو الأسود، تحترق بالنار وتبلى في التراب بطول المدة قابلة للطرق والسحب¹، وتسمى في لغة العرب كذلك اللجين والصريف والصولج².

النحاس : من أكثر المعادن تواجدا لسهولة الحصول عليه قرب سطح الأرض، يوجد في الطبيعة بحالته الطبيعية الخام وهو قابل للطرق والسحب³، من أنواعه كما يقول ابن سينا "أحمر إلى صفرة وهو الفاضل وأحمر ناصع وأحمر إلى السواد"⁴.

الحديد : أكثر المعادن صلابة، مقاوم لدرجات الحرارة ذو لون فضي أبيض لامع ذو استعمالات عديدة وحيوية، ورد ذكر ذلك في كتاب الله "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ"⁵ وهو على نوعين نوع صلب يلقب بالشبرقان ونوع لين يلقب بالنوماهن⁶.

جغرافية توزيع المعادن: من أبرز المناطق المشتهرة بإنتاج المعادن الخام في مجال المغربين مثلما هو موضح في الجدول

المادة	المكان	الدلالة التاريخية	المصدر
الفضة	حصن وركناس	يقع بالقرب من مكناسة فيه معدن الفضة	المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 448.
	زجندر	تقع قرب مراكش بما معادن الفضة عائمة تحت الأرض	القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 199.
	جبل إيلالن	له منجم فضة	الوزان ، وصف افريقيا ، ج 1 ص 99.

¹ زهراء بابان، رفيقة تومي، المعادن المستعملة لصناعة الأدوات الجراحية في الحضارة الاسلامية خلال القرن 13م من خلال مخطوط ابن القف، مجلة الدراسات الأثرية، مج20، ع1، 2022، ص 159.

² الحكيم، المصدر السابق، ص 22.

³ براهيمى فايزة، بن عاشور سالم، مراحل تطور الصناعة المعدنية وطرق تصنيعها، مجلة الفكر المتوسطي، مج08، ع02، 2019، ص 51 .

⁴ ابن سينا، القانون في الطب، ج 1، تح: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 183.

⁵ سورة الحديد، الآية 25 .

⁶ البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، تح : يوسف الهادي، شركة النشر العلمي والثقافي، طهران، 1995، ص 404.

ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ص 141.	معدن رقيد في جنوبي درن	جبل درن	
كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 185.	يقع في جبل فازاز قرب واد وانسيف	عوام	
الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 128.	بها معدن فضة غزير وكثير المادة	تامدلت	
الزهري ، كتاب الجغرافيا، ص 115.	بقربها معدن الفضة مثل معادن عوام ووركناس	قلعة ابن تاولة	
المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 448.	- بالسوس معدنان للنحاس - يجلب منها إلى افريقية والمغرب .	السوس الأقصى	النحاس
الزهري ، كتاب الجغرافية، ص 117.			
البكري ، المغرب ، ص 162 كتاب الاستبصار ص 212 .	إيجلي قاعدة السوس يعمل بها النحاس المسبوك		
البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 83.	في عدة مواضع منها معادن النحاس	جبال كتامة	
الادريسي نزهة المشتاق ، ج 1 ص 241.	بها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغارها	داي	
الوزان ، وصف افريقيا ج 1 ص 209.	يكثر بها معدن النحاس ومنها يجلب إلى فاس	جزولة	
الزهري ، كتاب الجغرافية، ص 116.			

الوزان ،وصف افريقيا ، ص 448.	بين سلا ومراكش فيه معدن حديد	أسبتار	الحديد
الوزان ، وصف افريقيا، ج 1 ص 345.	تستخرج منه كميات كبيرة من الحديد	جبل بني سعيد	
المراكشي ، المعجب، ص 447.	موضع بين سبتة ووهران قريب من الساحل فيه معدن حديد	تمسامان	
ابن الخطيب ،معيار الاختيار ، ص 147.	بلاد معدن هند وذكير (أجود الحديد)	طنجة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج 1، ص 243.	في جميع الجبال المجاورة لها مناجم حديد	أجواو	
الوزان ، وصف افريقيا، ج 2 ص 111.	يستخرج سكانه من الأرض كميات وفيرة من الحديد	جبل دمنسرة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج 2 ص 132.	به منجم حديد يزود جميع أقاليم سجلماسة	بني بصرى	
البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،ص 33.	بها معادن النحاس والحديد	كتامة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج 2 ص 24.	توجد بقربها عدة مناجم حديد	تفسرة	
الادريسي نزهة المشتاق ، ج 1 ص 260.	بها معادن الحديد الطيب	بجاية	
الادريسي نزهة المشتاق ، ج 1 ص 291.	بها معادن حديد جيد ، في جبل يدوغ على جنبها	بونة	
الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ،ص 8.	يقع قرب وهران في جبل به معدن الحديد	أرزيو	
المراكشي ، المعجب ص 448.	بها معدن التوتيا	السوس الأقصى	

جبل ونشريس	في قمته كمية وفيرة من معدن التوتيا	الوزان ، وصف افريقيا، ج 2 ص45.
حصن طلميثة	بقربه يوجد معدن الكبريت	المراكشي ، المعجب ص447.
قرطاجنة	كثير جدا ينقل منه الناس منذ القدم ولا ينقض	كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 122.
فاس	ليس في معمورة الأرض معدن ملح مثله ، يبلغ طول 18 ميلا	ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 17
أصيلا	بقربها ملاحه	البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص113.
نول لمطة	بها معدن الملح ، يوجد تحت قامتين أو دونهما من وحة الأرض ، يقطع كما تقطع الحجارة يسمى تانتال	كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص214.
بسكرة	بها جبل ملح يقطع كالصخر	البكري ، المغرب، ص52.

نستخلص من هذا الجدول أن مناطق من بلاد المغرب استأثرت بإنتاج معدن معين دون أخرى في حين أنه يوجد من الأماكن من تجمعت فيه الثروات المعدنية وكانت بمثابة خزان معدني، وتدل عبارات "يحمل منها" و"منها يجلب" التي استعملتها المصادر على التبادل المعدني بين الأقطار وأن كل منطقة تغطي احتياجاتها من مناطق مجاورة سواء كانت المعادن خاما أو مصنعة .

وبالنسبة لطرق استخراج المعادن فإن النصوص المصدرية لا تفيدنا في هذا الجانب لا من ناحية التقنيات والوسائل ولا من ناحية التدابير والكميات المستخرجة، وكل ما قدمته عبارة عن أوصاف في جودة المعادن أو وفرتها، لذا نركز على نصين أحدهما للإدرسي والذي أشار فيه إلى طريقة استخراج معدن الزئبق وهو نص خاص بالأندلس، واستندنا به هنا لتغطية بياضات النصوص، ذكر فيه أن معمل الزئبق في حصن أبال يصل عمقه الى

أكثر من مئتي قامة يشتغل فيه أزيد من ألف عامل يقسمون الى فرق كل فرقة تختص بنشاط فمجموعة للنزول فيه وقطع الأحجار ومجموعة لنقل الحطب و حرق المعدن وآخرون لعمل أواني سبك الزئبق وتصعيده¹ ، والنص الثاني نص قصير وملتبس نوعا ما للقزويني يصف فيه كيفية استخراج معدن الفضة في مدينة زجندر حيث يستخرج هذا المعدن حسب قوله بعد حفر العمال في باطن الأرض عمق عشرين ذراعا مستعملين دواليب الماء عبر دفعات حتى يظهر الطين ويخرج الى سطح الأرض فيتم غسله² ، ونستفيد من نص آخر للإدريسي ذكر فيه خواص ومميزات معدن النحاس بمدينة داي وكيفية صياغته حيث يتم خلطه بمعادن أخرى وطرقه لكي لا يتشرح كما هي الأنواع الأخرى من النحاس³ .

ومن خلال وصف المصادر فقد أصبحت المناطق المنجمية بمثابة مدن صناعية صغيرة يعمرها عدد كبير من العاملين في المناجم لكي يؤدوا أعمالهم دون الذهاب والرجوع يوميا إلى مقر سكناتهم حيث يذكر الوزان أن الجبال المجاورة لقرية أمجاو بها "مناجم حديد يعمر العمال المشتغلون فيها العديد من المداشر والقرى" و"بجبال بني سعيد"، لكل عامل في المعدن داره قرب المنجم مع ماشيته ومعمله الذي يصفى فيه الحديد⁴ و"بزنجندر حيث معدن الفضة الفضة هناك "يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن"⁵ .

ومن الطبيعي أن تهتم الدول التي حكمت المغربين بالمعادن نظرا لما تقدمه هذه الثروات من مداخل، ناهيك عن أهميتها في عدد من الصناعات على رأسها صناعة الأسلحة لذا نجدتها تتحكم ببعض المناجم وتستغل مادتها بل وتقف بالمرصاد لكل من حاول المس بسيادتها عليها⁶ مثلما حدث في عهد الخليفة الموحي عبد المومن المومن بن علي (524-558هـ/1130-1163م) عندما أرسل حملة بقيادة أبي حفص لإخضاع سلام بن حمامة الثائر بصنهاجة والذي كان قد كسر المعدن وهدم القلعة⁷ ، ونفس الأمر جرى خلال حكم يوسف بن

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 581.

² القزويني، المصدر السابق، ص 199-200.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 241.

⁴ الوزان، المصدر السابق، ص 243،244.

⁵ المراكشي، المصدر السابق، ص447.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، أعمال الندوة العلمية الموارد الطبيعية ببلاد المغرب في العصرين القديم والوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2010، ص 193.

⁷ البيهقي، المصدر السابق، ص 84.

عبد المومن (558-580هـ/1163-1184م) الذي قاد حملة عسكرية سنة 578هـ/1182م ضد إحدى قبائل السوس التي حاولت استغلال منجم فضة موجود في أراضيها دون تأدية حق الدولة الواجب عليها، وقد انتهت هذه الحملة باسترجاع المنجم وتحصينه وحمايته بالجنود¹.

وفي الحقيقة إن سيادة الدولة على المناجم تتأثر بظروف القوة والضعف وبالاضطرابات والفتن وبالتغيرات السياسية المعروفة في بلاد المغرب عموماً، كما قد تكون المناجم مصدر تنافس وصراع بين الحكومات والقبائل بل وقد تبلغ أهمية السيطرة عليها مبلغاً استراتيجياً واقتصادياً كبيراً² وهذا ما نستنتجه من نص للحسن الوزان يصف فيه سكان جبل إيلالن "وسكانه نبلاء شجعان عندهم خيول كثيرة ويتحاربون فيما بينهم باستمرار من أجل منجم فضة يوجد في الجبل ويستغله المنتصرون منهم"³.

وفي المقابل أخذت مسألة المعدن مساحة من الشرع باعتبارها من جملة الأموال التي لبيت المال نصيب فيها لكن الفقهاء اختلفوا في ماهيتها حيث اعتبرها البعض من الركاك وهو دفن الجاهلية سواء كان مالا أو معدنا لذا وجب فيها الخمس⁴، أما قول مالك فإن المعدن ليس بركاك ولا خمس فيه وإنما فيه الزكاة فقط باعتبار أن الركاك الركاك لا يتكلف أي نفقة فيه ولا جهد، والمعدن يتطلب أموالاً وجهوداً⁵.

وهكذا فإن للدولة حق في المعادن سواء كان الخمس أو الزكاة وترك حق التصرف فيها للحاكم ويجوز له أن يقوم بإقطاعها ويقبض زكاتها أو يكرها ويستخلص نفعها وقد ذكر الونشريسي نازلة وردت حول كراء ملاحات ملاتة والبطحاء مدة من الزمن ويدفع المشتغل مبلغاً منها مقابل الكراء كأنه خراجها⁶.

وقد أورد المازوني رأي أحد الفقهاء حول ملكية المعادن "إن المعادن إذا كانت في أرض الصلح وأهل الأرض باقون بها فالأرض لهم وإن كانت في بلاد العنوة أو بلاد البربر فالنظر فيها للإمام وله إقطاع مارآه ويقبض

¹ ابن عذاري، المرجع السابق، قسم الموحدين، ص 147.

² ابراهيم القادري بوتشيش، الفروات المنجمية ببلاد المغرب، ص 196.

³ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 121.

⁴ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تج: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص 153.

⁵ مالك ابن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص 249.250.

⁶ الونشريسي، المعيار المغربي، ج8، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 293.

زكاتها ولا تورث عمن اقتطعها"¹، وبذلك فإن امتلاك المعادن لم يقتصر على الحكومات وإنما تعدت الملكية إلى الأفراد وهذا ما أكدته إحدى النوازل التي وردت على ابن رشد والتي أشارت إلى شراكة مجموعة من الأشخاص في ملكية معدن فضة وقال أحدهم أن رجلا منهم وهبه نصيبه في المعدن واستظهر فيه بعقد هبة على الإشاعة وله شهود على ذلك²، وربما نتساءل عن سبب ترك السلطة للأفراد حق ملكية المناجم وإن كان أحد الباحثين قد أجاب على هذا بقوله إن تكلفة استخراج المعادن تكون كبيرة جدا كما وصفها القزويني لذا تترك الحكومة مهمة استخراجها إلى بعض الأشخاص الأثرياء مادام نصيبها منها مضمونا سواء كان خمسا أو زكاة³.

ويظهر حرص الحكام على تحصيل حق الدولة من المناجم في تعيين قضاة لهذا الأمر مثلما أورد ابن الآبار أن عبد الملك محمد ابن عبد الرحمان السرقسطي (ت598هـ/1201م) ولي قضاء معدن عوام قرب فاس⁴، وعين السلطان المريني أبي عنان عبد الله الوري قاضي الجماعة على منجم النجار بتلمسان⁵.

2.الغطاء النباتي:

الغابات:

تقدم الغابات للقطاع الصناعي مادة أولية يتركز عليها ممثلة في الخشب، وتشير النصوص إلى اتساع المجال الغابي على سفوح الجبال والأودية وفي البساتين، واحتوائه على ضروب من أنواع الشجر توزعت عبر مجال المغربين الأوسط والأقصى كالتالي:

¹ المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تح: مختار حساني، ج4، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، ص 54.
² ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج2، تحقيق المختار التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987، ص 1259-1260؛ البرزلي، فتاوى البرزلي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002، ص 431.
³ القزويني، المصدر السابق، ص 200؛ إبراهيم القادري بوتشيش، الثروات المنجمية ببلاد المغرب، ص 194.
⁴ عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دت، ص 282.
⁵ المقرئزي، درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002، ص 409.

المكان	الأوصاف والملاحظات	المصادر
فاس	يحمل إليها خشب الأرز من جبال بني يازغة يعرف بأنه خشب معمر ولا يسوس . يصلها كل يوم خشب البلوط من جبل بني بهلول .	ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 43. الجزنائي ، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 35.
جبل درن	كثير الصنوبر والأرز والبلوط وفيه كل غرائب الأشجار	البكري ، المغرب ، ص 147. الادرسى، نزهة المشتاق ، ج1 ص229.
جبال عمارة	منها يحمل خشب الأرز الى الآفاق	ابن سعيد ، الجغرافيا، المصدر السابق ص 139.
المعمورة	بجوارها غابة بها أشجار بلوط باسقة	الوزان ، وصف افريقيا ، ج1، ص 210.
سلا	بجوارها غابة معمورة بأشجار البقس وأنواع من الأشجار الأخرى	الوزان ، وصف افريقيا ، ج1، ص 209.
جبال فازاز	فيه خشب الأرز العالي	كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 187.
جبال إقليم الريف (بني منصور ، بني كزير ، بني خالد	مغطاة بالغابات وأنواع الخشب	الوزان ، وصف افريقيا ، ج2، ص 329 ، 332 .
جبل كدميوه	به غابات كبيرة	الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص141.
جبل سكيوة	تغطيه غابات كثيرة	الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص140.
بادس	حولها جبال مغطاة بغابات الصنوبر وغيرها من الأشجار تحمل إلى مختلف الجهات	الوزان ، وصف افريقيا ، ج1 ص 226 ، 227.
جبل الحديد	تكثر فيه الغابات	الوزان ، وصف افريقيا، ج1،

ص112.		
الادريسي نزهة المشتاق ، ج1 ص237.	بقربه غابة كبيرة	نهر أم الربيع
الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص302.	على ضفافه غابات كثيفة	نهر لكوس
الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص204.	بقربها غابة كثيفة جدا	مدينة عوام
الوزان ، وصف افريقيا، ج2، ص43 ، 44. مارمول كارفخال، افريقيا، ج2، ص 352 .	تكسو الجبال المحيطة بها غابات كثيرة ومتنوعة الأشجار منها بني ورنيد أهله كلهم حطابون ، جبل أرزيو جبل بني بزناسن كثير الغابات	نواحي تلمسان
الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 ص260 .	الخشب في جبالها وأوديتها كثير .	بجاية
الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 ص291. الحميري، الروض المعطار، ص115	فيها كثير من الخشب جيد الصفة ومنه سقوفهم ووقودهم وجميع ما يتصرفون فيه	بونة
الحميري ، الروض المعطار ص114.	بها غابة كبيرة تقدر بستة أميال عدى غابات كورها وقراها	بسكرة
الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 ص265.	كثيرة الأشجار	ميلة
الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 ص264 .	كثيرة الشجر	نقاوس

الإنتاج الزراعي :

الزراعة إحدى الأنشطة التي يرتبط بها معاش الناس وأقواتهم، بل ترتبط بها الثروة والصناعة والاقتصاد، وصفها ابن الحاج بأنها "قوام الحياة وقوت النفس"¹، تقوم كما يقول ابن خلدون على "إثارة الأرض وإزراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه وإحكام الأعمال لذلك وتحصيل أسبابه ودواعيه"².

وقد اهتمت ساكنة المغربين بالفلاحة وامتهنوها وهذا ما انعكس على تنوع الإنتاج والمحاصيل من منطقة لأخرى، وحسب ما جادت به النصوص نتتبع هنا انتشار عدد من المحاصيل وبالذات المحاصيل ذات الوجهة الصناعية عبر فضاء المغربين:

النباتات الصناعية:

اهتمت ساكنة المغربين بزراعة النباتات ذات الأهمية الصناعية والتي تحول إلى منتوجات مفيدة خاصة ما تعلق بالنسيج بأنواعه، لذا وجدت زراعة القطن والكتان والقنب....وقد آثرنا تتبع انتشار هاته الزراعة في مناطق متعددة بناء على أوصاف النصوص:

النبات	المكان	الأوصاف والتفاصيل	المصدر
القطن	تادلا	يزرع بكثرة، ويسافر به إلى كل الجهات	الادريسي، نزهة المشتاق، ج 1 ص 241.
	سجلماسة	بها غلات كبيرة من القطن	الادريسي، نزهة المشتاق ج 1 ص 22. الونشريسي، المعيار، ج 8، ص 146.

¹ ابن الحاج، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ج 4، ص 3.

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 509.

الوزان ، وصف افريقيا ، ج1، ص 208. مارمول كارفخال ، افريقيا، ج 2 ص 134.	تنتج كميات عظيمة من القطن	سلا	
لوتورنو ، فاس في عهد بني مرين ، ص 149 .	الريف المحيط بها ينتج كميات من القطن	نواحي فاس	
الادريسي، نزهة المشتاق ، ج1 ص237.	بها مزارع القطني والقطن	أم الربيع	
الادريسي، نزهة المشتاق ج1 ص531.	أكثر غلاتها القطن	البصرة	
الادريسي، نزهة المشتاق ج1 ص241.	بأرضها كثير من القطن	داي	
الحميري ، الروض المعطار في خير الأقطار، ص 558	يزرع في أرضها القطن فيجود	مستغانم	
الوزان ، وصف افريقيا ، ج2 ص14	ينبت بكثرة بها وفي نواحيها	ندرومة	
الحميري ، الروض المعطار في خير الأقطار ص 558. الادريسي، نزهة المشتاق ، ج1 ص254.	بها مزارع قطن	المسيلة	
أبي الفدا، تقويم البلدان، ص 139. الحميري ، الروض المعطار ، ص 386.	كثيرة الزروع والقطن	طبنة	
ابن الخطيب ، مشاهدات ابن	معدن القطن والكتان	سلا	الكتان

الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ص104.			
مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 189.	تعرف ببصرة الكتان لأن أهلها يتبايعون به	البصرة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص281.	يزرع بكميات وافرة بأرض زواغة غربي فاس	نواحي فاس	
الوزان ، وصف افريقيا ج1 ص293.	تغل كمية كبيرة من الكتان	مغيلة	
الحميري ، الروض المعطار، ص523.	أكثر تلك النواحي كتانا	متيجة	
الوزان ، وصف افريقيا ج2 ص32	تنتج كثيرا من الكتان	بربتك	
الادريسي، نزهة المشتاق ، ج1 ص263.	أهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير	مقرة	الكتان
الوزان ، وصف افريقيا ج1 ص102.	ينبت في جبال غرب بجاية	بجاية	
الادريسي ، نزهة المشتاق، ج1 ص291.	يزرع بأرضها الكتان	بونة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج2 ص52.	أرضها لا تصلح إلا للكتان والقنب	جيجل	
الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص362.	في سهله يزرع القنب	جبل أزكان	
الوزان ، وصف افريقيا، ج1 ص297.	تغل كمية كبيرة	مغيلة	القنب
الوزان ، وصف افريقيا ج1 ص363.	البادية المحيطة بها صالحة لزراعة القنب	مزدغة	
الوزان ، وصف افريقيا، ج2	ينبت بكثرة في الجبال غرب	بجاية	

ص102.	المدينة		
لوتورنو ، فاس في عهد بني مرين ، ص 149.	الريف المحيط بها ينتج كميات صغيرة	فاس	

القمح والشعير :

أثر المناخ المتنوع لبلاد المغربين على وفرة المحاصيل الزراعية من خضر وفواكه وحبوب، ويأتي على رأس هاته المواد من حيث الأهمية القمح والشعير باعتبارهما غذاء السكان الأول، لذا انتشرت زراعتهما بشكل مكثف في مختلف المناطق .

تفاوتت نسبة إنتاجهما من منطقة لأخرى على حسب العوامل الطبيعية والامكانيات المتاحة ففي إقليم السوس يبلغ محصول الحنطة والشعير من الوفرة ما أن يباعان بأيسر قيمة¹، وكذلك بفاس الحنطة رخيصة جدا²، وتمتاز أزموور بكثرة إنتاجهما³، والأمر نفسه في جزولة وتفتنة⁴ وسجلماسة⁵، وبدورها اشتهرت كل من تنس⁶، المسيلة، الجزائر، بجاية بكثرة الإنتاج⁷ من القمح في المواسم الطبيعية، وعرفت تسلة وسهل البطحاء بالجودة⁸.

الثمار والفواكه :

ازدهرت زراعة الأشجار المثمرة بشكل معتبر من خلال الاهتمام الكبير الذي لقيته من طرف ساكنة المغربين ومجهودات الفلاحين فتنوعت وجادت في الجبال والسهول والبساطط، ما يهمننا من هاته الأشجار ما وجه منها الى التصنيع كالزيتون ويستخرج منه الزيت، والعنب والتين الموجهان للتجفيف، والنخل الذي يستفاد من

¹ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 228 .

² نفسه، ص 243 .

³ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 157 .

⁴ نفسه، ص 144، 109 .

⁵ الاستبصار، ص 201 .

⁶ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 142 .

⁷ الحميري، المصدر السابق، ص 163، 81، 558.

⁸ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 25، 27 .

سعفه وجريده في مصنوعات عدة . وقد جادت النصوص بذكر أماكن انتشار هاته المزروعات ومستوى جودتها ووفرتها .

وبالنسبة للزيتون فمراكش أكثر شجرها الزيتون¹، ومكناسة كثير جدا بما لذا سميت به²، وفي جبل درن تغطي أشجاره مساحات كبيرة منه³، ومتوفر أيضا في درعة وبزو وجبل وزروال⁴، في حين برزت هنين ومنطقة وجبال قسنطينة بعدد لا يحصى من أشجار الزيتون⁵، وبالمثل كان ببسكرة⁶.

أما التين فقد ذكر ابن غازي أن بمكناس أصناف منه كالتين الشعري والسيتي والشبلي⁷، ولقيت نفس الأنواع حضورا لها في فاس⁸، واشتهرت بلاد السوس بتين كبير في منتهى الحلاوة⁹، وكثرت غراسته في جبال تازا¹⁰ و في مدينة أغمات¹¹، وفي مدن المغرب الأوسط برزت بجاية ومرسى الدجاج¹² وهنين بأعداد كبيرة من أشجار التين، وبالمقابل وصف تين تلمسان بالسواد والكبر وشدة الحلاوة¹³، وأيضا بكثرة الإنتاج حتى أنه "يكفي لكثير من البلاد"¹⁴.

¹ مجهول، الاستبصار، ص 210 .

² ابن غازي، المصدر السابق، ص 3-4 .

³ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 230 .

⁴ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 169، 336 .

⁵ نفسه، ج2، ص 16، 58 .

⁶ الاستبصار، ص 173 .

⁷ ابن غازي، المصدر السابق، ص 3 .

⁸ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 44 .

⁹ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 230 .

¹⁰ الاستبصار، ص 186 .

¹¹ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 164 .

¹² الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 259، 260 .

¹³ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15، 20 .

¹⁴ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 127 .

ووجد العنب أيضا بشكل معتبر فهو يكثر ويجود بمكناس التي تنتج أنواعا منه منها الأصفر والأسود¹، وتعرف جبال "غمارة" و"درن"² و"بني وليد" بوفرة المحاصيل من الأعناب، وفي تازا تكثر الكروم بأنواعها³، أما مراکش وسجلماسة فهما جنات من أعناب⁴، وفي هنين وتلمسان⁵ وقلعة هواة وشرشال والخضراء أنواع متنوعة من الكروم المعروشة⁶.

يتواجد النخيل في المناطق الجنوبية والوسطى كدرعة وسجلماسة ذوات الإنتاج الكثير⁷، وكذلك في بلاد الزاب التي تعد بلاد النخيل الأولى لما تنتجه من محاصيل وفيرة وذات أصناف متعددة وهذا ما ظهر عند طبنة ويسكرة والمسيلة⁸، بالإضافة إلى ذلك برزت مناطق أخرى في هذا المجال مثل واركلا وبلاد ريغ⁹.

3.الثروة الحيوانية:

لقيت تربية الماشية عناية كبيرة من أهل بلاد المغرب عموما بل شكلت جزءا من نمط الحياة السائد في ذاك الزمن خاصة في البوادي والقرى، بالإضافة إلى تنوع المناخ ووجود أماكن خصبة ذات مياه وفيرة ونبات كثيف مما أدى إلى بروز مجالات رعوية طبيعية كثيرة سواء في الجبال أو في الأودية أو في السفوح والبساتين، وهذه الثروة ذات منافع كثيرة سواء من ألبانها أو لحومها أو جلودها أو أصوافها وأوبراها وأشعارها¹⁰.

¹ ابن غازي، المصدر السابق، ص 4 .

² الاستبصار، ص 191، 210 .

³ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 335، 333

⁴ الاستبصار، ص 201، 210.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 16، 20 .

⁶ الحميري، المصدر السابق، ص 223، 340 .

⁷ الاستبصار، ص 206، 201 .

⁸ نفسه، ص 171، 192؛ الحميري، المصدر السابق، ص 558، 600 .

⁹ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126 .

¹⁰ نوال بلمداني، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف فاطمة بلهوارى، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014، ص 83.

اشتهرت عدد من المناطق في تربية الأبقار بشكل كبير حتى أضحت رخيصة الأثمان عندهم على غرار بولعوان وقلعة مهدي¹، وهران، دلس، والجزائر، بونة². أما عن الأغنام فمراعيها كانت كثيرة في بلاد هسكورة وفي وفي جزولة وبلاد لمتونة³، وفي أراضي سلا ودكالة و وجدة⁴، وأيضا توفرت قطعان الأغنام في وهران وندرومة ودلس والجزائر والمسيلة وبونة⁵. كما لقي رعي الماعز نشاطا في مجالات متعددة مثل تفتنة وتيوت وهسكورة وجبل بوسعيد⁶ وفي بجاية⁷.

ج. الجوائح الطبيعية:

الجائحة : الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح من سنة قحط وفتنة ووباء، وأصلها من الجوح أي الاستئصال⁸.
القحط : احتباس المطر ووقوع الجذب، يسمى بالضروراء والشياح⁹.

المجاعة : مشتقة من الجوع ، ومن الفعل جاع يجوع فهو جاع وجوعان، وتدعى المجاعة بألفاظ أخرى مرادفة للمعنى مثل المسغبة والألبة والخوبة والمخمصة. كما تسمى السنوات التي تحدث فيها مجاعة بأسماء عدة مثل اللزبة والغبراء والشهباء والسنهاء¹⁰.

الوباء لغة هو كل مرض عام، جمع المقصور أوباء وجمع الممدود أوبئة ، والوبئ هو العليل، يقال وبأت الأرض توبأ وبأ ووباء ووباءة وإبائة فهي وبئة وموبوءة وموبئة أي كثيرة الوباء والمرض¹¹.

¹ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 243 .

² الحميري، المصدر السابق، ص 132، 115، 612، 163.

³ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 120، 163 .

⁴ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 238 - 242.

⁵ نفسه، ص 256 - 258؛ الحميري، المصدر السابق، ص 127، 132، 612، 588 .

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 115، 109، 124، 138 .

⁷ نفسه، ج2، ص 101 .

⁸ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، 61؛ الجوهري، المصدر السابق، ج1، 360.

⁹ نفسه، ج7، ص 374.

¹⁰ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ج3، ص15؛ الجوهري، المصدر السابق، ج3، ص1201؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص 431.

¹¹ نفسه، ج1، ص 79.

كما تستعمل ألفاظ أخرى مرادفة لمفهوم الوباء : كالفرف فيقال اقترف فلان من مرض آل فلان أي يأتيهم وهم مرضى فيصيبهم ذلك ، وقارف فلان الغنم أي رعى في الأرض الوبيئة . فالقرف هو العدوى وملابسة الداء ومدانة المرضى¹ ، لفظ الموتان في مختلف المؤلفات في العصر الوسيط دلالة على كثرة الموت جراء الأوبئة وقوتها الفاتكة .

أما اصطلاحاً فاعتبره داود الأنطاكي "تغير الهواء الى الفساد"² في حين يذكر ابن زهر أن اسم الوباء يطلق على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم وهذا لكونهم جميعاً يشتركون في شئ واحد وهو الهواء³ الهواء³ ومن أشهر الأمراض الوبائية الطاعون⁴ ، الجدري⁵ ، الجرب⁶ ، حمى المستنقعات أما عن أسباب حدوث حدوث الأوبئة وانتشارها فتعود حسب أطباء ذلك العصر إلى :

فساد الهواء ركزت مختلف المؤلفات الطبية وغير الطبية في التراث الاسلامي الوسيط على أن فساد الهواء يعد عاملاً أساسياً في حدوث الأوبئة لأن الناس يشتركون جميعاً في استنشاقه وعليه فإن فساده يعني هلاكهم بالجملة⁷ .

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 280.

² الأنطاكي، بغية المحتاج في الجرب من العلاج، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص 333.

³ ابن زهر، الأغذية، تح: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 126.

⁴ الطاعون : خلطت مختلف المؤلفات في الفترة الوسيطة بين مفهومي الوباء والطاعون وظل الأمر على ذلك إلى فترة العصر الحديث وعلى العموم يعد يعد الطاعون أحد الأمراض الوبائية فكل طاعون وباء وليس العكس، يعرف بأنه "مادة سمية تحدث وربما قاتلاً" وهو على ثلاثة أشكال الطاعون الطاعون العقدي أو الدملي والطاعون الرئوي والطاعون الدموي، انظر ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تح: حسن قارة، دار الأمان، الرباط، 2015، ص70؛ سمية مزدور، الجماعات والأوبئة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف محمد الأمين بلغيث، كلية العلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص21-22.

⁵ الجدري : مرض وبائي يعدي برائحته يظهر بثور مخصوصة مادتها ماغتنذى به الجنين من الطمث أيام الحمل أو تولد فيه بعد ذلك بسبب الأغذية العكرة والرديئة وهو من جملة الأمراض الوافدة التي تكثر بعد الرياح الحارة خاصة الصيفية ، يصاب به الصبيان بكثرة ثم الشباب ويقبل عند الشيوخ، انظر: الأنطاكي، المصدر السابق، ص 335؛ ابن سينا، القانون في الطب، تح: محمد أمين الضناوي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 90.

⁶ الجرب : يعد من الأمراض الخطيرة أيضاً ، ذكره ابن زهر باسم الصواب وهو حكة تكون في الجلد ويخرج إذا قشر الجلد من مواضع منه حيوان صغير صغير جدا يكاد يفوت الحس. انظر: محمود الحاج قاسم محمد، البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الاسلامي، دار ماشكي للطباعة، العراق، 2020، ص 43.

⁷ الأنطاكي، المصدر السابق، ص 333؛ ابن زهر، المصدر السابق، ص 126-127.

تلوث الماء يتسبب تلوث المياه في حدوث الأوبئة والأمراض السرطانية والجرب لاسيما المياه الراكدة في المستنقعات والبرك التي تتغير إلى حد النتانة¹.

المجاعات من بين أهم الأسباب المؤدية إلى ظهور الأوبئة تظهر نتيجة لتقلبات المناخ ومدى وقعه على الزرع والضرع حيث يظهر الجفاف والقحط وترتفع الأسعار أو تظهر نتيجة لعوامل بشرية كتراجع النشاط الزراعي وتدهور الأوضاع السياسية وكثرة الحروب والضرائب المجحفة².

وقد مرت بلاد المغرب عموما طيلة أربعة قرون من فترة الدراسة بموجة من الجوائح ما بين أوبئة ومجاعات وقحوط كان لها أثر كبير على المنظومة الاقتصادية ككل، وهو ما ورد عند مختلف المصادر التي تبعت أخبارها وأماكن انتشارها (أنظر الملحق رقم 1).

وأول أثر لهذه الجوائح نتحدث عليه هو الانهيار الديمغرافي الناتج عن الأعداد الكبيرة للوفيات، ودلت أوصاف النصوص³ على استنزاف بشري رهيب خاصة إذا تزامنت هذه الكوارث مع أيام الفتن والحروب مما يؤدي إلى نقص اليد العاملة في المجالين الفلاحي والصناعي بما أن الطاقة البشرية هي المحرك الأساسي في العملية الإنتاجية⁴ خاصة إذا كانت الوفيات في حذاق الصناع ومهترهم مما يهدد مستقبل عدة صنائع.

وإذا كنا سنقارن نسبة الضرر بين فئات المجتمع فأكيد أن طبقة العامة والفقراء تأتي على رأس الهرم لأنها موجودة دوما في وجه هذا المد وامكانياتها قليلة وأي مصيبة أو جائحة يكون أثرها عليها بليغا، ومع أن الموت شمل كل الفئات إلا أن الأكثرية كانت منهم، فهذا هو ابن عباد يصف ذلك بقوله " فالمعدمون كان يتخطفهم

¹ عامر حميد حمود، الأمراض والأوبئة وأثرهما على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب، مجلة الجامعة العراقية، العدد4، دت، ص 345 .

² سمية مزدور، المرجع السابق، ص 73-74.

³ يواجه البحث في المسائل الديمغرافية بالمغرب الاسلامي في الفترة الوسيطة مشكلة ندرة الاحصائيات الرقمية ذلك أن معظم مصادر الفترة اعتمدت لغة الوصف لا لغة الأرقام وبالتالي لا ترسم لنا صورة دقيقة حول الموضوع وإن كانت تفيدنا في التعرف على الوضع العام ، فمثلا وصفت لنا النصوص النتائج الديمغرافية للمجاعات والأوبئة بعبارات "ذهب بأهل الجيل"، "هلكت أمم لا تحصى"، "فشو الموتان " ، للاستفادة أكثر راجع: مجلة كنانيش، الديمغرافيا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، ع1، 1999.

⁴ محمد ياسر الهلالي، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط، مؤتمر حول المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2002، ص175؛ سمية مزدور، المرجع السابق، ص 224.

الطاعون واحدا واحدا وجماعة جماعة فلا فرق بينهم وبين القطوط والكلاب"¹، و عبر عن ذلك ابن الخطيب عند حديثه عن الوباء "ويكثر وقوعه في أهل الشظف لأمر منها ضيق المساكن وسوء التدبير وعدم التحفظ وقلة التيقظ لفشو الجهل ..."².

وبالنسبة للنشاط الفلاحي فإنه يتأثر كثيرا بسبب تقلص الأراضي الفلاحية جراء القحط والجفاف أو السيول والفيضانات³ وبالتالي يصاب المجال الصناعي بالإعاقة بما أنه يستمد بعض مواد الأولية من الفلاحة خاصة الصناعات الموجهة للاستهلاك المعيشي وعلى رأسها الحبوب، كما تتعرض المواشي والدواب للنفوق ويتقلص المجال الرعوي⁴، ناهيك عن الصراع بين القبائل على المراعي وبالتالي يفقد هذا المجال مادة أولية أخرى وبذلك لا يقدر الناس على مواجهة هذه الجوائح فترتفع أسعار المنتجات الزراعية ويفسد نظام التغذية ويزيد الوضع الصحي تأزما .

وقد لخص ابن خلدون كل شئ عند حديثه عن الطاعون الأعظم فقال " ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجليل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحامها ... وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم"⁵ أي أن الصناعات تتعطل والمصانع والورشات تغلق بخراب العمران ووفاة الحرفيين والصناع، وهذا يوافق ما ورد عند ابن عذارى في أثناء حديثه عن مجاعة 632هـ/1234م التي أضرت بمدينة مراكش بعبارة "الحوانيت مغلقة"⁶ وربما يكون عدد كبير من هذه الحوانيت مكان عمل الحرفيين مما يدل على توقف عملهم .

¹ ابن عباد، الرسائل الكبرى، مطبعة المعلم العربي الأزرق، فاس، 1320هـ، ص 130.

² ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 87.

³ محمد ياسر الهلالي، المرجع السابق، ص 177.

⁴ سمية مزدور، المرجع السابق، ص 224.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 42، 43.

⁶ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 325.

ثانيا/ العوامل البشرية:

أ. نظرة المجتمع للحرف والصنائع:

يستمد مجتمع المغرب الاسلامي مبادئه وقيمه من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف التي تحث على العمل والنشاط والبذل والعطاء وترفض الركود والكسل، فالكسب المشروع في الاسلام وجه من وجوه العبادة يقرب إلى الله ويرفع النفس عن السؤال ويعود بالنفع على الفرد والمجتمع¹، فمن خلاله تعمر الأرض وتشكل المدن ويحصل التطور والازدهار .

وقد حفلت النصوص الشرعية بما يعظم العمل والسعي في الأرض من أجل الرزق وأوصت بالإتقان والإخلاص والكسب الحلال مهما كانت الحرفة بسيطة ومن ذلك قوله تعالى "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"²، "وَآخِرُونَ يَصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ"³، "وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ"⁴ "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁵ .

ومن الأحاديث النبوية "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"⁶ يمنعه"⁶ "أحل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح"⁷ "ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل عمل يده وأن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده"⁸، وهذا الحديث الأخير يقدم نموذج عن تكسب الأنبياء والأنبياء وأن هذا من سننهم حتى وهم يحملون على أكتافهم أعباء الدعوة إلى الله وكذا شؤون الحكم والرعية فكان منهم الحداد والتاجر والحياط والنجار وراعي الغنم....

¹ السيد حنفي عوض، العمل وقضايا الصناعة في الاسلام، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1996، ص 49.

² سورة الملك، الآية 15.

³ سورة المزمل، الآية 20.

⁴ سورة الأنبياء، الآية 80.

⁵ سورة الجمعة، الآية 10.

⁶ النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تح: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 2007، ص 103.

⁷ الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 504.

⁸ ابن حنبل، مسند الامام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، ج28، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999، ص 427.

كما ضرب صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم لنا الأمثال في التحرف والتكسب وهم المشغولون بأمر الأمة وكان لكل واحد منهم صنعة معينة، وجاء في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني"¹.

ومن الأمثال المشهورة في الغرب الاسلامي عموما حول الحث على العمل وتعلم حرفة معينة :

"غبار العمل خير من زعفران العطلة"، "أخدم باطل ولا تجلس عاطل"، "صنعة ولدك ولو كان حشاش"، "الجلوس بلا شغل يعمق"، "لا حرز كالطلعة ولا كنز كالصنعة"² "من جلس بلا شغل يطلب في رأس قول عظم".

واعتبر تعلم الصنائع رمزا للمجد والمصدر الأمثل للرزق عند البعض مثل الشاعر أبي بكر البكي (ت560هـ/1164م) الذي تغنى بها بقوله :

قالوا الكتابة أعلى خطة

قلت الحجامة عند أقوام

لا يحسبوا المجد في طرس وفي قلم

المجد في صوفة أو مبضع دام³

ومن ملامح اهتمام المجتمع بالصنائع أن بعض الأسر كانت حريصة على تعليم أبنائها حرفا منذ صغرهم مثلما يفعل أهل السوس الذين يقومون بتعليم أطفالهم ونسائهم حرفا للتكسب، ونفس الأمر وجد عند صبيان مكناسة الذين يتعلمون الحياكة باكرا⁴ ، ويذكر ابن مريم عن أحمد بن محمد بن زكري أن أمه أخذته في صباه ليتعلم عند معلم الخياطة والنسيج فمكث عنده حتى تعلم الحرفة مقابل الحصول على أجرة من دار الطراز⁵ ، ونفس

¹ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مكتبة النهضة، بغداد، 1976، ص 505 .

² الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د ب، د ت، القسم الثاني، ص 393، 359، 259،

³ ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص 170.

⁴ مجهول، الاستبصار ، ص 188.

⁵ ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص 38.

ونفس الشيء نجده مع أبو العباس السبتي الذي أخذته أمه إلى معمل الحياكة ليتعلم الحرفة¹، مما يبين مكانة الصنائع في نظر العامة وحرص الأهل على تعلم أولادهم إياها.

وبلغ التعلق بالحرفة درجة أن تشترط بعض النساء في عقود زواجهن ألا يمنعهن أزواجهن من الاستمرار في ممارسة صنائعهن مثلما ورد في إحدى النوازل²، وجعل البعض تعلم الحرفة في المكانة بعد تعلم مسائل الدين وأن الذي لا يزاول صنعة لا يختلف عن الحيوان³.

ومثلت الحرفة الحل الأخير والمنقذ لمن دار عليهم الزمن وفقدوا مناصبهم وسلطانهم أو ممن تعرضوا للنفي والتهجير جراء الحروب وتقلب الأحوال السياسية مثلما حصل مع أسرة المعتمد بن عباد⁴ عند نفيهم إلى أغمات حيث اشتغلت بناته في غزل الصوف في حين مارس حفيده حرفة الصياغة⁵، وكذا مع حدث مع والي المرية أبي يحيى ابن الرميي أيام الموحدين الذي فر إلى مدينة فاس وسكن في مكان ضيق وموحش واكتسب قوته من حرفة النسخ وقد أنشد أبياتا يصف فيه ما آل إليه وضعه بعد أيام العز والجاه :

أمسيت بعد الملك في غرفة	ضيقة الساحة والمدخل
تستوحش الأرزاق من وجهها	فماتزال الدهر في معزل
النسخ بالقوت لديها ولا	تقرعها كف أخ مفضل ⁶

أما في الأوساط الصوفية يأخذ الكسب والتحرف معنا أخلاقيا و روحيا حيث يعتبر هؤلاء ممارسة الحرفة أصلا للتواضع والتعبد ونوع من تهذيب النفس وتطهيرها من صفة الكبر وكذا التقرب إلى الله ونيل الثواب من

¹ ابن المؤقت، تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، مطبعة حجرية، دت، ص 10.

² الونشريسبي، المصدر السابق، ج6، ص 212.

³ الاشبيلي، التسيير في صناعة التسفير، تح: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مج7 و8، مدريد، 1959-1960، ص 41.

⁴ هو أبو القاسم محمد بن المعتضد ثالث ملوك الدولة العبادية وآخروهم وصلت المملكة في عهده الى قمة مجدها حتى صارت أكبر ممالك الطوائف كان وراء الاستنجد بالمرابطين لدفع خطر ألفونسو السادس وتم ذلك في انتصار كبير في موقعة الزلاقة، انتهى به المطاف منفا من طرف المرابطين بأغمات حتى توفي. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 28-37.

⁵ نفسه، ص 35، 38.

⁶ المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988، ص 533، 534.

خلال لقمة الحلال، في حين عد بعضهم الكسب الحلال هو علم التوحيد وأن العمل الحلال من فرائض الدين وأصول الاسلام¹ يقول ابن القنفذ "القوت من الدين كالرأس من الجسد"².

وتعرفنا كتب التراجم عن نماذج من المتصوفة والزهاد ممن كانوا يمارسون عددا من الحرف والصنائع ويكسبون بأيديهم وقد نسب الكثير منهم إلى حرفهم كالدباغ والدباج والآبار وابن الخباز والجيار والرفاء³.

و الأمر ذاته نلاحظه مع المدرسين والفقهاء وطلبة العلم فنجد أحمد بن الحسن الغماري العابد الزاهد يكتسب رزقه من الخطابة ونسج الدوم يشتره الناس منه حزما⁴، كما مارس أبو العباس بن القطان الخياطة ثم التجارة متنقلا بين البلدان⁵، وكان الفقيه المحدث الزاهد عبد الرحمان الأنصاري يحترف الوراقة في دكان بمدينة فاس⁶.

أما في الأوساط السلطوية والحاكمة فقد نالت الصنائع أهمية كبرى عندهم بقدر أهميتها للدولة ويظهر هذا في مجموعة الأعمال والإجراءات التي قاموا بها وتمثل في :

إبقاء عبد المومن بن علي على حياة الحرفيين وأهل الأسواق عندما دخل مدينة مراكش واستباحها جنده وقال إن هؤلاء من ننتفع بهم⁷، ومرر السيف في قبيلة مكناسة جراء قيامهم بقتل الفحامين في جبلهم⁸.

تشبيد المصانع والورشات الصناعية : ويظهر ذلك في قيام الخلفاء الموحدون ببناء عدد من المصانع في كل من

¹ الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013، ص 168.

² ابن القنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، تح: نُجْد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 109.

³ ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997، ص 160، 257، 268، 319؛ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993، ص 134.

⁴ ابن مريم، المصدر السابق، ص 31.

⁵ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص 146.

⁶ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص 409.

⁷ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص 210.

⁸ نفسه، ص 210.

مراكش وفاس يقول المقرئ عن مراكش " وأكثر مصانعها ومبانيها الجليلة إنما ظهرت في مدة بني عبد المومن " ¹، وعدد الجزنائي دور الصناعة الموجودة بفاس أيام ازدهارها في عهد المنصور والناصر ² - كما سيأتي بيانه لاحقا- كما أقدمت السلطة الزيانية على بناء دار للصنعة بأمر من السلطان أبي حمو موسى الثاني سنة 767هـ/1366م حوت صنائع متنوعة حتى أصبحت "تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن دراق ورماح ودراع ولجام ووشاء وسراج ونجار وحداد وصائغ ودباج وغير ذلك ، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الأسماع وتجار في إحكام صنائعهم الأذهان" ³ .

استقدام المهرة وأصحاب الخبرات من الأندلس: كما فعل علي بن يوسف بن تاشفين ومن بعده خلفاء الموحيدين للاستعانة بهم في جل الأعمال الفنية وصنائع البناء والتشييد وبرز عدد كبير من هؤلاء ، كما جلب السلطان أبو حمو موسى الأول مجموعة من الحرفيين والفنيين الأندلسيين من غرناطة بعدما طلب ذلك من السلطان أبو الوليد بن الأحمر الذي لبي طلبه وأرسل إليه هؤلاء ليعينوه في حركة البناء والتعمير في المملكة ⁴ .

تخصيص بعض السلاطين شيئا من أوقاتهم لاستقبال الحرفيين وقضاء حوائجهم: تجلّى ذلك في قيام الخليفة يعقوب المنصور بمقابلة أمناء الصنائع مرتين كل شهر للاطمئنان على أوضاعهم وأحوال عملهم ⁵، ومن ذلك أيضا أيضا أن أبي اسحاق الخياط كان كثير التردد على السلطان يغمراسن وكان السلطان يستقبله دائما ولا يرفض له طلبا وهو كان بمثابة وسيط للرعية عند السلطان ليقضي حوائجهم مستغلا كرم السلطان تجاهه ⁶، ومن بين وصايا وصايا أبو حمو الثاني لابنه بأن يخصص أياما في السنة يتفقد فيها الفئات ذات الدور المحوري في الدولة ويستقبلهم في قصره كالشرفاء والفقهاء وأشياخ البلد وأمناء الصنائع ⁷ .

¹ المقرئ ، نفع الطيب، ج4، ص 152 .

² الجزنائي، المصدر السابق، ص 44 .

³ يحيى ابن خلدون، ج2، ص 155 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 190 .

⁵ المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 236؛ عز الدين موسى، المرجع السابق، ص 211.

⁶ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 155 .

⁷ أبو حمو موسى ، ص 152 .

ب. تنوع التركيبة السكانية:

1. البربر:

من المتفق عليه أن البربر ينقسمون إلى أصليين كبيرين البرانس والبتر تتفرع عنهما قبائل كثيرة :

البرانس أبناء برنس سكنوا المناطق الساحلية وبعض الأرياف وأكثرهم سكنوا بالمدن لذا عرفوا بالحضر ينحسرون في سبعة شعوب .

مصمودة يرجعون إلى مصمود بن برنس استوطنوا جبال وأرياف المغرب الأقصى منذ القدم ينقسمون إلى ثلاث أقسام غمارة ويسمون مصامدة الريف أو مصامدة الشمال، وأهل جبل درن، ومصامدة السهول بمنطقة تامسنا¹، ومن أشهر فروع مصمودة عموما :

هرغة اكتسبت مكانة خاصة منذ القرن السادس لارتباط اسمها بقيام دولة الموحدين باعتبارها قبيلة المهدي ابن تومرت .

تينملل تنسب إلى جبل تينملل تبنت دعوة ابن تومرت وبهذا الجبل كان مقامه .

هنتانة من أكثر المصامدة عددا وبأسا سكنت جبل درن في الجهة القريبة من مراكش .

هيلانة مضاربهم بحوز مراكش إليهم تنسب أغمات إيلان وباب إيلان بمراكش² .

وريكة مضاربهم بجوار هنتانة جنوب مراكش .

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، 275.

² البيهقي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971، ص44، 43.

دكالة استقروا على البحر المحيط وفي السهول بين وادي أم الربيع ووادي تانسيفت، اندمجوا مع قبائل بني هلال العربية منذ القرن السابع¹.

صنهاجة : من أكثر قبائل البربر عدداً وأوسعها انتشاراً يجعلها البعض في سبعين بطناً، لا يخلو مكان من بلاد المغرب من وجودهم كما يقول ابن خلدون، تشعبت هاته القبيلة إلى شكلين مدر وأهل وبر أو صنهاجة الشمال وصنهاجة الصحراء "اللتام"² ومن أشهر بطون صنهاجة :

تلكاتة من أعظم بطون صنهاجة مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية في بجاية ومسيلة وأشير إلى حمزة و الجزائر و متيجة و المدينة من فروعهم بنو مناد الذين كانت لهم الرئاسة على بطون صنهاجة المغرب الأوسط³.
بجاية مواقعها بالجبال الواقعة غرب وادي الصومام بساحلها بنيت بجاية على يد الناصر بن علناس التي ظلت تعرف باسم القبيلة.

مزغنة استقرت في ضواحي مدينة الجزائر قبل تأسيسها وبها صارت تسمى جزائر بني مزغنة⁴.

مليانة استوطنت الضفة الشرقية لوادي الشلف وعلى أرضها بنى بلكين بن زيري المدينة التي حملت اسمها .

بطبوة تواجدت أغلب فروعهم بالمغرب الأقصى ببلاد الريف حول مدينة أزموور⁵.

بني زروال موطنهم بجبل سريف بجبال غمارة .

¹ عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص 324، 326؛ شرقي نواره، الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف عبد العزيز لعرج، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2014، ص 31، 30.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص 201.

³ روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ترجمة حماد الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 36.

⁴ رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف بوبه مجاني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 36.

⁵ نفسه، ص 39، 38.

جزولة وهسكورة استوطنتا جبال درن والسوس بجوار بطون المصامدة حتى عدّهم بعض النسابة منهم¹ .

أما بطون صنهاجة الصحراء فهي لمتونة جدالة مسوفة لمطة، لمتونة امتدت مواطنهم في أقصى الجنوب، اكتسبت لمتونة مكانة كبيرة منذ القرن الخامس وأصبحت لها الرياسة والحكم اذ كان قيام دولة المرابطين بسواعدهم، أين أسسوا قاعدة حكمهم مراكش وسيطروا على المغرب الأقصى والأندلس وأجزاء من المغرب الأوسط² .

كتامة ينسبون إلى كتام بن برنس استوطنوا الأماكن ما بين إفريقية والمغرب الأوسط دخلت في نطاقهم عدة مدن مثل مرسى الخرز وميلة قسنطينة جيغل سطيف تدلس ، كما لهم بطون في المغرب الأقصى مثل قلعة ابن خروب قرب طنجة وقصر دنهاجة ومديني البصرة واصيلا . من أبرز بطونهم دنهاجة متوسة مصالة زاوية لموزة جميلة بنو تيطاسن بنو يستيسن³ .

أوربة يرجعون الى أورب بن برنس تواجدت في المغرب الأوسط ثم هاجرت أغلب بطونهم إلى المغرب الأقصى واستوطنوا بلاد الريف ووليلي عند جبل زهون وقرب وادي ورغة، ومن أبرز بطونهم لجاية نفاسة زهكوجة رغيوة مزياتة وسطة⁴ .

إزداجة مضاربهم في نواحي وهران بالمغرب الأوسط وكذا بإقليم نكور وقرب وادي سبو وما بين سبتة وفاس وفي أرض غمارة بطونهم بني مسكن ومسطاطة⁵ .

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 275، 271.

² جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2018، ص 42؛ شرقي نواره، المرجع السابق، ص 36، 37.

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 196، 195؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 165، 166.

⁴ نفسه، ص 72، 74؛ جمال طه، المرجع السابق، ص 56.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 191؛ موسى لقبال، المرجع السابق، ص 69.

قبائل البتر

زناتة من أكثر قبائل بلاد المغرب شهرة وأكبرها عددا ووطننا واتساعا، تواجدوا بسائر بلاد المغرب حتى في المناطق الصحراوية إلا أن جمهورهم كان بالمغرب الأوسط الذي كان يسمى "وطن زناتة" على اسمهم¹، ومن أشهر بطونهم:

مغراوة يقيمون ما بين الزاب وجبل راشد وما بين شلف وتلمسان وفي ناحية مراكش والسوس .

بنو يفرن أقاموا حول تلمسان وإلى جنوبها بالقرب من طنجة وسلا وتادلا و وهم من قاموا باختطاط مدينة تلمسان² .

بني واسين من بين أفخاذهم التي أصبحت ذات شأن كبير بنو مرين وبني عبد الواد وبني توجين

بني مرين تحركوا في مساحات شاسعة من بلاد الزاب إلى تيهرت إلى نواحي تلمسان إلى فكيك وملوية قبل أن يسيطروا سيطرتهم على المغرب الأقصى بعد تفوقهم على الموحديين وإعلان دولتهم هناك³ .

بني عبد الواد كانوا يعيشون في جبل الأوراس ثم إنتقلوا إلى جنوبي وهران وفي عهد الموحديين ملكوا منطقة وهران ومايلها من الغرب حتى تلمسان وهناك استقلوا بدولتهم التي أصبحت قاعدة المغرب الأوسط⁴ .

بني توجين إحدى فروع بنو يادين كانت مواطنهم بالقرب من المدينة وسهل السرو ثم جبال الونشريس إلى سعيذة وجبل راشد إلى الغرب⁵ .

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 3.

² سنوسي يوسف ابراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، شركة سعيد رأفت للطباعة والنشر، مصر، 1986، ص 63، 64، 69.

³ محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987، ص 5

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 97.

⁵ لكحل زهير، دور قبائل المغرب الأوسط في الصراع بين دول المغرب خلال القرنين (7-8هـ) بني توجين أمودجا، مجلة عصور الجديدة، مج

10، ع1، 2020، ص 143.

بنو يربان أغلبهم بالمغرب الأقصى عند ضفاف واد ملوية وكذلك فيما بين فجيج وسجلماسة وكذلك في المغرب الأوسط بجبل راشد¹.

مكناسة أبناء مكناس بن ورصطف من أبرز بطونهم ورنيقة فنصارة بني حوات بني وريدوس تمتد مواطنهم على طول وادي ملوية من منبعه الى مصبه بالبحر المتوسط بما فيها جبال تازا ونواحي تسول واليهم نسب مدينة مكناسة كما تفرق بعضهم بين قبائل المغرب الأوسط وإفريقية².

بني فاتن إحدى فروع ضريسة وتتفرع منهم قبائل معروفة مثل :

مطغرة أغلبهم بالمغرب الأقصى بعضهم في جنوب تلمسان.

كومية مواطنهم على الساحل من ناحية ارشقول وتلمسان وهي قبيلة عبد المومن بن علي وقد نقل جمهورهم الى مراكش وبقي عدد منهم في مواطنهم³.

مطماطة أكثرهم بنواحي تيهرت ووادي ونشريس ولهم فروع في افريقية والمغرب الأقصى بنواحي فاس عند جبل يعرف باسمهم .

مغيلة وهم قسمان في المغرب الأقصى ما بين فاس وصفرون ومكناسة وقسم بالمغرب الأوسط عند مصب نهر شلف في البحر⁴.

مديونة يتحركون في مجال ما بين جبل راشد وبين جبل مديونة جنوب وجدة وظلت بقاياهم في جبل تسالة

سمكان أشهر أفخاذهم زواغة كان لهم تواجد في جبال شلف وفي نواحي فاس واليهم ينسب بسبب زواغة بين فاس وصفرو وجبل كندر⁵.

¹ سنوسي يوسف ابراهيم، المرجع السابق، ص 82.

² عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص 312.

³ محمد بن مبارك الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ت، ص 182 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 162، 164.

⁵ بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها مواطنها أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 187، 360.

2. العرب:

شكل العرب عنصرا هاما في النسيج البشري في بلاد المغرب بعد البربر، وفدوا على بلاد المغرب على شكل دفعات منذ الفتح الاسلامي وتزايدوا بشكل تدريجي وهم على فرعين اليمانية والقيسية (القحطانيون والعدنانيون) ويمكننا تقسيم تواجد العرب في بلاد المغرب إلى مرحلتين :

مرحلة ما قبل الهلاليين بداية من الجند الفاتحين الذين عملوا على نشر الاسلام بالمنطقة أغلبهم كان من القبائل اليمانية بالإضافة إلى الجند الوافدين رفقة الولاة، كما ازداد عدد الوافدين مع قيام الدويلات المستقلة التي كان أغلبها دولا محلية برؤوس مشرقية استقطبت إليها جاليات عربية، حيث استقبل الأدارسة بفاس مجموعات من عرب إفريقية والأندلس من قبائل قيس والأزد ومجج ويحصب والصدف¹، كما كانت تيهرت عاصمة الرستميين وجهة لمجموعات عربية من البصرة والكوفة والقيروان، كما وجدت في إمارة نكور التي حكمتها أسرة عربية لأربعة قرون بعض العناصر العربية، وإمارات علوية في سوق إبراهيم ومتيجة والخضراء².

مرحلة الوجود الهلالي حين شهد القرن الخامس هجرات ضخمة للقبائل العربية التي حملت مسمى الهجرات الهلالية وهم قبائل بني هلال والمعلل وفزارة واشجع وجشم وبني ثور إلا أن اسم بني هلال غلب عليهم جميعا، وقد أحدثت هاته القبائل نقلة بشرية غير مسبوقة في المغرب الاسلامي³ تغيرت من خلالها ملامح تركيبة المجتمع بعد أن انساحت في مجالات المغرب وبواديه و بعد أن عمل الحكام على استمالتها وتوظيفها مثلما فعل الحماديون والموحدون⁴.

¹ شرقي نواة، المرجع السابق، ص 42؛ جمال طه، المرجع السابق، ص 59.

² مصطفى أبوضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية من الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة، دار النشر المغربية، المغرب، 1986، ص 240، 473 .

³ مثل التواجد الهلالي ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ المغرب الوسيط نظرا لتأثيراتها الكبيرة على الحياة العامة هناك وفي مختلف المجالات، وقد أشارت النصوص إلى الغارات التي قام بها هؤلاء عند دخولهم المنطقة وما صاحبها من عمليات السلب والنهب وتخريب لل عمران والمجالات الزراعية مما أثر تأثيرا بالغا على حركة التمدن في إفريقية والمغرب الأوسط وساهم في تعطيل الحركة التجارية وفي انتشار الحرف ذات الطابع البدوي . للمزيد أنظر : كمال خلفات، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مج 10، ع1، 2020، ص 132- 146 .

⁴ أبو مصطفى ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدون وبني مرين ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982، ص 61 .

المقل ينسبهم ابن خلدون إلى عرب اليمن في حين ينسبون أنفسهم إلى جعفر بن أبي طالب وعدهم البعض فرعا من بني هلال، استوطنوا فيافي وقفار المغرب في تاوريرت وسجلماسة ودرعة والسوس وكذلك ما بين تلمسان وتازة وتادلا ومكناس ينقسمون إلى ثلاث بطون ذوي منصور ذوي حسان ذوي عبيد الله استولوا على قصور السوس وتكورارين وتوات وتمنيط ووارجلان بعد انتقال زناتة إلى الأمصار، وتواجد أحد فروعهم وهم الثعالبة في متيجة بنواحي الجزائر¹.

بني هلال وينقسمون إلى بطون عديدة:

قبائل رياح : ينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر² كانت أعدادهم كبيرة منذ دخولهم بلاد المغرب من أهم فروعهم مرداس بن رياح وسعيد بن رياح وعمر بن رياح وعامر بن رياح، أقاموا في إقليم الزاب ومقرة ونقاوس والمسيلة وإلى الجنوب في واركلا وكذلك ما بين قسنطينة وبجاية³، كما تواجدوا في بلاد الهبط الممتدة إلى ساحل البحر المحيط بعد أن غربهم المنصور من إفريقية وأسكنهم هناك⁴.

قبائل زغبة : يرجعون إلى زغبة بن ربيعة بن نهيك بن هلال سيطروا على مجالات واسعة في المغرب الأوسط حيث، ذكر ابن سعيد أنها تمتد من غرب بجاية إلى تلمسان⁵، يتفرقون إلى بطون عدة منهم يزيد ومالك وعامر وعروة .

استوطن بنو يزيد بلاد حمزة وضواحيها منذ أن أقطعها إياهم الموحدون في حين استقرت قبائل حصين في نواحي المدينة وأشير أما بنو مالك فملكوا بلاد توجين عدا جبل الونشريس وفي سهول غرب مليانة وتاسالة

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 77؛ أبو مصطفى ضيف أحمد، المرجع السابق، ص 223، 224.

² ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص275.

³ ابن سعيد، بسط الأرض في الطول والعرض، تح: خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص77؛ أمين كرتالي، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الاوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف مختار حساني، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2017-2018، ص 77، 78.

⁴ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 151.

⁵ ابن سعيد، بسط الأرض في الطول والعرض، ص 79.

وميلانة وكيدزة بالقرب من وهران¹، وبنو عامر كانت مواطنهم في آخر المغرب الأوسط شرقاً ثم نقلهم يغمراسن إلى جنوب تلمسان مما يلي قبائل المعقل، في حين قبائل عروة يسكنون الصحاري والقفار ماعدا فرع منهم سكنوا بجبل المستند².

قبائل الأثيج : ينتسبون إلى الأثيج بن ربيعة بن نهيك بن هلال عددهم كبير وبطونهم كثيرة منها الضحاك وعباض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة، انتشرت بطونهم في جبل الأوراس وبلاد الزاب وكذلك ببلاد تامسنا بوادي أم الربيع بالمغرب الأقصى بعد أن غرب المنصور بطون العاصم ومقدم إليها³.

جشم : هم جشم بن معاوية أبي بكر بن هوازن أقاموا بإفريقية إثر دخولهم بلاد المغرب ثم نقل الموحدون أعدادا كبيرة منهم إلى المغرب الأقصى وأنزلهم بتامسنا ما بين سلا ومراكش وجنوبا جبال درن يفترقون إلى بطون منهم سفيان وبني جابر إضافة إلى الخلط الذين ينتسبون إلى بني المنتفق من بني عامر لكن صاروا في عداد جشم، نزلت قبائل سفيان بأطراف بلاد تامسنا مما يلي آسفي وبعض منهم نزحوا إلى السوس وقفاره أما بنو جابر فأقاموا بسفح الجبل المطل على تادلا في حين استقرت الخلط في بسائط تامسنا⁴.

قبائل سليم : بقيت في إفريقية باستثناء قبيلة عوف التي تقدمت إلى ناحية عنابة منذ القرن الثامن ولهم مساكن في ميلة وتبسة وجنوب سطيف⁵.

3. الأندلسيون :

تواجد العنصر الأندلسي في بلاد المغرب منذ القرون الأولى وذلك لسهولة التواصل بين الإقليمين نظرا للعلاقات الوثيقة التي تربطهما فعلى غرار التبادل التجاري النشط بينهما تمثل بلاد المغرب معبرا هاماً للحجاج وظلت ملجأ هاماً للفارين والمهاجرين والمعارضين .

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص58،55؛ أبو مصطفى ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدون وبني مرين، ص 213، 217.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص68، 75؛ أمين كرتالي، المرجع السابق، ص 79.

³ أبو مصطفى ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدون وبني مرين، ص 229.

⁴ جمال طه، المرجع السابق، ص 63، 64.

⁵ محمد المبارك الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 158؛ أمين كرتالي، المرجع السابق، ص 81.

مر التوافد الأندلسي بمراحل على حسب الظروف والأوضاع لذا يكمن أن نقسم هاته المراحل إلى قسمين مرحلة ما قبل موقعة العقاب ومرحلة ما بعد العقاب بالإضافة إلى مرحلة ما بعد سقوط غرناطة والتي لا تدخل في النطاق الزمني للدراسة .

مرحلة ما قبل العقاب:

من بين أولى الهجرات الأندلسية التي رصدتها لنا المصادر هجرة الربضيين إلى مدينة فاس على إثر الثورة التي قاموا بها في قرطبة والتي أمخدها الحكم الأول¹ (180-206هـ/796-821م) وطرد من قاموا بها² فنزل عدد منهم بفاس بعد ترحيب إدريس الثاني³ بهم وسميت الناحية التي استقروا بها بعدوة الأندلسيين وقد ذكر ابن أبي زرع أن عددهم كان كبيرا بلغ ثمانية آلاف بيت⁴.

كما استقر عدد من الأندلسيين على سواحل المغرب الأوسط وتأثيرهم كان واضحا منذ البداية تمثل في إنشاء مدن مثل تنس ووهران فقد قام سكان البيرة وتدمير ببناء تنس 262هـ/876م⁵، كما شيد جماعة من الأندلسيين مدينة وهران سنة 290هـ⁶ بالاتفاق مع القبائل البربرية، في حين قام آخرون بإعمار مدينة أرشقول التي كانت قد خربت من طرف الفاطميين. ووجدت جماعات من الأندلسيين في مرسى الدجاج وبونة⁷ وفي

¹ هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية ثالث أمراء الدولة الأموية بالأندلس أمه أم ولد اسمها زخرف ولي بعد أبيه سنة 180هـ حكم 26 سنة كان كثير الحزم الشدة أديبا وخطيبا مفوها، تمكن من القضاء على عدة ثورات أخطرها ثورة عماء سليمان وعبد الله وثورة أهل طليطلة، وأهل الرض الذين أوقع بهم مقتلة شديدة وهدم ديارهم لذا سمي بالحكم الرضوي. أنظر: ابن الأبار، *الحلة السيرة*، تح: حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص43؛ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق -العصر الأول، القسم الأول- ص 230-250.

² ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص 69.

³ هو إدريس الثاني بن إدريس الأول بن عبد الله الكامل، ولد بعد اغتيال أبيه من طرف العباسيين تولى الوصاية عليه مولاة راشد ثم أبو خالد بن يزيد العبدوي إلى أن تولى الحكم بلغت الدولة الإدريسية في عهده أقصى اتساعها وأجد أيامها ثم تفرقت البلاد على أولاده بعد وفاته. أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص 213؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 24-40.

⁴ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 47.

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 61.

⁶ نفسه، ص70؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 385؛ محمد سعداني، *الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من ق7 الى ق9هـ*، ق9هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016، ص 82.

⁷ عبد الكريم طهير، *التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين (ق5-ق7هـ)*، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف قدور وهراني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017، ص 39.

تیهرت عاصمة الرستميين في حين كان حضورهم كبيرا في بجاية حيث وصفها البكري بقوله "آهله عامرة بأهل الأندلس"¹.

وبعد قضاء المرابطين على دويلات الطوائف هاجر عدد من ملوكها إلى المغرب الأوسط مثلما فعل حاكم المرية² معز الدولة بن صمادح الذي لجأ الى بجاية عاصمة بني حماد مع جماعة من خاصته وأهله وقد رحب به المنصور وأقطعه دلس ليكون حاكما عليها³.

أما في فترة حكم المرابطين والموحدين فطبيعي أن يكون الاحتكاك بين الأندلسيين والمغاربة كبيرا باعتبارها فترة الوحدة السياسية بين المغرب والأندلس حيث التوصل يكون سلسا كما أنها فترة بداية السقوط للمدن الأندلسية في يد النصارى وما نجم عن ذلك من هجرات، وحدثت في هذه الفترة أيضا هجرة من نوع خاص تمثلت في إبعاد وترحيل مجموعات كبيرة من نصارى الأندلس نحو مدن المغرب بأمر من علي بن يوسف بن تاشفين⁴ وبفتوى ابن رشد الجدل واستقروا بسلا ومكناس وغيرها⁵.

ب. مرحلة ما بعد العقاب:

من أبرز الهجرات التي وثقت في عهد الموحدين بعد هزيمة العقاب (609هـ/1212م) تلك التي كانت في عهد الرشيد (630-640هـ/1232-1240م) حيث توافد سكان مدن بلنسية⁶ وشقر وشاطبة⁷ وغيرهم بعد

¹ البكري، المصدر السابق، ص 82.

² مدينة عظيمة على ساحل البحر متقنة البناء بجمية الشكل، وهي مدينة مستحدثة إذ بناها المسلمون، حتى أصبحت مقصد التجار، اشتهرت بصناعة القطع البحرية حتى أصبحت قاعدة الأسطول أيام المرابطين. أنظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، مدريد، 1983، ص 77.

³ بن بلكين، التبيان، تح: ليفي برونفسال، دار المعارف، مصر، دت، ص 167.

⁴ هو أبو الحسن علي بن يوسف ولد بسبتة من أم رومية، اختاره أبوه وليا للعهد سنة 495هـ ولم يكن يومها أكبر ابنائه إذ اتسم بالورع والفهم والعزم، والعزم، استلم الحكم بعد أبيه سنة 500هـ استأنف الجهاد بالأندلس وكانت للمسلمين في أيامه غزوات في قشتالة وأراضي البرتغال، في عهده ظهر ابن تومرت وما كان بينه وبين الفقهاء من المناظرة وصولا الى جمعه للقبائل وإعلان الثورة التي أطاحت بحكم المرابطين. أنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ص 58.

⁵ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 24؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 56.

⁶ مدينة سهلية تقع شرق الأندلس تعد من كبريات المدن هناك، تبلغ المسافة بينها وبين قرطبة 16 يوما عن طريق بجانة، بينها وبين البحر 3 أميال، استولى عليها الاسبان سنة 636هـ. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 97.

⁷ مدينة جبلية حصينة كثيرة الثمار لها قصبستان منيعتان، اشتهرت بصناعة الورق ذات الجودة العالية. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 337.

بعد سقوطهم واستقروا في مدينة رباط الفتح وذلك بمرسوم من الخليفة يأذن فيه لهم بالسكن في المدينة وموفرا لهم الحماية والرعاية¹.

وتوالت دفعات المهاجرين على عاصمة الزينيين منذ بداية دولتهم واستقبلوا بترحيب كبير من طرف سلاطين المغرب الأوسط، فقد قام يغمراسن (633-681هـ/1236-1283م) بإصدار مرسوم حول مهاجرين قدموا من شرق الأندلس تضمن العناية بهم وإكرامهم وإسكانهم وتقريب أعيانهم²، كما ذكر لنا ابن خلدون مجموعة أخرى من المهاجرين قدمت من قرطبة إلى تلمسان من بينها أسرة بني الملاح³ التي بلغت حظوة ونفوذ في تلمسان⁴، كما احتفى السلطان أبي العباس أحمد (834-866هـ/1431-1462م) بجاليات أندلسية قدمت قدمت عليه حيث أسكن عليه القوم وأشرفهم في تلمسان وخص الحرفيين والتجار بحجى يكون مقرا لسكنائهم عرف بدرب الأندلسيين⁵.

وبما هؤلاء الأندلسيون قد قدموا من بلاد بلغت أدوارا متقدمة في الحضارة والمدنية فأكيد أن حضورهم يعطي فاعلية وحركية في مختلف المجالات ومن بينها الحرف والصنائع فأهل الأندلس " صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية"⁶ كما وصفهم ابن غالب و "يتملكون كفاءة تختار لها الأذهان"⁷ "...ومتى دخلوا في شغل شغل عملوه في أقرب مدة وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد⁸....".

¹ محمد رزوق، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، مطابع افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط3، 1998، ص 35.

² محمد سعدان، المرجع السابق، ص 95.

³ من أبرز الأسر الأندلسية التي استقرت بالمغرب الأوسط نالوا تقدير سلاطين بني زيان حتى قلدوهم مناصب كبرى في الدولة كالوزارة والحجابه كما احترفوا سك العملة وكانوا على رأس دور السك ومن بين أفراد هاته الاسرة محمد بن ميمون الملاح وولده محمد الأشقر وولده إبراهيم وعمه علي بن عبد الله، تعرضوا للاغتيال برفقة السلطان أبو حمو موسى الأول من طرف ابنه أبا تاشفين وأعلاجه. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 140.

⁴ نفسه، ج7، ص 106.

⁵ ابن مريم، المصدر السابق، ص 135؛ محمد سعدان، المرجع السابق، ص 96.

⁶ المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص 151.

⁷ المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص 152.

⁸ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 155.

4. اليهود :

يمكن تقسيم العنصر اليهودي المتواجد في بلاد المغربين إلى قسمين :

اليهود الأهالي: وهم اليهود الموجودون في البلاد منذ عهد قديمة وكان هذا نتيجة مجموعة من الهجرات المتواصلة حسب الظروف السياسية والاقتصادية مثل هجرة اليهود بعد الإفلات من السبي البابلي 586 ق م ، كذلك هجرات 320م بعد استيلاء بطليموس على القدس والهجرات الشهيرة بعد دمار الهيكل في ق 1 م بالإضافة إلى نزوح يهود إسبانيا بعد طردهم من طرف القوط الغربيين¹ ، وقد ترسخت جذورهم في المنطقة وامتزجت عقليتهم نوعا ما مع التراث البربري والعربي وقد أطلقوا على أنفسهم اسم التوشاييم أي اليهود الأهالي².

يهود الأندلس: وهم اليهود الذين طردوا من الأندلس بعد تراجع حكم المسلمين هناك وصدور قرارات الطرد الجماعي من طرف الملوك الكاثوليك وكانت أعدادهم كثيرة، اتسم بعضهم بالعلم والثقافة والنفوذ ويسمون بالميجوراشيم وتعني بالعبرية المطرودين، وتختلف تشريعاتهم الدينية عن يهود التوشاييم ويدعون أيضا بالكابوسيين نسبة إلى الكبوسة الحمراء التي يضعونها على رؤوسهم³.

كانت أعداد اليهود في المغرب الأقصى أكبر من المغربين الأوسط والأدنى، وتعد مدينة فاس من أكثر الأماكن التي شهدت تواجدا يهوديا وقد تحدثت المصادر عن كثرة اليهود بها حيث وصفها البكري قائلا وهي أكثر البلاد يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق⁴ ، وقد استقروا في المدينة منذ تأسيسها ثم بدأت أعدادهم تتزايد

¹ هم إحدى القبائل الجرمانية التي اجتاحت أراضي الامبراطورية الرومانية وانتهى بهم المطاف الى اتخاذ اسبانيا مملكة لهم ومدينة طليطلة قاعدة حكمهم حكموا حوالي قرنين واعتنقوا النصرانية منذ نهاية ق4 م، أزال المسلمون دولتهم يوم فتحهم الأندلس. أنظر: مُجد عبد الله عنان، المرجع السابق، العصر الأول- القسم الأول، ص 28-30.

² فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين 7-9 هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف خالد كبير علال، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009، ص60؛ أحمد الشحات هيكل، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، 2007، ص 12، 14.

³ عبد الصمد حمزة، أهل الذمة في الدولة الزيانية، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إشراف مُجد بوركية، كلية العلوم الانسانية والاسلامية والاسلامية ، جامعة وهران 1، 2017، ص 147.

⁴ البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت، ص 118.

وتشكلت بها طبقة يهودية ثرية¹، وقد تم نقلهم من طرف السلطان المريني أبو سعيد إلى فاس الجديدة². ووجد في مراكش حي خاص باليهود يحتوي أكثر من ثلاثة آلاف منزل وقد نقل هذا الحي إلى القرب من باب أغمات³، وسكنوا بأعداد كبيرة في أغمات إبلان⁴، وتواجدت أعداد منهم في مدينة تازا، وفي مدينة تغزة قدروا بحوالي مئتي بيت، وفي أزمو أكثر من أربعة آلاف أسرة، وذكر في مدينة باديس شارع طويل خاص بهم، وسكنوا في مدن السوس الأقصى مثل تكاوست وتيدسي وماسة، وكذلك في مدن إقليم حاحا على غرار تدنست وإديكيس⁵، وعاشت جماعات يهودية كبيرة في المدن التجارية المهمة في جنوب المغرب الأقصى كدرعة التي كان أغلب تجارها يهود كما يقول الحموي⁶، وسجل ماسة التي عرفت بنشاطها التجاري مع بلاد السودان وقد زادت نسبة اليهود بها بما منذ القرن الرابع⁷.

أما بالمغرب الأوسط فأكثر المناطق التي شهدت تواجدا يهوديا تلمسان عاصمة الزيانيين⁸، بالإضافة إلى مدينتي وهران والجزائر خاصة يهود الأندلس، ومن بين المدن أيضا بجاية وقسنطينة وتنس ومجانة والمسيلة وبسكرة وتاهرت ومستغانم وندرومة⁹، كما استوطنوا الأقاليم والمدن الصحراوية ذات النشاط التجاري كورجلان وتوات وتمنطيط وتقرت¹⁰.

بالنسبة للمغرب الأوسط لا نجد ذكرا للحارات باستثناء يهود تلمسان الذين سمح لهم السلطان بالإقامة في مدينة تاكرارت في مكان يسمى المرجة¹¹، أما في المغرب الأقصى فقد عرفت أحياء اليهود بها باسم الملاح مثل

¹ عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2001، ص 75.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 414.

³ مارمول كارفخال، **افريقيا**، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989، ص 55.

⁴ الادريسي، المصدر السابق، ج1، 235.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص358، 328.

⁶ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 451.

⁷ الحميري، المصدر السابق، ص 306؛ حاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، دار الثقافة، المغرب، 1987، ص 11.

⁸ سميرة نميش، المرجع السابق، ص 44

⁹ فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 63.

¹⁰ عطا أبورية، **اليهود في ليبيا وتونس والجزائر**، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 203.

¹¹ عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص 152.

ملاح فاس الذي أمر ببنائه السلطان أبو سعيد عثمان في فاس الجديدة، انتشر هذا النوع من الأحياء في مدن المغرب الأقصى كمراكش وتكاوست وتازة وباديس ونفزة وأزمور¹.

و زاد نفوذهم أكثر لما كان لهم من أثر ودور تجاري وسياسي خاصة في المغرب الأقصى مستغلين تساهل وتسامح بعض الحكام معهم والذي وصل إلى حد إسقاط الجزية عنهم كما فعل السلطان أبو الحسن المريني (731هـ/1330م) بل استخدموا في أعلى المناصب كالوزارة والحجاجة وصاحب الشرطة²، واستفحل الأمر أكثر مع ضعف السلطة المركزية في المغرب حيث زادت قوة اليهود وسطوتهم وتحكموا في رقاب المسلمين وجباية أموالهم³.

اشتهر اليهود بمعرفتهم لبعض الصنائع منذ القدم، ولعل ذلك يعود إلى تعاليم دينهم التي تفرض عليهم تعليم أبنائهم حرفة منذ صغر سنهم⁴، أو ربما إلى تشتتهم وتنقلهم المتواصل بين مدن العالم والذي أدى إلى احترافهم لمختلف المهن خاصة ذات الدخل الوفير لكي لا يحتاجون إلى أحد وتبقى المجتمعات في حاجة إليهم دوما⁵.

5.النصارى :

ارتبط ظهور النصرانية ببلاد المغرب عموما بالحقبة الرومانية أين وصلت إليه منذ القرن الثاني عن طريق الرهبان القادمين من المشرق وإيطاليا، في البداية انتشرت في المدن الساحلية ثم انتقلت إلى المناطق الداخلية عن طريق الجنود⁶.

¹ عطا علي رية، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر، دمشق، 1999، ص 81.

² فاطمة بوعمامة، المرجع السابق، ص 261.

³ تجاوزت سطوتهم الجانب المالي والتجاري بل صارت بعض المناطق تحت حكمهم وادارتهم، وهو ما أثار سخط الرعية وبعض العلماء وعلى رأسهم عبد عبد الكريم المغيلي الذي عرف بشدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث عمل على رد الاعتبار للمسلمين ووضع اليهود في النطاق الذي وضعهم فيه الشرع وقام بحملته الشهيرة عليهم وقد أيده بعض العلماء كأبو عبد الله الرضاغ وابن زكري وأبو زكرياء الغماري والتنسي في النازلة المعروفة بنازلة يهود توات، وفي المقابل وقف ضده أيضا بعض الفقهاء كالقاضي العصوني مثلا . أنظر : الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 214-254.

⁴ حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 74.

⁵ حسن ظاظا، محمد عاشور، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، دب، 1975، ص 113.

⁶ حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، دت، ص 28؛ بديعه الخرازي، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص 13

وقد مرت المسيحية بظروف وحوادث عديدة منذ عهد الرومان والوندال والبيزنطيين وصولا إلى مرحلة الفتح الاسلامي¹، ويبدو أنها لم تلق ذلك الرواج الكبير وظلت محصورة في مجموعات قليلة، ومن أبرز المدن التي استقطبت جاليات مسيحية بونة ذات الاشعاع الديني وقسنطينة وطبنة ومليانة وطنجة وسبتة وأغمات وأصيلا ومنطقة تامسنا وفاس وتمودة التي أصبحت منذ ق 4هـ مركزا أسقفيا².

وبعد الفتح الاسلامي رحل العديد من النصارى ورجال الدين ومن بقي منهم عاهد المسلمين مقابل الجزية وعاشوا كقلة قليلة منذ حكم الدويلات الاسلامية في المغرب، وفي عهد المرابطين ازداد عدد النصارى بعد الاعتماد عليهم في الحراسة والجيش بالإضافة إلى نصارى الأندلس الذين أبعدهوا إلى المغرب³، وهكذا بدأ العنصر النصراني يظهر على أشكال مختلفة وهي كالتالي:

. المرتزقة : صار جلب المرتزقة النصارى للعمل في الجيش أمرا اعتياديا في المغرب منذ حكم المرابطين، ونفس الأمر تكرر مع الموحدين حيث انضمت فرقة النصارى إليهم وقد أشار صاحب الحلل وجود إلى العنصر الرومي في الجيش الموحي منذ حكم عبد المومن بن علي⁴، وقد تضاعف الاعتماد عليهم في عهد المأمون وظلت أعدادهم في تزايد حتى أواخر الحكم الموحي وكانت لهم أدوار كبيرة في قمع ثورات القبائل والتمردات المستمرة⁵.

وبعد سقوط الموحدين انضمت فرق المرتزقة النصارى إلى كل من المرينيين والزيانيين إضافة إلى فرق أخرى تم استقدامها فيما بعد، وتم الاعتماد عليهم في الحراسة السلطانية وفي عمليات إخماد الثورات، وكان توظيف هؤلاء

¹ من بين الأحداث تعرض المسيحية إلى الاضهاد في عهد كل من الامبراطورين دكيوس ودقلديانوس مما أدى إلى ارتداد كثير من سكان بلاد المغرب عنها، كما شهدت المسيحية في المغرب ظهور الحركة الدونانية المنشقة عن الكنيسة الرومانية وما جرى بين أنصارها من مواجهات دامية، وكذا طبعت الكنيسة المغربية بالمذهب الأريوسي مع الوجود الوندالي. أنظر: بديعة الخرازي، المرجع السابق، ص 16-17؛ شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي الى نهاية دولة الموحيين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بن عميرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2012، ص 19-21.

² نفسه، ص 27-28.

³ مجهول، الحلل الموشية، ص 131، 90.

⁴ نفسه، ص 138.

⁵ سميرة نميش، أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (ق6هـ- ق10هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف محمد بوشقيف، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018، ص 51-52.

عموما يتم وفق اتفاقيات مع ملوك أوروبا، وقد أقام الجنود المرتزقة في أحياء خاصة تعرف بربض النصارى بمارسون شعائهم الدينية بحرية ومعفون من الضرائب¹ .

. الأسرى: يعود مصدر هؤلاء الأسرى النصارى إلى الحروب مع نصارى الأندلس وغيرهم من بلدان أوروبا وإلى عمليات القرصنة المتبادلة وكذلك إلى تجارة الرقيق التي تدر الآلاف من العبيد والجواري²، وتظهر أهمية الأسرى أنهم عادة ما يعتمد عليهم في أعمال البناء وبعض الحرف وهذا ما حصل في أيام أبو تاشفين الذي أشركهم في عدد من الأشغال ورفض تسريحهم إلى ملك أرغون حيث كان هؤلاء "نجارين وبنائين أو زواغين وزليجين وغير ذلك..."³.

. التجار: أصبح حضور التجار النصارى في المغرب كثيفا منذ ق 6هـ وهذا من خلال اهتمام سلاطين المغرب بالتجارة وربط العلاقات التجارية مع الدول الأوروبية منذ عهد الموحدين ثم الزيانيين والمرينيين وأصبحوا بذلك يمثلون جالية مستقرة في بلاد المغربين وفق اتفاقيات ومعاهدات دولية⁴ .

6. العبيد:

استعملت المصادر مصطلح المماليك أو العلوج للدلالة على العبيد البيض وألغاز مثل الزنج وجنادة على العبيد السود، وقد كان وجود في المغربين الأوسط والأقصى معتبرا استغلت طاقاتهم في مختلف الأعمال والأنشطة سواء كجنود وحراس أو في أعمال البناء وفي خدمة القصور والمنازل أو في بعض الورشات⁵ .

تعد الحرب العامل الأول في عملية الاسترقاق وتورد لنا النصوص نماذج عن أعمال السبي والاسترقاق بعد كل غزوة ومعركة سواء على المستوى المحلي أو المستوى الخارجي⁶، وكما هو الحال أيضا مع عمليات القرصنة في عرض البحر، وتمثل التجارة هي الأخرى مصدرا مهما في تواجد العبيد في بلاد المغرب ومن بين المراكز المهمة في

¹ سميرة نميش، المرجع السابق، ص 52؛ عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص 54-56.

² سميرة نميش، المرجع السابق، ص 54.

³ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 134؛ التنسي، المصدر السابق، ص 104.

⁴ عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص 102-106؛ سميرة نميش، المرجع السابق، ص 104-108.

⁵ ابراهيم القادري بوتشيش، الاسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص 130-131.

⁶ عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004، ص 129.

تجارة الرقيق سجللماسة وورجلان المرتبطتان بالتجارة مع بلاد السودان ومن خلالهما يتدفق الرقيق على مدن المغربين¹ وكذلك المدن الساحلية المرتبطة بالتجارة مع أوروبا ومختلف المناطق وهكذا صار العبيد متواجدا في المغرب على ثلاثة أشكال:

. العبيد الأسود توافد منذ فترات مبكرة نظرا للعلاقات التجارية الوطيدة مع بلاد السودان وصار موجودا في مختلف المدن كفاس ومراكش وتلمسان².

. العبيد الأوروبي من إفرنج وروم ومن إسبانيا النصرانية يجلبون عن طريق التجارة أو من خلال القرصنة أو من الحروب مع نصارى الأندلس³.

. العبيد المحلي وهو السبي المحلي الناتج عن الصراعات السياسية المتواصلة أو من حركات التمرد وعصيان القبائل مما يؤدي إلى استرقاق الأحرار من المسلمين، وذكرت النصوص نماذج من عمليات السبي والاسترقاق عقب المعارك⁴.

ج. الحروب:

تعد الحرب من الجوائح البشرية التي طالما جلبت الويلات على الشعوب والمجتمعات نظرا لعداها انعكاستها الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية، فهي لا تختلف كثيرا عن الكوارث الطبيعية من حيث الضرر ودرجة الخراب بل تربطها أحيانا علاقة سببية بهذه الكوارث⁵، خاصة ونحن نتحدث عن بلاد المغرب في العصر الوسيط حيث أن الحرب كانت جزءا كبيرا من نمط الحياة وأداة لاستعراض عضلات القوة وجلب الأموال للخرينة فهي تحدث بشكل دوري وبصورة تكاد تكون دائمة، بل لا نكون مبالغين إن قلنا أن كل شيء في تلك الفترة قد طبع بطابع الحرب سواء من ناحية طابع البناء والعمران أو من ناحية نوع الاقتصاد الذي وجه لخدمة الأهداف العسكرية⁶

¹ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126؛ جمال طه، المرجع السابق، ص 85.

² عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص 200-216.

³ فوزية كرزاز، المرجع السابق، ص 44-45.

⁴ مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 143، 147؛ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 22، 310، 346.

⁵ الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 93، 97.

⁶ حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009، ص 84، 164، 229، 166.

والذي أضحي يطلق عليه "اقتصاد الغزو"¹ مما أثر تأثيرا بالغا على مختلف القطاعات الإنتاجية ومن بينها الإنتاج الصناعي.

و لم تكن هاته الحرب مفتوحة على جبهة واحدة أو عدو واحد بل شملت الصراع السياسي بين الجيران والحروب المحلية ضد المتمردين والانفصاليين وضد القبائل الثائرة وكذا الصراع الأسري المتواصل حول الحكم إضافة إلى العدو الواضح خلف البحر مما يؤدي في الأخير إلى استنزاف مالي وبشري رهيب للدول وتراجع اقتصادي وعمراي كبير، وللك أن تتخيل أن الفترة الانتقالية بين حكم الموحدين وحكم بني مرين استغرقت نصف قرن من الزمان وكانت عبارة عن اضطرابات متواصلة وفتن وحروب، وقبلهم أيضا تطلب الموحدون ربع قرن لقلب الحكم لصالحهم على حساب المرابطين بعد سلسلة من المعارك².

بالنسبة لآثار الحروب فإنها تحدث تراجعا كبيرا في العنصر البشري جراء الأعداد الكبيرة من القتلى ، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما خلفته موقعة العقاب (609هـ/1212م) المأساوية من انهيار ديمغرافي وصفه كل من صاحب الحلل الموشية وابن أبي زرع بقولهما "فني فيها أهل المغرب والأندلس"³ "وخلى المغرب من أهله ورجاله فأقفرت بلادهم فعمرها اليوم والسباع والذئاب"⁴.

تعرض المنتوج الفلاحي الذي يعد معاش السكان الأول والمادة الأولية لعدد من الصنائع إلى التخريب والفساد مما يؤدي الى حدوث المجاعات خاصة في أوساط الفئات الهشة وبما أن في هذه الفترات يصعب حتى تأمين الغذاء⁵ فإن عددا من الصنائع يتوقف فما بالك بالصنائع الكمالية، وتصف لنا النصوص مظاهر التخريب التخريب الذي مس المحاصيل الزراعية أيام الغارات والحروب على غرار تعرض بعض المناطق كمراكش لغارات

¹ ظهر هذا المصطلح في كتابات كل من محمد عابد الجابري، وإبراهيم القادري بوتشيش والحسين بولقطيب . أنظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994ص404؛ الحسين بولقطيب، أسلوب الانتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة شعيب الدكالي، ع2، المغرب، 1995، ص 82.

² محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، الرباط، 2006، ص 143.

³ مجهول، الحلل الموشية، ص 161.

⁴ ابن أبي زرع، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، د ن، الرباط، 1972، ص 26

⁵ بختة خليلي، الفقر بالمغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبيد بوداود، كلية العلوم العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة اسطبولي، معسكر، 2015-2016، ص 88.

يعقوب بن عبد الحق المريني حيث نهب زروعهم وقطعت أشجارهم¹، وما ألحقه عرب الخلط بمراكش والحوز " شرعوا في تدمير البحائر وقطع مياهها وشجراتها"²، وما حصل بسهل تامسنا المعروف بالخصب جراء غارات بعض القبائل العربية عليه " فاجتثوا قائم شجره وارتعدوا مدرك زرعه ولم يتركوا به نافخ ضرمة"³، وفعلت حملة عثمان بن يغمراسن فعلتها بفلاحة بجاية فقد " قطع جناحتها وأحرق قراها وقفل"⁴ وما خلفه الجيش المريني بقرى وأحواز تلمسان سنة 670هـ/1271م من إفساد وتخريب للمحاصيل "فقطعوا الثمار والجناات وخربوا الرباع وأفسدوا الزرع وحرقوا القرى والضياع حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم"⁵.

الجيلولة بين الصناع والمواد الأولية حيث يتعرض سكان المدن إلى ضيق شديد في أيام الحصار المفروض عليها، أين تتعرض مؤنهم للنفاد ولا يستطيعون التزود بأي مادة من خارج المدينة سواء كانت زراعية أو معدنية أو حيوانية بالإضافة إلى أهم شيء وهو الماء مما يشكل خطرا كبيرا على أرواحهم وعلى أنشطتهم، ومن الشواهد التي قدمتها النصوص حصار مراكش من طرف عبد المومن بن علي والذي دام لتسعة أشهر قبل السيطرة عليها وصف صاحب الحلل نتائجه الكارثية على سكان المدينة حيث نفذ طعامهم وهدمت حيواناتهم حتى اكل الناس بعضهم وأعداد منهم ماتت جوعا⁶، وكذلك ما حدث مع مكناسة عند حصارها من قبل أبو بكر المريني "ضيق عليها بقطع المرافق وترديد الغارات ومعاودة الحرب"⁷، و من أكثر المدن التي تعرضت للحصار مدينة تلمسان خاصة من طرف المرينيين أشهرها الحصار الطويل بقيادة يوسف بن يعقوب والذي يعد ظاهرة غير مسبوقة في التاريخ الوسيط نظرا لطول مدته وهول انعكاساته حيث دام ثمانية سنوات من 698-706هـ/1299-1307م وصفت المصادر ما أصاب أهل تلمسان أثناءه من الضيق والشدة والجوع والجهد وارتفاع الأسعار⁸.

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 305.

² ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 319.

³ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج3، ص 109.

⁴ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 230.

⁵ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 311.

⁶ مجهول، الحلل الموشية، ص 137.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 228.

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 113؛ التنسي، المصدر السابق، ص 132؛ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 231،

السللاوي، المصدر السابق، ج3، ص 86.

تدمير المدن ودور الصناعة مثلما فعله عرب الخلط من تخريب لورشات الحرفيين بمراكش 632هـ 1234م¹ أو ما أحدثه الصراع بين العادل والمأمون بمدينة الصنائع الأولى فاس مما أدى إلى تخريب الأسواق والمصانع²، وكذا ما قام به متمردوا غمارة بعد أن دخلوا فاس بالقوة من إحراق للأسواق والورشات³، وما أحدثته جيش أبي دبوس دبوس ومن معه سنة 664هـ من تخريب للدور والأسواق ونهب وسلب حين اقتحامه مراكش⁴، وكذا تدمير المناجم مثلما حصل مع مدينة منجم عوام الشهيرة التي تعرضت للتخريب من قبل يعقوب بن عبد الحق سنة 660هـ وتم قتل سكانها⁵.

شكلت الحرب هاجسا لدى المجتمعات وحالة من الخوف والترقب والضغط النفسي خاصة لدى المدن والبوادي المعرضة دوما للغزو والغارات⁶، لذا ماذا ننتظر من أقوام تكون هكذا أحوالهم بل في هذا الجو من اللأمن اللأمن كيف يمكننا أن نتحدث عن ازدهار الحرف والصنائع، فالحروب استنزفت طاقات السكان ونسفت بتطلعاتهم وضيعت عليهم أموالهم وأعمالهم وحرفهم ومختلف أمور حياتهم .

وفي المقابل لا يمكننا إنكار رواج بعض الصنائع ونشاطها أيام الحروب التي نالت عناية خاصة وتشجيعا كبيرا من طرف السلطة على عكس الصنائع الأخرى التي تعرضت للشلل والإعاقة بحكم أن كل شئ كان موجها لخدمة التوجهات الحربية وبالتالي تم توجيه بوصلة الحرفيين نحو الصناعة العسكرية على حساب حرف أخرى يحتاج إليها المجتمع فنجد من نشطت حرفهم في هذه الظروف كالحلادين وصانعي الأسلحة من سيوف ورماح ودروع وصانعي السروج والنجارين وصانعي السهام ومهندسو السفن والبنائين ..⁷

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 328.

² ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 49.

³ حميد تيتاو، المرجع السابق، ص 252.

⁴ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 439.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 204.

⁶ محمد نصري، الحرب والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي والوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجليلي اليايس، سيدي بلعباس، 2021، ص 173.

⁷ حميد تيتاو، المرجع السابق، ص 257-258؛ حسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 104.

د. السياسة الضريبية :

تعد الضرائب من أهم مداخل الحكومات من خلالها تتوسع الدول وتمول المشاريع وتشيد المرافق بل تعد المنفذ الوحيد أيام الشدائد والأزمات، وهذا واضح في الأدبيات السياسية حيث أن "المال من قواعد الملك"¹ و"السلطان إذا قل ماله قصرت آماله"²، وجعل ابن خلدون للحكم أساسين أحدهما المال³، "فلا مال إلا بجيش بجيش ولا جيش إلا بمال"⁴.

التزم المرابطون في بداية دولتهم بحماية الأموال الشرعية⁵ ومع مرور الوقت ظهرت ضرائب جديدة تتماشى مع ظروف الدولة وتوسعاتها ونفقاتها مثل ضريبة المعونة المساهمة للجهاد التي فرضها يوسف بن تاشفين، و فرض خلفه علي بن يوسف بما يسمى القبالات على مختلف السلع والمبيعات والمصنوعات⁶ فكانت أكثر السلع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والمغازل فكانت القبالة على كل شئ يباع⁷، وعدت وعدت المغارم والمكوس التي استحدثها المرابطون من المآخذ التي أخذها عليهم ابن تومرت⁸ بل استعملها كدعاية كدعاية لضرب استقرار المرابطين وكسب شرعية الثورة عليهم.

ومع اضطراب أحوال المرابطين واشتداد ضغط الموحدين عليهم توقف الزرع وقلت المجابي وبالتالي كثرت الضرائب والمكوس واستفحل الغلاء وانتشرت المجاعات⁹، ويعتبر ابن خلدون خير من قدم توصيفا وشرحا لهاته الظاهرة فقد ذكر أن الدولة في بداياتها تكون بدوية تستغني عن الإمعان في الجباية وما إن يستفحل الملك وتدخل

¹ أبو جمو موسى، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح: محمود بوترة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 79.

² ابن الخطيب، الإشارة إلى أدب الوزارة، تح: محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، دت، ص 134.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 363.

⁴ أبو جمو موسى، المصدر السابق، ص 200.

⁵ هي جملة الأموال الواجبة بالشرع واضحة المقدار وتشمل الزكاة والحزبة والخراج وخمس الغنائم والركاز والعشور التجارية. للمزيد انظر: الدواوي، كتاب كتاب الأموال، تح: محمد رضا سالم شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص 9، 77، 78، 151؛ صابر عبد المنعم البلتاجي، النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، دت، ص 149.

⁶ حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 317-318؛ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص 187-188.

⁷ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 235.

⁸ ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عمار طالي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 261.

⁹ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 16.

مرحلة الترف والتحضر حتى يكثر الإنفاق من طرف السلطان وأهل دولته ولم تعد تكفيهم الجباية المشروعة مما يؤدي به إلى استحداث مغارم ومكوس جديدة على السلع والمبيعات والأسواق فيتضرر الرعايا ويختل العمران وتضعف الدولة وتدخل مرحلة الهرم وتزداد حاجتها إلى الأموال أكثر مع ظهور الفتن والاضطرابات ويستمر الأمر في التفاقم حتى الاضمحلال¹ .

ومع بداية حكم الموحدين حرص عبد المومن بن علي على الالتزام بالشرع فيما يخص الجباية من زكاة وأعشار ثم اعتمد بشكل كبير على مداخيل الخراج فنظمه وألزم تأديته على كل قبيلة من برقة إلى السوس الأقصى بعدما مسحها مسحا بالفراسخ والأميال² ، ويبدو أن كل من يوسف بن عبد المومن ويعقوب المنصور ساروا على نفس السياسة الضريبية الموحدية التي ظلت ثابتة³ إلى غاية مرحلة ضعف دولتهم أين استحدثت حكاهم مغارم جديدة وما صاحب ذلك من اضطرابات وفتن وثورات وقحط وغلاء ومجاعات ويظهر ذلك بعد إلغاء الرشيد الضرائب المفروضة على العامة قبله⁴ . بل إن هذا الخليفة نفسه يقوم بفرض ضرائب جديدة لتغطية تكاليف الجيش عندما قل الخراج فطلب الجباية في عدة أماكن⁵ وألزم عامله على مكناسة أهلها "وظائف وتكاليف وابتلاهم بأنواع المغارم والملازم"⁶ ، ونفس الأمر تكرر في عهد الواثق بالله الذي نجده تارة يرفع المكوس المفروضة قبله⁷ ، ثم يعود بعدها ليفرض أخرى على قبائل ومناطق مختلفة مثلما فعل مع أهالي حاحة وركراكة⁸ . وبالتالي لم يشذ الموحدون عن القاعدة التي وضعها ابن خلدون على الأقل في أواخر دولتهم، وهذا ما يتعارض

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 287-288.

² ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 198؛ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص 232.

³ صابر عبد المنعم البلتاجي، المرجع السابق، ص 180.

⁴ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 300.

⁵ نفسه، ص 333، 336.

⁶ نفسه، ص 354.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 352.

⁸ ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 450، 451.

مع رأي أحد الباحثين الذي يقول أن دولة الموحدين أول دولة في تاريخ المغرب اعتمدت على مداخيل أخرى غير المغارم والمكوس¹ .

ولم يتوان المرينيون في فرض المغارم والمكوس من أجل تحقيق أهدافهم السياسية حيث فرض أبو الحسن المريني ضريبة المعونة لكي يمول حملاته² ، مما أدى إلى معارضة قراره في الأوساط الفقهية³ .

ويظهر أن الولاة والجبابة ضيقوا على الرعية فقد ذكر ابن الخطيب بأن الولاة في مدينة نازا اشتدوا في طلب ضريبة المعونة لتمويل الجيش بالسلاح وإطعام الجند على حساب السكان⁴ ، ويذكر لنا تيتاو الرسالة التي بعث بها بها الشيخ ابن عباد إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز يخبره فيها بتعسف الجبابة وما أحدثوه من المظالم والمغارم ويبين خطورة ذلك على الرعية والدولة⁵ .

ونفس الأمر تكرر مع السلطة الزيانية التي فرضت هي الأخرى ضرائب ومغارم متنوعة فقد كان أهالي تسلة ووجدة يؤدون خراجا مرتفعا إلى تلمسان⁶ ، وأسقط أبو الحسن المريني المغارم التي كانت مفروضة من طرف الزيانيين على ساكنة تلمسان والتي كانت "مجحفة وباطلة ومهلكة في حقهم"⁷ على حد وصف ابن مرزوق . وينقل لنا ابن بطوطة صورة عن ظلم الولاة وسلبهم لأموال الرعية عند حديثه عن والي بجاية من طرف الحفصيين وما فعله بأهلها⁸ .

¹ عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994، ص 163؛ الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص110.

² ابن مريم، المصدر السابق، ص 124؛ التبنكي، المصدر السابق، ص 246.

³ حميد تيتاو، المرجع السابق، ص 195.

⁴ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج2، ص 324.

⁵ حميد تيتاو، المرجع السابق، ص 197.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 13، 25.

⁷ ابن مرزوق، المستند، ص 285.

⁸ ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 161.

وفي الواقع فإن مصادر طلب الجبايا والمكوس تعددت فهناك السلطة الرسمية والأمراء التابعين لها في المدن وهناك شيوخ القبائل المسيطرين على القرى والجبال والمدن وكذا الحكام المستقلين عن الدول مما يجعل الأمر شاقا وحرجا على السكان بما فيهم المزارعين والصناع اللائي يتأثر مستوى إنتاجهم جراء هذه الأوضاع¹.

وإذا تحدثنا عن الأعراب وما ارتكبه من عبث ووسلب وجباية في مدن وبوادي المغربين فحدث ولا حرج، فسكان تارودانت يؤدون خراجا عن أراضيهم الزراعية للأعراب المقيمين بجوارهم وتعرضت مدن مثل مراكش أيضا لتعسف الأعراب وظلمهم²، ويعيش سكان مسيلة ومازونة في فقر لأن الأعراب يسلبونهم مداخيلهم ويفرضون عليهم إتاوات باهضة³. والواضح أن السلطتين الزيانية والحفصية هي من وضعت أمر الجباية والضرائب في أيدي القبائل العربية وما فتئت هذه الأخيرة أن استخلصت الجبايات لنفسها، بل إنها منحت الاقطاعات لشيوخ القبائل الذين استقلوا ببعض المناطق وصاروا يتحركون وفق أهوائهم⁴.

صفوة القول أن مؤشرات وبوادر نجاح النشاط الحرفي والصناعي كانت موجودة والتي تمثلت في وفرة المواد الخام التي تزود هذا القطاع، ناهيك عن تنوع الكفاءة الفنية بتنوع التركيبة السكانية بالإضافة إلى الطاقة الإيجابية وشحنات التحفيز المتأتمية من تشجيع مجتمع المغربين للعمل والتكسب. وفي المقابل تصطدم العمليات الإنتاجية بمعيقات كثيرة تجعلها تتكبد خسائر كبيرة قد تؤدي بها إلى الزوال وهو ما صورته واقع مغرب العصر الوسيط.

¹ سمية مزدور، المرجع السابق، ص 83.

² الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 118، 128.

³ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52، 36.

⁴ أمين كرتالي، المرجع السابق، ص 221.

الفصل الثاني : الحرف والصنائع ذات الأصل النباتي والحيواني.

أولاً. الحرف والصنائع الغذائية

أ. طحن الحبوب

ب. تحضير الخبز

ج. عصر الزيتون

د. صناعة السكر

هـ. الألبان ومشتقاتها

و. صناعة الحلويات

ز. تجفيف الفواكه

ح. صناعة الخمر

ثانياً. الحرف والصنائع النسيجية والخشبية

أ. الحرف والصنائع النسيجية

1. مراحل تصنيع المنسوجات

2. الصباغة

3. الوراقة

ب. المصنوعات الجلدية

1. الدباغة

2. الخرازة

ج. المصنوعات الخشبية

1. صناعة السفن

2. الأسلحة الخشبية

3. مصنوعات أخرى

4. الآلات الموسيقية

ثالثاً. حرف وصنائع متنوعة

أ. صناعة الأدوية

ب. صناعة العطور

ج. صناعة الصابون

د. صناعة الشمع

هـ. صناعة المداد والحبر

بعدما تعرضنا للإمكانيات التي تمتعت بها بلاد المغربين الأوسط والأقصى ممثلة في المواد الأولية ومن بينها الثروتين النباتية والحيوانية، نتناول في هذا الفصل نماذج من أهم الحرف والصنائع التي تستمد أصولها من هذين المصدرين، ومعرفة تفاصيل أكثر عن الطرق والوسائل والتقنيات المستعملة في ذلك الزمن ومستوى الحضور والانتشار.

أولاً: الحرف والصنائع الغذائية

أ. طحن الحبوب

يتم تحويل الحبوب من قمح وشعير وغيرهما إلى مسحوق ناعم بواسطة الرحى التي تؤدي عملها اعتماداً على الطاقة الهوائية أو المائية أو عن طريق الحيوانات¹، وقد كانت الرحى المائية الأكثر انتشاراً في المغربين وهذا ما دلت عليه إشارات النصوص - كما سيأتي توضيحه - .

يعرفها ابن منظور بقوله الرحا الحجر العظيم يطحن بها والجمع أرح وأرحاء أرحية ورحى²، في حين يصفها الفارابي بأنها الطحانة التي تدور بالماء³، وعند الجوهري الطحن المصدر والطحن الدقيق والطحونة الرحى والطواحن الأضراس⁴، ويقدم لنا الوزن الفروقات الموجودة بين الرحى والطحونة فالطحونة بناء قد يضم أرحاء كثيرة به قاعة كبيرة مخصصة للطحن ومكان لتخزين الحبوب والقناة التي تجر الماء، أما الرحى فهي حجر الرحى والمحرك بمستلزماته⁵.

تعتمد الأرحاء المائية على مبدأ الثقل والخشونة والحركة الدائرية في تأدية عملها في الطحن، تقسم عموماً إلى نوعين طواحين ورحى ذات عجلة أفقية وطواحين ذات عجلة عمودية وكلاهما يقومان بالحركة الدائرية عند الطحن⁶، تتكون الرحى من مجموعة من المكونات واللوازم ممثلة في :

¹ هناك مناطق لم تستعمل الأرحية المائية رغم توفرها على المياه مثل إقليم السوس حيث يذكر الحميري أن أهله لم يستعملوا رحي قط فإن سلوا عن ذلك قالوا كيف تتخذ هذا الماء المبارك في إدارة الأرحاء. أنظر الحميري، المصدر السابق، ص 522. مما يرجح أنهم اعتمدوا في طحن غلالهم على الدواب أو على الأرحية اليدوية .

² ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص 312 .

³ الفارابي، معجم ديوان الأدب، تح : أحمد مختار عمر، ج1، مؤسسة دار الشعب للطباعة، القاهرة، 1974، ص 373 .

⁴ الجوهري، المصدر السابق، ص 2157 .

⁵ الوزن، المصدر السابق، ج1، ص 233 .

⁶ محمد حجاج الطويل، الرحي، معلمة المغرب، نشر مطابع سلا، المملكة المغربية، 1989، ص 4281 .

قناة الماء : يتم جر الماء من المنبع أو المجرى إلى مكان الطاحونة ببناء قناة ممتدة بينهما يكون بناؤها مناسب لحركة الماء ومراعيًا لطبوغرافية المكان حيث تكون منخفضة على مستوى مصدر النبع ليبقى التدفق كبيرًا نحو الانحدار¹.

أحجار الطحن : حجرين يوضعان وسط حوض نظيف يفرغ فيه الطحين، العلوي متحرك ودوار تتوسطه فوهة كبيرة أما السفلي فتأبث²، والواضح من إشارات المصادر أن حجر المطاحن الجيد كان يجلب من مجانة حيث اشتهرت به وصارت تسمى "مجانة المطاحن" إذ يقول الإدريسي "جبل مجانة تقطع منه أحجار المطاحن التي إليها الانتهاء في الجودة وحسن الطحن حتى أن الحجر منها ربما مر عليه عمر الإنسان فلا يحتاج إلى نقش ولا إلى صنعة هذا لصلابة ودقة أجزائه"³.

المحرك (الدوار) : يصنع من الخشب على شكل دولا ب ضخم يتكون من إطار يحمل أسنانًا خشبية تسمى الفرش وأيضًا تسمى الريش وهي الآلة المسؤولة عن تدوير المحرك وكل من معه حيث تتلقى الماء المندفَع نحوها فتدور بسرعة كبيرة فتحرك معها كامل أجزاء الرحي، يخترقه محور حديدي يعد حلقة وصل بينه وبين الحجرين حيث هو من يحمل الحجر الدوار⁴.

الأجر : ويسمى كذلك القائمة وهو عبارة عن عمود خشبي طويل يمتد من أسفل الفرش إلى قاعة الطحن، يتمثل دوره في رفع المحور أو تنزيله لتخشين الطحن أو تنعيمه .

الرقاد : عبارة عن لوح خشبي مكانه عند فوهة القناة يتحكم في تشغيل المحرك أو إيقافه وذلك بتحريك الماء إلى الأمام أو إلى الخلف⁵.

وقد ألزمت مؤسسة الحسبة الطحانين بمجموعة من القواعد أهمها: الحرص على طحن الحبوب جيدًا لتكون ناعمة، كما ينبغي غربلة الغلة من التراب وتنقيتها من الطين قبل طحنها وكذا تنظيف الرحي لكي لا

¹ كامل شحادة، تاريخ الطاحون كمؤسسة اقتصادية، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 23، ج 2، 1، سوريا، 1973، ص 248.

² كامل شحادة، المرجع السابق، ص 249، 248.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 293.

⁴ فاطمة بوزاد، الأرحية المائية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مجلة مدارات تاريخية، ع 2، 2019، ص 221؛ كامل شحادة، المرجع السابق، ص 248.

⁵ فاطمة بوزاد، المرجع السابق، ص 222؛ كامل شحادة، المرجع السابق، ص 250.

يكون الطحين عرضة للتراب والحصى، ويجب أيضا تغيير المناخل كل مدة لأن صوفها يضعف مع الزمن¹، يجب ألا تؤخذ حنطة الناس إلا بوزن ولا ترجع إلا كذلك، وكذا تمييزها لكي لا تخلط غلالهم ببعض²، بالإضافة إلى ضرورة مراقبة الدقيق لأنه يتعرض للغش حيث قد يخلط بمادة أخرى أو يخلط رديعه بجيده³، وأخيرا وجوب حذر العمال والغربالين من المشي في الأماكن النجسة ثم الدوس في مواضع الطحن⁴.

لم يكن الطريق مفتوحا دوما أمام الرحويين لممارسة حرفتهم بهدوء وانتظام بل كانت تعترضهم بعض المشاكل التي من شأنها أن تعصف بمستقبل مهنتهم مثل النزاع الذي كان يحدث بينهم وبين المزارعين حول أحقية استغلال مياه الأنهار وكذلك ما يسمى بنزاع الأعالي والأسافل مثلما أوردت لنا النصوص النوازلية فقد ذكر الونشريسي قوم لهم ماء عليه أرحية وجنات منذ القدم أراد الأعلون قطعه عليهم، ونازلة أخرى عن ساقية يسقي بها الأعالي يومين فإذا استغنوا سرحوه إلى الأسفلين فأنشأ هؤلاء عليه رحي طحنت زمانا في غير أيام السقي ثم أراد الأعالي إنشاء رحي، فمنعهم أهل المناطق السفلية وادعوا الضرر من جراء ذلك واحتجوا بالأقدمية⁵.

وأشهر نازلة ذكرت في هذا الخصوص كانت حول نزاع أهل أزكان وهم سكان الأعالي مع أهل مزدغة وهم الأسافل، حيث استغل أهل أزكان مياه النهر في تعبئة سدودهم وتشغيل طواحينهم مما أدى بالضرر على سكان مزدغة أسفل الوادي⁶.

توزيع الأرحاء: انتشرت الأرحاء على ضفاف الأنهار الموجودة بالمغربين بشكل مكثف مثلما هو موضح في الجدول الآتي:

¹ ابن الاخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، تح: محمد شعبان، صديق أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1976، ص 152.
² نفسه، ص 152.

³ السقطي، في آداب الحسبة، تح: ج. س، ليفي برونفسال، دن، باريس، 1931، ص 21.

⁴ ابن الحاج، المدخل، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت، ص 156.

⁵ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 10، 402؛ ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنين، تح: فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، 1999، ص 235؛ خيرة سياب، المرجع السابق، ص 158، 159.

⁶ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 7-17؛ خليل عمار، المشكلات المائية ببلاد المغرب في القرنين 8 و9هـ من خلال كتب النوازل، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف نور الدين غرداوي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2014-2015، ص 69.

المكان	التفاصيل	المصدر
أغمات	على ضفتي واديها الأرحاء واردة وصادرة	ابن الخطيب، مشاهدات ابن الخطيب، ص 13.
مكناس	مياها سائحة تطحن عليها الأرحية	كتاب الاستبصار، ص 188.
فاس	أحجارها طاحنة فيها من أرحية الماء حوالي 360 رحي وربما وصلت إلى 400	ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 172، كتاب الاستبصار، ص 180.
مراكش	على نهرها أرحى	ابن سعيد، الجغرافيا، ص 125.
سبتة	عدد الطواحين بما 103	الأنصاري، اختصار الأخبار، ص 43.
بنينوش	عدد الأرحية الطاحنة بمياها 50.	الأنصاري، اختصار الأخبار، ص 52.
وهران	لها أرحاء كثيرة	الحميري، الروض المعطار، ص 612.
تلمسان	على نهرها أرحاء كثيرة	الادريسي، ج 1، نزهة المشتاق، ص 248.
هنين	أقيمت على نهرها الطاحونات	الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 16.
مليانة	لها أرحاء	الادريسي، ج 1، ص 253.
مستغانم	يخترقها جدول ماء يحرك طاحوناتها	الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 32.
متيجة	فيها طواحن ماء	الحميري، الروض المعطار، ص 523.
الجزائر	نصبت على نهرها طاحونات	الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 37.

ب. تحضير الخبز

الخبز مادة أساسية موجهة للاستهلاك اليومي، شكل أهمية كبرى عند معظم الشعوب والمجتمعات، يتنوع ويجود بتنوع مادته وتعدد أشكاله فمن ناحية مادة عجنه فهناك خبز القمح وخبز الشعير وخبز الذرة والبنج والبلوط... ومن حيث شكله فيوجد الخبز المخمر وخبز الفطير وخبز الرقائق¹... ومن ناحية مكان

¹ يذكر ابن زهر أن أجود الخبز هو خبز الخنطة ثم يأتي بعده خبز الشعير بينما من ناحية طريقة الصنع فالخبز المخمر هو الأفضل لكونه أسرع هضمًا على عكس الأنواع الأخرى. أنظر: ابن زهر، الأغذية، ص 8، 13.

وآلية طهوه فهناك الخبز التنوري وخبز الطابون وخبز الملة وخبز الفرن¹، والذي يهمننا هنا هو خبز الفرن العام ويسمى العاملون فيه بالفرانين أو الخبازين ويتمثل عملهم في :

إنضاج خبز الناس بمقابل معلوم حيث كان السكان يقومون بعجن خبزهم في منازلهم ثم يرسلونه إلى الأفران لظهوه إما عن طريق الخدم أو الأولاد وإما عن طريق المارة حيث توضع أطباق العجين على باب الدروب ويحملة المارة إلى الفرن، أو يوظف الفرانون بعض الصبية لجلب العجين من عند أهله، وكانت كل أسرة تحتم عجينةا برمز مميز لكي لا يختلط مع خبز الآخرين وتستلم هذه الأسر خبزها بعد نضجه في الموعد المتفق عليه مع الفرن².

أو إما يقومون بعجن الدقيق وطبخه وطرحه للبيع في الحوانيت والأسواق، خاصة وأن بعض من ساكنة المدن من يضطرون إلى شراء الخبز جاهزا³.

وبالنسبة لطريقة عجن خبز الأفران فقد أورد لنا ابن رزين التجيبي ذلك حيث " يؤخذ السميد ويبل ويجعل فيه الملح ويترك قدر ما يرطب ويعرك عركا جيدا ثم يوضع فيه الخمير ويعجن بالماء قليلا قليلا حتى يظهر التمامه ويقرص أقرصا وفق المراد ثم يغطى ويترك ليختمر وعلامة اختماره ارتفاعه ويسمع له صوت عند ضربه باليد ثم يطبخ في الفرن"⁴.

لقيت صناعة الخبز رواجاً كبيراً بالمدن الكبرى حيث كانت تطهى بها كميات كبيرة من الخبز فابن الخطيب عبر عن النشاط الكبير بأفران فاس قائلا " أفرانها شاحنة"⁵ في حين عدد كل من الجزنائي وابن أبي زرع هاته الأفران إلى ألف وسبعمائة فرن⁶ بالمدينة ذاتها، أما في سبتة فذكر الأنصاري أنه يوجد بها ثلاثمئة

¹ إحسان صدقي العمدة، الخبز في الحضارة العربية الإسلامية، حوليات كلية الآداب، ع12، 1992، ص 67، 90.

² روجيه لوتورنو، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967، ص 128.

³ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج2، ص 148.

⁴ ابن رزين، فضالة الخوان في طبياات الطعام والألوان، طباعة وخدمات مهداشتي، ايران، 1388هـ، ص 36.

⁵ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 175.

⁶ الجزنائي، المصدر السابق، ص44؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 48.

وستون فرنا¹ وتلمسان هي الأخرى توفرت على أفران وهو ما توضحه بعض الإشارات النصية مثلما ورد عند ابن قنفذ وجود مخبزة بأحد شوارع المدينة²، وذكر يحيى ابن خلدون أيضا فرن في سويقة أغادير³.

و وضع المحتسبة الشروط الواجبة على الفرانين أثناء تأدية عملهم وذلك حماية للمستهلك وردعا لأساليب التدليس والغش التي تظهر لديهم فمن ذلك :

يمنع العجن بماء الحمام، ويحرص على تغطية العجين قبل إدخاله الفرن لكيلا لا يقع عليه ما يفسده، وكذا تجنب حرق الخبز أو عدم انضاجه جيدا، وتفادي الغش بعدم خلط القمح الرديء مع الجيد عند العجن⁴.

ضرورة تنظيف الفرن من الرماد والتراب وكذا تنقية أواني العجين والبالة التي يفرنون بها⁵، وينبغي الحرص على تطبيق أوزان الخبز المتفق عليها والتشديد على الغشاشين في الأوزان، ومنع تحسين وجه الخبز لخداع الناظر مثل التدخين عليه بحطب الأشتب أو وضع النخالة عليه أو رشه بالزيت، كما يجب توصية الفرانين وبائع الخبز بالابتعاد عن الأماكن القذرة أو مجاورة أهل الحرف القذرة كالحواتين والبياطرة والحجامين⁶.

وعادة ما تظهر بعض المشاكل والخلافات بين الفرانين والزبائن والسكان مثل ضياع خبز بعض الأسر كأن يدعي الحمال أنه رد الخبز إلى أهله وفي المقابل يقول أهل العجين لم يصل إلينا، أو يقال العكس أوصلناه إلى الفرن والفران يقول لم يصل إليه شيء⁷، أو يحرق الفرانين خبز الزبائن عند طهوه وقد وردت نازلة نازلة حول هذه المشكلة بالذات يقول فيها الفران أن الخبز المحروق لفلان والآخر ينكر نسبته إليه، و نقل لنا الونشريسي فتوى الفقهاء في هذا الشأن حيث أن الاحتراق إن كان عن تفريط فإن الفران يضمن وإن كان من غير تفريط لا يضمن، والأمر نفسه إذا أخرجه قبل اكتمال نضجه إن كان عن تفريط أو عن غير

¹ الأنصاري، المصدر السابق، ص 37.

² ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 104.

³ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 108.

⁴ ابن عبد الرؤوف، رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة، تح: ليفي برونفسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1946، ص 91.

⁵ نفسه، ص 91.

⁶ نفسه، ص 89-90.

⁷ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 322.

تفريط¹، وقد يسبب الفرن انزعاجا للسكان المجاورين له لأنهم يتأذون من دخانه، لذا أمر المحتسبة والقضاة أصحاب الأفران بأن ترفع سقائفها وتفتح أبوابها، ويتخذوا منافس (مداخن) وأنايب في أعلى الفرن يصرف من خلالها الدخان إلى الخارج².

ج. عصر الزيتون :

عرفت هذه الحرفة نشاطا كبيرا نظرا لأهمية مادة زيت الزيتون غذائيا وكذا وفرة المادة الأولية، تتم عملية العصر بإحدى الطرق التي ذكرتها لنا كتب الفلاحة فبعد أن يجنى الزيتون ينقى من ورقه وعيدانه ويبسط ويوضع عليه ملح نقي ثم يطحن في الغد، وهناك من يبني بعضه على بعض بغصون الصفصاف ويلف عليه حبلا ثم يكبسه باليد فيخرج الزيت يلقى عليه ملح ثم يوضع في إناء ثم تكرر العملية ثانية فيخرج زيت أغلظ من الأول وكذا يطحن مرة ثالثة بإضافة ماء ساخن ويرفع في إناء لمدة شهر ليخرج زيتا صافيا جيدا³.

ومنع المحتسبة اتخاذ مكيال الزيت من النحاس لأنه يحضر و يتزجر لذا وجب استعمال مكيال من فخار، وينبغي أن تستنفذ المكيال حتى لا يبقى فيها شئ من بقايا الزيت، وأيضا مراقبة غش الزيوت بأن يخلط رديتها بجيدها أو إضافة إليها الماء أو غيره⁴، كما يمنع معاصر الزيت أن تعصر فيها البذور الأخرى كالكتان والسمسم كي لا تعلق رائحتها بالزيت⁵.

من بين المدن التي عرفت بصناعة زيت الزيتون مدينة سبتة أين وجد بها سوق خاص بالزيت منذ القرن الخامس⁶ وذكر لنا السبتي إحدى معاصرها وهي طاحونة الزيتين التي تقع بغربي المدينة⁷، في حين كان نصاب نصاب الزيوت المعصورة بمراكش كبيرا لدرجة أنها تحقق اكتفاء بل وتزود مدن أخرى⁸، أما أغصان فوصفت

¹ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 320 .

² الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946، ص 22 .

³ ابن حجاج، المقنع في الفلاحة، تح: صلاح جرار، جاسر أبو صافية، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، 1982، ص54-55؛ أبو الخير الخير الأندلسي، كتاب في الفلاحة، المطبعة الجديدة، دب، 1357هـ، ص 58-59 .

⁴ ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1946، ص105، 108.

⁵ السقطي، المصدر السابق، ص 68.

⁶ محمد الشريف، سبتة الاسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدون والمرينيين)، ط2، منشورات جمعية تطاون، الرباط، 2006، ص58.

⁷ الأنصاري، المصدر السابق، ص 43.

⁸ مجهول، الاستبصار، ص 210؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 163.

بأنها "طامية بحار الزياتين"¹، وتتمل زيتها مفضل وذو شهرة في بلاد المغرب²، و فاس عرفت بهذه الصناعة أيضا ومعاصر الزيتون التي توجد بها تقع على مقربة من باب الجيسة وباب الفتوح في الجنوب³، وتعد مكناس بلاد الزيتون والزيت بامتياز وبه كانت تعرف⁴، وبالنسبة لتلمسان تشير إحدى النصوص الحبوسية إلى وجود معصرة ورحى تعصر زيتا يسمى زيتون تيفدا⁵ وفي المسيلة وضواحيها عصرت أجود الزيوت⁶.

د. صناعة السكر:

من بين الصناعات الغذائية التي وجدت لها مكانا في الغرب الاسلامي عموما، تقوم على استخراج عصارة السكر من قصبها وتحويلها إلى مادة استهلاكية متعددة الاستعمال، و قصب السكر هذا يجعله أبي الخير الاشبيلي على ثلاث أنواع نوع أبيض طويل الأنابيب قليل الحلاوة، ونوع يميل إلى الصفرة متقارب العقد كثير الحلاوة، وهذين النوعين يعتصر منهما السكر، أما الثالث فغليظ جدا وذات لون فريزي وهو أسوء الأنواع ولا يعتصر منه شيء⁷. وتمر عملية تحضير السكر بمراحل نستعرضها كالآتي:

أولا يتم قطع القصب بعد اكتمال نموه ونضجه في وقته المعلوم، ثم تنظف عيدانه من لحائه باستعمال السكاكين وكذا من أسفله أين يعلق به الطين والتراب، ثم يقطع قطع صغيرة مهيأة للعصر⁸.

ثانيا توضع القطع القصبية في معصرة حجرية تتحرك اعتمادا على طاقة الدواب، ثم تستكمل عملية العصر في معصرة خشبية لاستفراغ ما تبقى من عصارة القصب⁹.

ثالثا مرحلة الطبخ بعد الحصول على السائل من القصب تتم تصفيته ثم يوضع على النار ليطبخ تتواصل عملية طبخه حتى يتناقص، ثم يصب في قوالب وأباليج من الفخار واسعة الأعلى ضيقة الأسفل ويترك بها

¹ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 164.

² ابن سعيد، الجغرافيا، ص 125.

³ روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص 128.

⁴ ابن غازي، المصدر السابق، ص 03.

⁵ لخضر بلعربي، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبيد بوداود، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2010-2011، ص 185.

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 144.

⁷ أبي الخير، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: مجد العربي الخطابي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995، ص 547.

⁸ ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو سويلم آخرون، ج2، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 2012، ص 438، مجد

السيد مصطفى، طبخ السكر في مصر المملوكية، حوليات آداب عين شمس، مج46، ع يوليو - سبتمبر، مصر، 2018، ص 403.

⁹ نفسه، ص 404.

حتى ينعقد ويجف حينها يسمى "بالقند"¹، ومرحلة القند هي المعيار لمعرفة نجاح عملية العصر من عدمها وهي تمهيد لمراحل أخرى لتجويد السكر ذلك أن القصب يفسد أحيانا ولا يجمد عصيره المطبوخ فلا يصير قندا². من بعد القند يطبخ مرة أخرى بإضافة ماء وحليب فيخرج منه سكر أبيض ثم يقطر ثانية فيخرج سكر شديد البياض ثم يكرر عدة مرات في كل مرة يحصل على سكر أنقى من الذي سبقه³، ومن بين أنواع السكر الأحمر وهو قليل الجودة، السليماني سكر جيد وأحسن منه يسمى الفانيد، ولعل أجود الأنواع وأكثرها شهرة خاصة في كتب الطب هو سكر الطبرزد وهو نوع صلب على درجة عالية من النقاء والبياض بعد تكريره⁴.

ومن أبرز مراكز عصر السكر وصناعته مراكز يعمل بها أنواع من السكر وصف العمري أحد الأنواع بأنه "في غاية الصلابة والبياض ولطافة الذوق" وصل عدد معاصر السكر بها إلى أكثر من أربعين معصرة⁵، وكذلك يوجد بمدينة سبتة حيث تعتمد على إنتاجها من قصب السكر وكذا من إنتاج قرية بليونش المجاورة لها لذا من المرجح أن تكون إحدى المعاصر التي ذكرها السبتي على الأقل مخصصة لعصر السكر⁶، على أن أهم مكان اشتهر بإنتاج السكر وبه صار ينسب هو بلاد السوس سواء من ناحية الجودة أو من ناحية كثرة الإنتاج وقد ذكر الادريسي أن السكر الذي يصنع به يساوي الطبرزد والسليماني في الجودة⁷ في حين اعتبر صاحب الاستبصار أن ما يصنع هناك هو الطبرزد بذاته، وقد برزت قاعدتي هذا الإقليم تارودانت وإيجلي في صنعه لما فيهما من معاصر كثيرة⁸.

ويلاحظ أن صناعة السكر تركزت بالمغرب الأقصى ولا نجد إشارة واحدة حول صناعتها بالمغرب الأوسط باستثناء أن قصب السكر كان يزرع بجزائر بني مزغنة⁹، مما يطرح الكثير من التساؤلات حول الأمر فهل فعلا لم تهتم ساكنة المغرب الأوسط بهاته الصنعة؟ أم أن هذا يعود إلى صمت النصوص فقط ثم ما الذي

¹ ابن العوام، المصدر السابق، ج2، ص438؛ محمد السيد مصطفى، المرجع السابق، ص 404.

² النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: علي بوملحم، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص 196.

³ نفسه، ج8، ص 197.

⁴ الأنطاعي، المصدر السابق، ص 194؛ محمد السيد مصطفى، المرجع السابق، ص 404-405.

⁵ العمري، المصدر السابق، ص 98.

⁶ الأنصاري، المصدر السابق، ص 55.

⁷ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 227.

⁸ مجهول، الاستبصار، ص 212.

⁹ الحميري، المصدر السابق، ص 163.

يمنع تواجد هاته الصنعة مثل الحرف الأخرى؟ وإن كان بعض الباحثين¹ قد برر بأن هذا قد يعود لاعتماد المغرب الأوسط على العسل لذا استغنى أهله عن السكر فإن إجابته غير دقيقة بالمرّة فحتى بلاد السوس التي تحتل الريادة في هاته الصنعة ذكرت كثير من النصوص أن أهلها لا يهتمون بالسكر لوجود العسل بكثرة ومع ذلك لم يمتنعوا عن إنتاجه بل كانوا يغطون مدن أخرى²، كما أن صنعته ليست بالضرورة أن توجه للاستهلاك للاستهلاك المحلي قد تكون مصدر دخل مهم عبر تصديرها، ضف إلى ذلك أهمية بعض أنواع السكر في الجانب الطبي - كما أوردنا سابقا- مما يجعلنا نبحث عن أسباب أخرى وراء هذا الغياب.

هـ. الألبان ومشتقاتها

شكلت الألبان مادة أساسية في النظام الغذائي للسكان آنذاك بحكم وفرة الثروة الحيوانية بالمنطقة، ومع أن هذه الحرفة غالبا ما تمارس في الأرياف إلا أنها لقيت كذلك حضورا كبيرا في المدن، تقوم هذه الحرفة على تحضير الزبد والجبن والسمن من مادة الحليب . تستخرج الزبدة من الحليب بطريقة بسيطة بداية يترك الحليب في وعاء حتى يروب ثم يمحض محضاً قويا باستعمال شكوة أو أي شيء آخر، فإذا انحل وبدا الزبد ينعقد فيه يصب عليه ماء بارد ويقوى المخض حتى يجتمع الزبد فيفصل بينهما³ .

نوه ابن عبدون إلى ضرورة شراء اللبن من ثقة ذلك أنه معرض دائما للغش فقد يضاف إليه الماء لتزكيته⁴، كما كما ينبغي أن يفرق باعة الجبن بين أنواعه عند البيع ليعلم الناس أنه جبن بقري أو غنمي أو ماعزي⁵ .

وزودنا عبد الباسط بن هلال في رحلته بكيفية صنع الجبن في وهران "الجبن الطري يدعك بالأيدي حتى يصير كالعجين ثم يعجن السميد عجنا محكما مملوكا جيدا حتى يصير الجبن حشوا لها ثم يبسط قليلا ثم يتقي في الطاجين وهو على النار بالدهن فيقلّى ثم يرفع ويرش عليه السكر المدقوق ناعما ومعه اليسير من الكمون⁶ .

¹ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 102.

² الزهري، المصدر السابق، ص 117.

³ ابن رزين، المصدر السابق، ص 219.

⁴ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 97.

⁵ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 92.

⁶ أنظر : مليكة عدالة، الصناعة الغذائية في المغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013، ص 367.

ومن أبرز المناطق المنتجة للألبان ومشتقاتها:

المصدر	الأوصاف	المكان
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 248.	الجبال المنتشرة حولها وافرة السمن	جزائر بني مزغنة
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 255.	كثيرة الألبان والسمن	جيجل
الادريسي، نزهة المشتاق ج1، ص 254	السمن والزبدة بما رخيصة	وهران
الحميري، الروض المعطار، ص 480 .	كثيرة السمن	قسنطينة
الحميري، الروض المعطار، ص 522.	وافرة الألبان والسمن	مازونة
الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص 62 .	الزبد بكثرة	عنابة
الادريسي، نزهة المشتاق، ص 249.	غزيرة الألبان والسمن	تاودا
الاستبصار ، ص 189 .	تسمى بصرة الألبان	البصرة
الحميري، الروض المعطار، ص 605.	بما ألبان وأسمان	أم الربيع
الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص 234.	انتشرت بما دكاكين اللبانين وصانعي الزبد	فاس

و. صناعة الحلويات

لقيت صناعة الحوليات بمختلف أصنافها حضورا لها على الطرقات والأسواق في مدن المغرب من أشهرها الزلابية والمقروض والاسفنج .. وقد أفادتنا النصوص بكيفيات اعدادها :

الزلابية : تعجن من دقيق الدرملك يسكب عليها الماء في كل مرة حتى ينحل العجين ويخف وتترك حتى تختمر، وتضاف إلى العجينة مواد ملونة مثل ماء البقم والزعفران أو ماء الفوة ، ثم يحضر الزيت في مقلاة على النار حتى يغلي ثم يوضع العجين في آنية مثقوبة وتوجه اليد فوق المقلاة حتى يسيل العجين من الثقب في المقلاة وتحرك اليد حسب الشكل المراد الحصول عليه سواء كان دائريا أو غيره، وبعد نضجها تحمل وتوضع في العسل لمدة حتى تتشربه ثم ترفع منه وتترك لتقطر وتجف¹ .

¹ مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 202.

المقروض : يتخذ من السميد يعجن بالخمير عجنا جيدا مع شئ من الماء، يتم حشوه حسب الذوق والطلب سواء بالتمر أو باللوز حيث يمدد العجين على المائدة ويضع الحشو فيه ويفتل باليدين ثم يبسط برفق ويقطع بسكين قطع متساوية يطهى مقلبا بالزيت، وبعد أن يجف منه يحلى بالعسل أو بالسكر¹.

الكنافة تتخذ من الرقاق التي تقطع قطع مربعة أو مستطيلة ثم تغمر في الزيت في قدر أو طنجير وتغلى بعدها ويصب عليها عسل وترش بماء الورد وسكر مسحوق وكذا يذر عليها سنبل وقرنفل ولوز مقشر وفانيد، وهناك من يصنعها بالزبد والسمن بدلا من الزيت².

الإسفنج : من الحلوى المعروفة ببلاد المغرب يصنع من الدقيق الجيد حيث يبل بماء ساخن وخمير ويترك حتى يرطب ثم يتم عجنه بقوة ولمدة طويلة حتى يخف ثم يترك ليختم ثم يقطع قطعاً وتفتح باليد وبعدها تغلى في الزيت الكثير وعند نضجها توضع في وعاء حتى يجف زيتها، والإسفنج أنواع فمنه البسيط كالذي سبق وصفه ومنه ما يستعمل فيه البيض وكذا العسل والسمن ومنه المحشو باللوز والجوز والعسل³. ويفيدنا ابن الزيات بوجود هاته الحرفة في معرض ترجمته لإبراهيم بن محمد الهزرجي (ت 581هـ/1185م) والذي كان يبيع الاسفنج بحانوته بمراكش⁴، وأشار الجزنائي إلى انتشار حوانيت السفاجين بفاس⁵، وحدد الوزان مكانها بأنها تتواجد باتجاه باب الشريعة⁶.

الكعك : فيه البسيط والمحشو باللوز والمحشو بالتمر والعسل، يخلط دقيق الدرملك ويعجن بماء ساخن عجنا محكما، يقسم العجين إلى قطع وتفتل على المائدة كل واحدة على حدى ثم تدور وتوضع على لوح مع شئ من دقيق تحتها وتطبخ في الفرن، يزين شكلها أحيانا كنعشها بمنقاش نحاسي⁷.

ز. تجفيف الفواكه

عرف أهل المغربين نمطا آخر من استهلاك الفواكه وذلك بتجفيفها وتخزينها لتكون متاحة للتناول في كل الأوقات وطيلة فصول السنة لذا وجدت حرفة تجفيف الثمار مكانا لها خاصة مع وفرة الإنتاج لبعض الفواكه نذكر من بينها :

¹ ابن رزين، المصدر السابق، ص 79.

² مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 205؛ جمال طه، ص 184.

³ ابن رزين، المصدر السابق، ص 81؛ مجهول، الطبخ في المغرب والأندلس، ص 88.

⁴ ابن الزيات، المصدر السابق، ص 241.

⁵ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 186.

⁷ ابن رزين، المصدر السابق، ص 63-64.

تجفيف التين: يجمع التين الناضج وينشر على حشائش الديدس أو الرتم حيث يعرض لأشعة الشمس ثم يترك ليلة منشورا في نداوة الليل بعدها يحفظ في البيوت، والذي يريد أن يخزنه في أوعية الفخار فيحمله من المنشر وفيه رطوبة يسيرة، ولكي لا يتعفن ويدود يوضع معه التين اليابس أو ورق السرو وهناك من يدهنه بخل أو ماء الورد وملح عند خزنه ليبقى على حاله دون تسوس¹.

تعد مدينة مرسى الدجاج إحدى الأماكن التي برزت في تجفيف التين فكان "يحمل منها شرائح طوبا ومنشورا إلى سائر الأقطار وهي بذلك مشهورة²، و تلمسان "يجفف تينها الأسود الحلو ليطرح للاستهلاك شتاء³، ويزيد إنتاج مدينة بجاية من التين عن الحاجة⁴ مما يرجح أن ساكنتها يقومون بتجفيفه.

تجفيف العنب: يسمى العنب المجفف زيبيا وهو اسم يختص به إلا أنه يطلق على سائر من جف من الثمر إلا التمر⁵، له فوائد طبية كبيرة يعتبر من الأغذية الرئيسية لسكان عدد من المناطق في بلاد المغرب، أما عن طريقة تجفيفه فهناك عدة طرق نذكر منها: بعد أن ينضج العنب في شجرته تلوى عيدان عناقيده لوقت معين حتى لا تتغذى من شجرتها ويترك هكذا حتى يجف ويتقبض حبها ثم يقطف ويجعل في جرار خزفية بعد أن فرش لها ورقا يابس من ورق الكرم أو ورق الدوالي ويغطى به مثل ذلك ويغلق فم الجرار بالطين وتخزن في مكان بارد لا نداوة فيه ولا يصيبه دخان⁶. ومن الطرق الأخرى يؤتى بعنب ناضج وينقع في رماد غلي في الماء عدة مرات، ثم يخرج منه وينشر برفق فيصير زيبيا لذيذا⁷، وبالنسبة لزبيب الأغشية المعروف بأنه يجفف بطريقة لا تختلف كثيرا عما ذكرنا حيث يؤخذ العنب الغليظ أو الذي تأخر قطعه وينقع في إناء به رماد السرو أو رماد الفول يترك به أكثر من يوم وليلة، ثم يؤتى بإناء به ماء مغلي ويدخل فيه عناقيد العنب في ظرف من حلفاء يخرج بعدها وينشر في الشمس على حشيش ثم يحول في الغد برفق إلى الظل ليصبح زيبيا⁸.

¹ ابن العوام، المصدر السابق، ج3، ص 500-501.

² الحميري، المصدر السابق، ص 539.

³ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 20.

⁴ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

⁵ أبي الخير، عمدة الطبيب، ص 270.

⁶ ابن العوام، المصدر السابق، ج3، ص 493؛ أبي الخير، كتاب في الفلاحة، ص 37.

⁷ نفسه، ص 37؛ ابن الحجاج، المقنع في الفلاحة، تح: صلاح جرار، جاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، 1982، ص

34.

⁸ ابن العوام، المصدر السابق، ج3، ص 496.

ومن بين المناطق التي نالت شهرة في عمل الزبيب سجلماسة وهي كثيرة الإنتاج في الأعناب عندها المزيب في الظل يسمى الظلي بالإضافة أيضا إلى النوع الذي يزيب في الشمس¹، مكناسة مدينة العنب الأولى لذا ليس من المستبعد أن تكون من أبرز مراكز تحفيفه، وفي إقليم السوس يصنع زبيب غاية في الجودة "الرقة قشرته وعذوبة طعمه واعتدال غذائه"²، ومدينة نفيس أنواع الزبيب كل عجيسة من جمال المنظر وحلاوة وحلاوة الذوق وكبر المقدار وهو مع ذلك كثير جدا مشهور في بلاد المغرب الأقصى³، "كما كان سكان بعض الجبال يقتاتون من صنع الزبيب مثل جبل بني وليد الذي يجففون منتوجهم من العنب الأسود ويرسلونه إلى مدينة فاس⁴، ونفس الأمر نجده عند أهل جبل بني يدر، وجبل بزو في إقليم هسكورة يجففون عنبا جيد اللون والمذاق⁵، وجبل درن يعيش سكانه المصامدة من الزبيب⁶.

ح. صناعة الخمر

الخمر ما خامر العقل وأسكر وغطى عليه وستره مدة من الزمن سواء كان من مستخلص العنب أو غيره من الفواكه أو حتى من الحبوب أو من العسل وإن كان أصلا يطلق على ما يعصر من العنب دون سائر المواد الأخرى⁷ وإذا تحدثنا عن العنب فإن ما غلي وقذف الزبد من عصيره من غير أن تمسه النار فهو خمر وأنه لا يزال خمرا حتى يصير خلا⁸.

كانت الخمر تكنى بأسماء وألقاب مختلفة عند العرب قديما وحديثا وهذه الكنى قد ترجع إلى أوصافها أو إلى طرق صنعها أو إلى وقعها وتأثيرها على شاربها ومن هذه الألقاب الطلاء والشمول والقرقف والمدامة والجريال والكميت والقهوة والصهباء والسخامية والهندريس⁹.

¹ البكري، المصدر السابق، ص 148؛ الحميري، المصدر السابق، 306.

² الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 230.

³ نفسه ص 229.

⁴ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 333 .

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 325، 169.

⁶ الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 211.

⁷ الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، ص 132.

⁸ بن قتيبة، كتاب الأشربة (وذكر اختلاف الناس فيها)، تح: ياسين محمد السواس، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1999، ص 29.

⁹ علي المقرئ، الخمر والنبيد في الاسلام، رياض الريس للكتب والنشر، د ب، د ت، ص 20-21.

النبيد يقال هو ماء الزبيب وماء التمر قبل أن يغليا فإذا اشتد وصلب فهو خمر¹، سمي نبيدا لأنهم كانوا يأخذون القبضة من الزبيب أو التمر فينبذونها في الجرة أو الإناء، وقيل سمي كذلك لأنه يتخذ وينبذ أي يترك ويعرض عنه أياما وليالي حتى يبلغ. وبهذا المعنى الأخير لا يختلف النبيد عن الخمر ويظل اسمه النبيد حتى ولو صار مسكرا، ومن هذا قول الفقيه ابن شبرمة الكوفي

ونبيذ الزبيب ما اشتد منه فهو للخمر والطلاء نسيب

ويقول آخر

نبيد إذا مر الذباب بدنه تفتط أو خر الذباب وقيدا²

وجدت هاته الصنعة مكانا لها في المغربين لكن من الصعب تحديد خصائصها وأساليب صنعها بحكم أننا نتحدث عن صناعة المحظور لكن الأكيد أنها كانت موجودة بدليل وجود متعاطيها والمدمنين عليها، وإن كان البعض يقرن وجودها بوجود أهل الذمة فإن هذا الطرح يبقى ناقصا فاستهلاك الخمر كان موجودا أيضا في الأوساط المسلمة سواء لدى طبقة العامة أو الخاصة بل في حتى في الدول التي قامت على أساس ديني مثل المرابطين والموحدين، وقد عاب ابن تومرت على المرابطين والحماديين انتشار الخمر في أيام حكمهم³ وكانت إحدى المسائل التي استغلها في دعايته لإبراز مثالب هؤلاء .

ومع تأسيس الموحدين لدولتهم لم يسلموا أيضا من تفشي الخمر في مجتمعهم، ولعل كل رد فعل من أي حاكم أو سلطان بين كل فترة وأخرى يدل على تفشي الظاهرة في المجتمع بشكل لافت ولا نعدم من الاشارات على ذلك، مثلما هو الحال مع عبد المومن بن علي الذي أمر ولاته بتطبيق الأحكام ولامهم على تماؤهم في مجاهدة بعض المخالفات منها شرب الخمر⁴.

وفي المقابل نجد تساهلا في نوع من الأنواع مثل الشراب المسمى الرب الذي كان من بين السلوكيات المعيشية الخاصة بالمصامدة في جبال درن وغيرها وكان من الصعب جدا الحد منه، ربما يعود هذا إلى الغموض الذي كان يكتنف أمر الرب حيث كان مشروبا عاديا وربما استغله البعض للسكر وهذا ما تظهره رسالة عبد المومن التي أكد فيها على النظر في الربوب وتمييزها والتضييق على بائعيها وشاربيها⁵، وربما كان

¹ بن قتيبة، المصدر السابق، ص 31.

² نفسه، 31-32.

³ البيهقي، المصدر السابق، ص 13.

⁴ ابن القطان، المصدر السابق، ص 195-198.

⁵ مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، إصدار ليفي برونفصال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، ص 133، ابن القطان، المصدر السابق، ص 197.

مسموحا بها في سرية مالم تخرج إلى العلن في صورة فاضحة، وكان المنصور هو الآخر قد أمر بمنع تعاطي الخمر وشدد على ذلك ومن بينها الرب بل بين في رسالته أن الناس تجاوزوا في أمر الرب حتى أغفلوا فيه الاجتهاد¹، وفي أواخر حكم الموحدين انتشرت الخمر في قصور الحكام حين انتشر اللهو وضعفت الدولة². وفي عصر بني مرين وجد من يتعاطى الخمر من الأسرة الحاكمة ومن كبار رجال الدولة³ وبلغ صنع الخمر وانتشارها في المجتمع نشاطا أكبر خاصة مع الحرية الكبيرة التي تمتع بها اليهود وازدياد نفوذهم، بل شكلت الخمر جزءا من المداخل المحلية للسلطة⁴ حتى أن أحد أبواب مراكش حمل اسم باب الرب منذ عهد المرينيين⁵، ومن المناطق التي اشتهرت بعصر الخمر عندهم تازا ذات الجالية اليهودية وكذلك منطقة الريف الريف والهبط⁶.

وبالنسبة لطريقة تحضير الخمر فلا تفيدينا النصوص بمعلومات كثيرة وكل ما نعرفه أن العنب يجمع عند نضجه ويعصر سواء في أحواض باستعمال الأرجل أو باستعمال أرحية معدة لذلك ويترك العصير في خوابي وجرار ليتخمر أو يطبخ على النار حتى يذهب بعضه مثلما يفعل المصامدة في صنع الرب المعروف بهم حيث يذكر الادريسي "شراب أنزير لدى أهل سوس يأخذونه من عصير العنب الحلو يسكر سكرًا عظيمًا يفعل بشاربه مالا تفعله الخمر لمتانته وغلظ مزاجه وذلك أنهم يأخذون من عصير العنب الحلو فيطبخونه في النار حتى يذهب منه الثلث ويزال عن النار ويرفع ويشرب ولا سبيل إلى شربه إلا أن يخلط بمثله ماء"⁷، وما يشبهه هاته الطريقة ما ذكره التجيبي في قصيدته

الرب طبخ صفو ماء عنب	بعد قعود ثقله المجتنب
للثالث الطيب أو في الربع	في العنب الرديء ذا الباني رع
واطبخه مع ماء يزد ونزال	رغوته مدة طبخه اتصال ⁸

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 173.

² ابن أبي زرع، الذخيرة السننية، ص 36.

³ ابن مرزوق، المسند، ص 142؛ ابن الأحمر، بيوتات فاس، ص 55.

⁴ مصطفى نشاط، جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، مطبعة النجاشي الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص 32، 34.

⁵ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 391.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 276، 163.

⁷ الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 228.

⁸ مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص 20.

كما يفيدنا البكري بنص قصير حول صناعة النبيذ من العسل فيقول يلقي على الكيل من العسل خمسة عشر كيلا من الماء حينئذ يأتي نبيدا وان كان الماء أقل من ذلك بقي حلوا ولا ينحل إلا في الماء الحار جدا لونه رمادي أو أخضر زمردى¹.

¹ البكري، المصدر السابق، ص 162.

ثانيا. الحرف والصنائع النسيجية والخشبية

أ. الحرف النسيجية

1. مراحل تصنيع المنسوجات :

يعرف النسيج من نسج الثوب ينسجه وينسجه نسجا والصنعة نساجة والموضع منسج ومنسج، والمنسج الأداة التي يمد عليها الثوب لينسج¹، وفي المحكم النسج ضم الشيء إلى الشيء ينسج الحائك الثوب لأنه ضم السدى إلى اللحمة وهو النساج وحرفته النساجة².

والمنسوج هو تلك البنية المبسطة قوامها مجموعة من الخيوط المتقاطعة تتقاطع تقاطعا منتظما تسمى الطولية منها السدى والعرضية تسمى اللحمة، يختلف هذا المنسوج في شكله ونوعه وسمكه حسب اختلاف تقاطع الخيوط وتركيبها وحسب المادة المستعملة³.

تمر عملية تصنيع النسيج بمجموعة من الخطوات والمراحل أهمها :

تجهيز المواد المناسبة :

وهي مجموعة من الأنشطة الأولية التي يقوم بها النساجون وغيرهم لغرض تحضير المواد الأساسية من صوف وقطن وكتان.... إلى مواد قابلة للغزل و الحياكة .

تحضير الصوف: تجز الأغنام إما مرة واحدة في السنة كما هو معهود أو مرتين في بعض المناطق تنظف أصوافها من الودح والعالق ثم تغسل غسلا جيدا باستعمال العصي والرجلين وتنشف تحت أشعة الشمس، بعدها يمشط الصوف حيث تفك عقده وتجاعيده باستعمال مشط كبير مصنوع من الخشب ومسامير حديدية كبيرة، ثم يمشط مرة أخرى باستعمال مشط صغير يسمى "القرطاج أو القرداش" حتى تصبح القطع الصوفية جاهزة للغزل⁴.

¹ الجوهري، المصدر السابق، ج1، ص 344.

² الخزاعي، المصدر السابق، ص 707.

³ سعاد ماهر مجد، النسيج الاسلامي، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1977، ص 10.

⁴ محمود هدية، اقتصاد النسيج في الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، 2017، ص 124.

تحضير القطن: يجمع في بداية الخريف باليد بكل رفق ولين ثم يجفف في الشمس لدة قصيرة بعدها ينقى من محاربن القطن وهو كل ما يعلق به من قشور وحب أثناء جمعه بما يسمى بالحلج ثم تأتي مرحلة الندف وهي فك القطن من العقد وتشابك نسجه حيث يجل وينفش ليصبح جاهزا للغزل¹.

تحضير الكتان: يقلع الكتان إذا اصفر ومازال رطبا، يبسط أسطارا مفروشا على الأرض ليجف وينقى مما يخالطه وبعد أيام يربط حزما صغارا ويوقف للشمس على أصوله بعدها ينقع لأيام من علامة طبخه أن يخرج من الكتان قضبان من وسط الحزمة أي يعزل الكتان من عود القضيبي ثم يجفف مرة أخرى ثم يدق بمزربة من عود وشبهه على حجر أملس دقا ناعما وينفصل الكتان عن هشيم قضبانه بواسطة آلة وتسمى هذه العملية "السحح" والذي ينتج عنها يسمى "السحاح"².

تحضير الحرير: يجمع الحرير في منتصف الربيع ويرسل إلى دور الطراز والمعامل الخاصة به وتتم عملية تحضيره بمراحل بداية من التخنيق وهو قتل الفراشة داخل الشرنقة كي لا تخرج وتثقبها، ثم تسلق الشرائق لتليين خيوطها وتسهيل حلها بعدها يتم التخلص من الرغس اللزوجة التي تصاحب الحرير وهي كما يقال لعاب الحرير، وفي الأخير تؤخذ خيوط من عدة شرائق وتجل معا وتلصق ببعضها لتصبح خيطا واحدا، تستعمل في عملية الحل آلة تسمى الحلالة³.

حرفة الغزل :

تمثل هذه الحرفة مرحلة من أهم مراحل صناعة النسيج يتم من خلالها تحويل المواد المراد غزلها (صوف كتان، قطن) إلى خيوط رقيقة مهيأة للنسيج، والأداة المستعملة في عملية الغزل هي المغزل وهو عبارة عن قضيب حاد الطرفين بأسفله قرص يساعده على الدوران يصنع عادة من الخشب يتم الغزل به باستعمال اليدين⁴، يد لتدويره واليد الأخرى لسحب الخيط الذي يصبح رقيقا مع كثرة الدوران والسحب الجيد يتم التدوير بالاتكاء على الركبة والفخذ، يسمى الخيط بعد غزله بالطعمة تتكرر العملية حتى يحصل على الكمية المطلوبة ثم تكبب الطعمة وتطرح وبذلك تصبح جاهزة للمرحلة المقبلة⁵.

¹ ابن وحشية، الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد، ج1، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، دت، ص520؛ ابن العوام، المصدر السابق، ج4، ص188.

² نفسه، ص 198-200.

³ حنان قرقوتي، ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين، مجلة المدارة، ع4، 1430هـ، ص 138-139؛ محمود هدية، المرجع السابق، ص 128.

⁴ نفسه، ص 130.

⁵ حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص 133.

حرفة الحياكة :

وهي الحرفة الرئيسية والختامية لمراحل النسيج والتي نصل عبرها إلى الجسم المسمى المنسوج ، ذكر ابن خلدون بأنها نسج الغزل من الصوف والكتان إسداء في الطول وإحكاما في العرض وإحكاما لذلك النسيج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدره فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس¹ .

تستعمل في عملية النسج والحياكة آلة تسمى المنسج أو "النول" وهي عبارة عن خشبتان بطول واحد متوازيتان إحداهما في الأعلى والأخرى في الأسفل العليا اسمها "العارضة" والسفلى اسمها "المطوية" تحملان على عمودان قائمان² .

حرفة الخياطة :

إحدى الحرف المرتبطة بالمدينة والتحضر، تقوم على "الملاءمة والتقدير بين القطع المنسوجة على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاً أو تنبيهاً أو تفسحاً على حسب نوع الصناعة"³ .

جغرافية النسيج: من أبرز مراكز صناعة النسيج بمختلف أشكاله حسب ما جادت به المصادر :

المكان	المعطيات	المصدر
مستغانم	بها صناع كثيرون ينسجون الأقمشة	- الوزان ،وصف افريقيا ج 2 ، ص 32 ، 33 ، 35 ، 15 ، 61 ، 132 .
بريشك	معظم أهلها حياكة الأقمشة	- الزهري، كتاب الجغرافية، ص 113
مليانة	أهلها نساجون	- ابن سعيد، الجغرافيا ، ص 140 ، ص 141
مازونة	سكانها نساجون	
وهران	أكثر سكانها من الحاكة	
هنين	يعمل سكانها في القطن والمنسوجات	
ميلة	نسيج الصوف	

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 516.

² حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص 142.

³ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 516.

ابن مرزوق ، المسند، ص129.	يعمل بها من الصوف كل شيء بديع	
- يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد ، ج 1 ،ص92 .	ثياب الصوف التلمسانية الخالصة	تلمسان
- كتاب الاستبصار، ص189.	منها تحمل ثياب الصوف المصلة	
- ابن الخطيب، معيار الاختيار ، ص161.	غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق	
- الجزنائي ، زهر الآس ، ص 44.	تعمل فيه البسط الملوكية	جبل ونشريس
- الأنصاري ، اختصار الأخبار ، ص 49 .	اشتهرت بصناعة الأكسية الصوفية	وجدة
- الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج 1، ص 227، 232 .	"بصرة الكتان " أهلها يتبايعون به	البصرة
- كتاب الاستبصار ص 188 .	بلد موصوف برفع الثياب	آسفي
- مارمول كارفخال ، افريقيا ، ج 2 ، ص141 .	بها 3064 معملا للنسيج	فاس
- الوزان ، وصف افريقيا ج 1 ص 209 ، 183 ، 361 .	بها 25 مقصرا	سبتة
	يدخل أهلها إلى السودان بالأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر	أغمات
	صبيائها أكثرهم حاكة	مكناس
	سكانها حائكون يصفون ثيابا من القطن في غاية الرقة والجمال	سلا
	نساؤها ماهرات في خدمة الصوف	تادلا
	تصنع نساؤها أقمشة كأنها من حرير	جبال بني يازغة
	يعمل بها الأكسية الرقاق والثياب الرفيعة	السوس

ومن بين النماذج عن المصنوعات التي جسدها الحرف النسيجية ومن أكثرها حضوراً :

الملابس :

البرنس هو كل ثوب رأسه ملتصق به¹ ، تبرنس الرجل إذا لبس البرنس وقيل هو من البرس أي القطن ، ويذكر دوزي بأنه عبارة عن معطف ضخّم له قلنسوة ومازال أهل المغرب يلبسونه² ، ويعد من الألبسة القديمة التي لبستها العرب منذ أيام العصر الجاهلي حيث ورد ذكره في شعر المهلهل :

فإن تشاء رأيت وجهها واضحاً وذراع باكية عليها برنس³

لبسه المسلمون والنصارى ، يتخذ في أوقات البرد والمطر ترتديه مختلف طبقات المجتمع من سلاطين وأمراء فقهاء وعلماء وزهاد يكون الاختلاف طبعاً في الألوان ومادة النسيج والتطريز ، يبعث منظر لابسها على الهيبة والبهاء يذكر صاحب أزهار الرياض أن أحد الفقهاء بمدينة بجاية أتى وعليه برنس أبيض وقد كان في هيئة حسنة فقال فيه

أحد أصدقائه :

لبس البرنس الفقيه فباهى ورأى أنه المليح فتأها
ولو زليخا رأته حين تبدى لتمنته أن يكون فتأها⁴

تعتبر تلمسان من أكثر الأماكن شهرة في حياكة البرانس وخطاطتها، نالت جودتها ثناء كبيراً حيث قيل أن "برانستها رفاق رفاع"⁵ فتلفي الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق والأجرام من خمس بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقاً وغرباً⁶ وكذلك جبل مديونة تصنع نساؤه برانسا صوفية مقاومة للمطر وبهم صارت تعرف⁷ ، وأشاد مارمول بدقة صنع برانس مكناسة الفاخرة⁸ .

¹ ابن سيده، المخصص، ج4، ص 81.

² رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، تر: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2012،

³ يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1989، ص 90.

⁴ المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: سعيد أعراب، عبد السلام الحراس، ج5، مطبعة فضالة، المحمدية، 1980، ص 47؛ جمال طه، المرجع السابق، ص 241 .

⁵ المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7، ص 135.

⁶ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 92.

⁷ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 141.

⁸ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج2، ص 141.

العمامة هي اللباس الذي يلف على الرأس تكويرا كما يقول ابن سيدة، جمعها عمائم وعمام¹.

نالت العمامة مكانة كبيرة عند العرب وصارت عنوانا للهيبة والفخر فكما روي في الأثر "العمائم تيجان العرب"² واقتصر لبسها على ذوي المكانة والرفعة سواء في المدن أو البوادي، لبسها السادة وشيوخ القبائل والحكام والخطباء والأمراء والولاة³ لخص ابن الأسود الدؤلي قيمة العمامة بقوله "جنة في الحرب ومكنة ومكنة من الحر ومدفأة من القر ووقار في الندي وواقية من الأحداث وزيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب"⁴ استعملت في لغة العرب بأسماء عدة حسب شكلها وطريقة لفها فسميت العصابة والمكور والمكور والمقطعة والمدماجة والمشوذ والعميرة⁵.

لبسها أهل بلاد المغرب وعرفوا بها حيث يسميهم الأندلسيون بأصحاب العمائم تمييزا عنهم بحكم أن هؤلاء عرفوا بلبس القلنسوات⁶، لبسها المرابطون وولاتهم⁷ وكذا خلفاء الموحدين⁸ وأيضا من جاء بعدهم، بعدهم، ومن بين المناطق التي عرفت بصنع العمائم مدينة أغمات مثلما ذكر الادريسي⁹، ومدينة بجاية فأهلها متخصصون في صناعتها وهي مطروزة بالذهب تصل ثمن العمامة ما بين خمسمائة وستمائة دينار¹⁰.

العباءة ثوب متسع مفتوح من الأمام وبدون أكمام تلبس فوق الألبسة تنسج غالبا من الصوف وتكون مخططة باللونين الأبيض والأسود، ارتبطت بالفقراء وأهل البادية¹¹ وما لبثت أن أصبحت لباسا للمترفين أيضا والذين يتخذونها من أجود القماش مع تزيينها وتطريزها باستعمال الحرير¹².

¹ ابن سيدة، المصدر السابق، ج4، ص82

² الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998، ص100.

³ جواد علي، المرجع السابق، ج5، ص48؛ يحيى الجبوري، المرجع السابق، ص197، 201.

⁴ الجاحظ، المصدر السابق، ج3، ص100.

⁵ يحيى الجبوري، المرجع السابق، ص211-214.

⁶ جمال طه، المرجع السابق، ص237.

⁷ ابن قزمان، ديوان ابن قزمان، تح: فيديريكو كورينتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995، ص431، جمال طه، المرجع السابق، ص

238.

⁸ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص148.

⁹ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص232.

¹⁰ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص129.

¹¹ صبيحة رشيد رشدي، الملابس العربية وتطورها في العهود الاسلامية، مؤسسة المطابع الفنية، بغداد، 1980، ص53.

¹² رجب عبد الجواد ابراهيم، معجم الملابس العربية، دار الافاق العربية، القاهرة، 2002، ص317.

السروال يقال أن الكلمة من أصل فارسي معربة مأخوذة من شلوار التي تعني اللباس الذي يستر أسفل الجسم والواضح أنه قديم وقد لبسته العرب ويذكر دوزي أنه لبس في الأندلس والمغرب سواء للرجال والنساء¹.
والنساء¹.

الخمار ما تغطي به المرأة رأسها والجمع خمر وأخمرة ، كل ما خمرت به المرأة رأسها من قماش من كتان أو حرير أو غير ذلك².

الرايات والأعلام :

تعد الرايات إحدى شارات الدولة والمعبر عن سطوتها وعظمتها وهذا كان دأب الدول منذ القديم، كما كان لها دورا مهما أثناء الحروب كوسيلة للحفاظ على روح الجيش وتماسكه وكجزء من الحرب النفسية وبت الخوف والرعب في نفوس العدو³.

عرف عن الخليفة عبد المؤمن بن علي أنه أكثر من الرايات والألوية في جيوشه حيث "خفت على رأسه ثلاثمئة راية ما بين بنود وألوية"⁴، وعند بني مرين وصل عددها في عهد أبو الحسن المريني المائة راية نمقت بالذهب والحرير⁵. واتخذ بنو زيان بدورهم الرايات منذ نشأة دولتهم أيام يغمراسن الذي "اتخذ الآلة ورتب الجنود"⁶ وكان من وصية أبو حمو موسى الثاني لولي عهده ضرورة اتخاذ أعلام لفرق الجيش المختلفة لكل فرقة علم يميزها عن الأخرى⁷، وأكد صاحب البستان حضورها في جيش أبو حمو موسى الثاني أثناء عودته الى تلمسان واستقبالها من طرف أهلها⁸.

¹ رجب عبد الجواد ابراهيم، المرجع السابق، ص 234؛ رينهارت دوزي، المرجع السابق، ص 168.

² رجب عبد الجواد ابراهيم، المرجع السابق، ص 160.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 319.

⁴ المراكشي، المصدر السابق، ص 155.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 321.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 106.

⁷ أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 111.

⁸ مجهول، زهر البستان، ج2، ص 101.

الفساطيط :

يقول ابن خلدون "اعلم أن من شاررات الملك وترفه اتخذ الأخبية والفساطيط والفازات من ثياب الكتان والصوف والقطن..."¹ أي أنها من أهبّة الملك لذا يتخذها الحكام لحاجتهم إليها عند السفر والحملات والتخيم في الأماكن البعيدة " اتخذوا في أسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الأشكال مقدرة الأمثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها بأبلغ مذاهب الاحتفال والزينة"² .

أمدتنا النصوص بإشارات عن حضور الفسقاط مع السلاطين أينما ارتحلوا مثلما ورد عند العمري أن السلطان المريني أبو الحسن في رحلاته وحملاته بعد أن يختار مكان التخيم يقوم الجند والخدم ببناء فسقاطه المنسوج من الكتان ثم الأخبية التي تخص ذويه وأهله ويزود بكل اللوازم لذا سماه العمري بمدينة ذات أربعة أبواب³ ، وذكر الفسقاط أيضا في حملة السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني على بجاية وحصاره 767هـ/1366م لها فتبت فسقاطه عند أسوارها⁴ ، وفي استعراض عسكري سنة 767هـ/1366م حضر السلطان أبو حمو موسى الثاني لمشاهدته من مكان عالي وهو في خباء⁵ .

2. الصباغة

الصباغ معالج الصبغ حرفته الصباغة، صبغ الثوب إذا غير لونه وأزيل عن حاله إلى حال آخر، الصباغ ما يصبغ به من الإدام، الجمع أصباغ، والصبغة ما تلون به الثياب⁶ .

تعد الصباغة من مقتضيات الحضارة والتمدن والترّف، لقيت نشاطا كبيرا لكون الناس يقبلون على الثياب المزينة ذات الألوان الزاهية، تستخلص مواد الصباغة من مصادر متنوعة نباتية كانت أو حيوانية أو

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 330 .

² نفسه، ص 131 .

³ العمري، المصدر السابق، ج4، ص 110 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 171 .

⁵ يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 170 .

⁶ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، 437.

معدنية، محلية كانت أم مستوردة، تقف على رأس الحرف التي تخصص فيها اليهود في كل الأماكن التي حلوا بها " فلا تجد اليهودي إلا صباغاً¹ كما يقول الجاحظ .

أما عن طريقة الصباغة فهي عملية بسيطة لكنها تحتاج لدراية بتركيب الألوان، بداية يتم تخصيص أحواض أو قدور كبيرة يوضع فيها الماء ساخناً ثم تختار مادة الصباغة أو مواد عدة تخلط مع بعض حتى يستوي اللون المراد الحصول عليه ثم يوضع في الحوض أو القدر الغزل أو قطع النسيج وتترك فيه حتى تتشبع باللون ثم تستخرج وتنشر لتجف².

وقد أبدع الصباغون في تركيب المواد الصبغية للحصول على ألوان متعددة مثلما يظهر في الجدول التالي على سبيل المثال :

اللون	المادة المستعملة	الدرجات اللونية
الأحمر	القرمز ³ ، الطرطار ⁴ ، الحناء، أصداق بحرية، الفوة	أرجواني، برهمان، مضرج، مورد
الأصفر	العصفر، الزعفران، قشر الرمان	جلوقي، جنار، ذهبي
الأسود	لحاء شجر الجوز	أسود مفحم، أجوني حالك خدري، دهواجي
الأزرق	النيلة (النيلج) ⁵	سماوي، زبرجدي، فيروز
أبيض	الكبريت	
مثبت ألوان	الشب	

جدول: ألوان ومواد الصباغة⁶

¹ الجاحظ، الرسائل، مج3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964، ص 316.

² لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 96.

³ حشرات تتولد على ورق الأشجار ثم تنمو حتى تصير كحبة الحمص وهي شديدة الحمرة ننته الرائحة. أنظر: علي جمعان الشكيل، صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع32، دبي، 2001، ص 148.

⁴ الرواسب التي تنتج عن عصير العنب الموجه لصنع الخمر، استعملت في الصباغة الحمراء ويقال في المثل المغربي "تلاقى الشب مع الطرطر وخرجت صباغة هندية". أنظر: الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 314.

⁵ نبات ذو ساق صلب وورق مستدير الشكل ويسمى أيضا بالعظلم. أنظر: علي جمعان الشكيل، المرجع السابق، ص 148.

⁶ أنظر: محمود هدية، المرجع السابق، ص 149 - 150.

وتعد فاس مدينة الصباغة بامتياز حيث وصل عدد دور الصباغة بها 116 دارا في عهد الموحدين¹، في حين توفرت مدينة سبتة على 23 مقصرا للصباغة²، كما اشتهر ربض العباد بتلمسان أيضا بمئاته الحرفة " فمعظم سكانه صباغون" وكذلك مدينة دلس التي كثر بها الصباغون³، وسجلماسة التي " يعمل أهلها بأنواع الأصباغ"⁴.

3. الوراقة

مأخوذة من الورق قال الخليل ورقت الشجرة أخرجت ورقها، والوراق وقت خروج الورق، شجرة وريقة كثيرة الورق⁵ وعند الفيروز آبادي " لفظ مشتق من الورق والوراق هو مورق الكتب وحرفته الوراقة⁶، وعند القلقشندي الوراق اسم جنس يقع على الكثير والقليل ويسمى أيضا الكاغد، والوراق الرجل الذي يكتب⁷، وعند ابن الحاج الوراقة هي صناعة الورق⁸، أما أبو حامد الفاسي فقال إن الوراقة هي حرفة النسخ⁹، في حين حين يجعل لها ابن خلدون مفهوما أشمل بقوله هي معاناة الكتب بالاستنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين¹⁰.

ويتضح أن الوراقة مفهوم شامل ولا ينحصر في حرفة واحدة بل يتعداها إلى العمل بمهن عدة تسير في فلك واحد كصنع الورق والنسخ والتجليد وخط الكتب وتنميقها وصنع الأحبار والأقلام... وإن كان هذا المفهوم يضيق أو يتمدد أحيانا فيرجع ذلك إلى بيئة كل مؤلف وحسب وضعية هاته الحرفة في عصره إن كانت في أزهى أيامها أو في فترة تراجع. لذا سنحاول هنا تقصي كل حرفة على حدى:

صناعة الورق

¹ الجزائري، المصدر السابق، ص 44 .

² الأنصاري، المصدر السابق، ص 49 .

³ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 24، 42 .

⁴ الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 192 .

⁵ الفراهيدي، العين، تح: عبد الحميد هندواي، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، 364.

⁶ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 928.

⁷ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913، ص 476.

⁸ ابن الحاج، المدخل، ج3، ص 126.

⁹ محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991، ص 11.

¹⁰ ابن خلدون، المقدمة، ص 532.

انتشرت صناعة الورق في مدن المغرب منذ القرن الرابع حيث وجدت عند الزيريين وواصلت في الانتشار حتى أنه في عهد المرابطين وبالضبط في أيام علي بن يوسف وصلت معامل الكاغد بفاس إلى مئة وأربعة معامل¹، وتعد فترة الموحدين فترة الورق والوراقة بامتياز حيث وصل عدد مصانع الورق بفاس وحدها أيام المنصور والناصر حوالي أربعمئة معملا² وانتشروا في حي عرف باسم حي الكغادين على مقربة من وادي الزيتون³، وهذا تماشيا مع توسع مجال الدولة وتبهرها في العمران مما يؤدي كثرة الطلب على الورق في الأمور الإدارية والدواوين، وكذلك محاكاة لنشاط الحركة العلمية والمعرفية يومها، وتعتبر سبته هي الأخرى إحدى المراكز الشهيرة في صناعة الورق بل إن الورق السبتي نال درجات من التميز لذا أشاد به أندري جوليان وأدلت عليه الوثائق المحفوظة في الأرشيفات الإسبانية والتي كتبت بالورق السبتي آنذاك كما ذكر محمد شريف⁴.

شريف⁴.

ويبدو أن صناعة الورق قد تراجعت كثيرا في كل ربوع المغرب الاسلامي منذ القرن الثامن أو حتى قبله، ووجد الورق الرومي الذي كان يجلب من المدن الأوروبية مكانا خصبا للسيطرة والانتشار مما أدى بالناس إلى الاستفتاء حول جواز استعماله وهي النازلة الشهيرة التي ظهرت بمسمى "...حول جواز النسخ في كاغد الروم"⁵ لدرجة أن ابن مرزوق ذكر أنه لم يبق في عصره من يصنع الورق إلا فاس وشاطبة في كل الغرب الاسلامي⁶.

وعن كيفية صنع الورق أمدنا بن باديس بطريقة شائعة في عصره وهي أن يؤتى بالقنب الأبيض الجيد فينقى من قصبه ويبلل بالماء ويمشط حتى يلين ثم يوضع في حوض جير ليلة كاملة ثم يدعك باليد ويطرح للشمس حتى يجف ثم يعاد الى ماء الجير غير الأول ليلة أخرى ثم يدعك مرة أخرى ويوضع في الشمس، وتكرر هذه العملية عدة أيام فإذا وصل إلى بياضه التام يقطع بالمقص قطع صغيرة ثم ينقع في ماء سبعة أيام يغير فيها الماء كل يوم ثم يدق في مدق حتى يلين ثم يوضع في وعاء به ماء نظيف فيحل به حتى يصير مثل الحرير ثم يؤخذ بقالب كالمخل لا جدران له يحرك القنب في الماء حتى يختلط ثم يوضع في القالب ويعدل كي لا يكون غليظا في جانب ورقيقا في آخر، إذا صفى الماء من القالب يلقى محتوى القالب على لوح ثم يلصق

¹ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 21 .

² الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

³ محمد المنوني، المرجع السابق، ص 33.

⁴ محمد شريف، المرجع السابق، ص 54.

⁵ المازوني، المصدر السابق، ج1، ص 303؛ الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 75-85.

⁶ نفسه، ج1، ص 85.

بحائط مستو حتى تجف الورقة وتسقط ثم تطلى بخليط يتكون من الدقيق والنشاء من الوجهين فإذا جفت ترش بماء رشا خفيف ثم تصقل كما تصقل الثياب وتصبح جاهزة للكتابة¹.

في الحقيقة لا نعرف إن كانت هاته الطريقة التي وصفها ابن باديس معمولا بها في مدن المغربين أو في العالم الاسلامي حينئذ، خاصة وأن بعض الباحثين مثل "جوناثان بلوم" يرون أن وصف المعز ينطبق على تقنية قديمة كان صناع الورق قد تركوها في ذلك الوقت وأن الوصف تجاهل ذكر استخدام الخرق التي تعد مادة أساسية في تلك الصناعة²، وتؤكد لنا كتب الحسبة أن الخرق كانت مستعملة في صناعة الورق في ذلك الزمن ونفس الأمر ذكره المكناسي عند وصفه لخطوات صناعة الورق في عهده وإن كان متأخرا عن فترة الدراسة لكن لا يبدو أن الطريقة تغيرت، لذا نورد هنا طريقة أخرى لصناعة الورق بالاعتماد على هاته الكتب، بداية يؤتى بمجموعة من الخرق الكتانية والأسمال البالية تنظف تنظيفا جيدا في صهاريج من الماء كل جنس منها على حدى ثم توضع فوق بعض وتترك لأيام حتى تتعفن وتتضاءل ثم تقطع قطعاً صغيرة وتوضع في جرن لترحى برحى خشبية معدة لذلك لتصبح كالعجينة، قد تضاف إليها ألياف القنب والكتان وقشور بعض الشجر، ثم توضع في صهريج ماء وتحرك جيدا ثم يؤتى بقالب مناسب ويغمس في الخلي وينزع وقد علق به ما علق ثم يفرغ في حصير مشكلا بذلك ورقا، وتستمر العملية على هذا النحو ويوضع الورق فوق بعضه بين كل ورقة وأخرى حصير حتى تصير رزمة، توضع هاته الرزمة في تحت (معصرة) حتى يخرج ما بقي من ماء، ثم تطلى الأوراق بماء النشا أو غيره ثم تجفف³.

النساختة :

يقصد بها الكتابة والتدوين والتصوير وما يصاحبها من إمام بفن الخطوط⁴ بأنواعها والتزيين والتزويق¹، تشكل أساس حرفة الوراقة ككل تتطلب جودة الخط والسرعة في الأداء والإتقان والأمانة، تقوم هاته الصنعة مقام الطباعة اليوم وظل الاعتماد عليها طيلة العصر الوسيط وما بعده حتى اختراع الطباعة².

¹ المعز بن باديس، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تح: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، نشر مجمع البحوث الإسلامية، ايران، 1409هـ، ص 89-90.

² جوناثان بلوم، قصة الورق تاريخ الورق في العالم الاسلامي قبل ظهور الطباعة، تر: أحمد العدوي، دار أدب للنشر والتوزيع، الرياض، 2021، ص 180.

³ أنظر : جهاد غالب مصطفى زغلول، المرجع السابق، ص 137-138.

⁴ بالنسبة للخطوط المستعملة في بلاد المغرب فستمد أصولها من الخطين الحجازي والكوفي، تولد عنهما ثلاث مدارس رئيسية للخط في الغرب الاسلامي ككل المدرسة القيروانية والأندلسية والفاسية، ومن تفاعل هاته المدارس مع بعض نتجت خطوط عدة بشخصية محلية في كل من إفريقيا

ويبدو أن هاته الحرفة لقيت رواجاً كبيراً في المغربين وهذا يظهر من أعداد النساخين التي حوتم النصوص التراجيمية، وقد اخترنا بعض النماذج منهم في فترة الدراسة :

عتيق بن علي الصنهاجي (ت 595هـ / 1199م) سكن مكناس ثم فاس نسخ بخط يده كتب كثيرة³ .

مُجد بن أحمد التغمري السبتي (كان حياً سنة 596هـ / 1199م) اشتهر بنسخ جيد دو إتقان وضبط⁴ .

أبو عبد الله مُجد التجيبي التلمساني (ت 610هـ / 1213م) شاع بحسن الخط والتقيد قام بنسخ كتب عديدة منها ما درسها بالمشرق عند رحلته إليها و منها كتب شيخه أبي طاهر أحمد⁵ .

بكر بن حماد الصنهاجي (ت 628هـ / 1231م) نسخ العديد من المدونات بإتقان مما جعله ذائع الصيت⁶

أبو مُجد جعفر بن أمية (ق 7هـ / 13م) أعجب الغريبي كثيراً بحرفية أعماله المنسوخة من جمال في الخط وحسن ضبط ودقة عالية⁷ .

أبو القاسم عبد الرحمان بن مُجد بن أبي بكر السطاح الجزائري (ت 629هـ / 1231م) عرف بحسن الضبط وبراعة الخط، من بين الكتب التي نسخها " الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"⁸ .

مُجد بن أحمد الجمحي المراكشي المشهور بابن الشاطر (كان حياً 756هـ / 1355م) دأب على نسخ المصاحف⁹ .

والغرب الأوسط والمغرب الأقصى، ومع أواخر العهد المريني أسفر تطور الخط المغربي عن خمسة خطوط الخط الكوفي المغربي، خط الثلث المغربي، الخط المبسوط، الخط الجوهري، الخط المسند (الزمامي) . أنظر: عمر أفا، مُجد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، منشورات وزارة الأوقاف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص 32- 37 .

¹ خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2011، ص 259.

² نفسه، ص 268 .

³ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 278 .

⁴ مُجد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 34 .

⁵ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تح: إحسان عباس، ج6، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص 356 .

⁶ ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، تح: مُجد بن شريفة، س 8، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1985، ص 324 .

⁷ الغريبي، المصدر السابق، ص 190.

⁸ نفسه، ص 287 .

⁹ السملالي، الاعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الاعلام، تح: عبد الوهاب منصور، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ص 283.

مُجَّد بن سعيد الرعيني الفاسي (ت 778هـ/1377م) ورد عنه أنه نسخ بخطه كتباً كثيرة تزيد عن المئة وخمسون دون مؤلفاته¹، ويضيف المنوي أن مكتبة الاسكوريال باسبانيا لا زالت تحتفظ بأحد المخطوطات

التي نسخها وهو كتاب "التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" لابن السماكي².

كما سجلت المرأة حضورها في هاته الحرفة لذا لا يفوتنا أن نذكر بعض النماذج :

عائشة بنت أبي طاهر عمارة بن يحيى (كانت على قيد الحياة 585هـ/1189م) قيل أن لها خط حسن وعمل جيد، من بين الكتب التي ارتبط اسمها بنسخها "يتيمة الدهر" للثعالبي³.

سعيدة بنت مُجَّد بن فيرة التطيلية، أقامت بمراكش مع أختها وامتهنا معا نساخة الكتب⁴.

التجليد (التسفير) :

جلد الشيء ألبسه الجلد، والتجليد حرفة فنية ابداعية تهدف لحماية الكتاب (المخطوط) والحفاظ عليه وكذا تزيينه وزخرفته ليظهر في حلة جميلة، تقابلها كلمة التسفير التي تستعمل في الغرب الاسلامي⁵. تكمن أهميتها في الحفاظ على كتب الدين وعلى رأسها القرآن الكريم وكذا التراث العلمي للأوائل وهذا ما يقوله ابن الحاج " هذه الصنعة من أهم الصنائع في الدين إذ بها تصان المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية"⁶.

من بين الأدوات واللوازم الواجب توفرها عند عملية التسفير: قالب لإصاق الأوراق ببعضها، حديدة النقش للرسم والتخطيط على الجلد، مسطرات واحدة للرسم وأخرى للتبشير ومسطرة الريح التي يزال بها الهواء والتشنج في الجلد، الخيط يفضل أن يكون رقيقاً جيداً للقتل، التخت (المزيار) وهي آلة يضغط بها على دفتي الكتاب، الإبر منها ما يصلح للحزم ومنها ما يكون للحبك، حجر لصقل التقصيص، الشفرة، المقراض،

¹ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 147.

² مُجَّد المنوي، المرجع السابق، ص 63.

³ الغبريني، المرجع السابق، ص 79.

⁴ مُجَّد المنوي، المرجع السابق، ص 38.

⁵ مُجَّد جادة، التسفير، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1984، ص 2367؛ وجدان فريق عناد، فن

التسفير في بلاد المغرب خلال العهود الاسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، ع 4، العراق، 2011، ص 116.

⁶ ابن الحاج، المصدر السابق، ج 4، ص 87.

الغراء وهو أنواع ما رق منه ألصق وأصلح للكاغد يصنع من النشاء أو من دقيق الدرملك أو من نبات البرواق¹.

أما عن خطوات التجليد فتبدأ العملية بتحضير الدفء الورقية عبر إصاق مجموعة من الورق ببعضها البعض بالغراء لتصبح كالورق المقوى، ثم يؤتى بالكراريس المراد تسفيرها ويجمعها في القالب ويبدأ بخياطتها وفق علامات محددة بالإضافة إلى دهنها بالغراء بعد شدتها بالتخت، ثم يلصق الكتاب بالدفئين السابقتين بالغراء ويوضع في الزيار ويترك حتى يجف فإن تم ذلك يفك منه، بعدها يقصص الكتاب والدفئين بالسكين ثم يصقل بحجر البركان أو حجر القوصري لكي يذهب أثر القص، تفصل قطعة مناسبة من الجلد ويغلف بها الكتاب بأكمله (الدفئين واللسان)، يزين الغلاف الجلدي برسومات زخرفية باستعمال حديدية مسخنة على النار، وقد يذهب الكتاب باستخدام الذهب في الكتابة أو على الجوانب الخارجية له².

ومن أشهر المسفرين الذين وصلتنا أخبارهم :

. أبي زيد عبد الرحمان مُجَّد الصقر الأنصاري البلنسي (ت 523هـ/1129م) سكن المرية ثم انتقل إلى فاس وتوفي بمراكش مارس حرفة تسفير الكتب وتذهيبها في دكان له قرب القرويين بفاس³.

. أبو بكر عمر بن إبراهيم اللخمي الاشبيلي نزيل فاس ومراكش أشهر المجلدين في الغرب الاسلامي صاحب الكتاب المعروف في هاته الصنعة "التسيير في صناعة التسفير"، دخل في خدمة الخلفاء الموحدين ومن المرجح أنه كان على رأس الفريق الذي ساهم في تزوين المصحف العثماني بأمر من عبد المؤمن بن علي⁴.

. يحيى بن مُجَّد بن يحيى بن علي القيسي أصله من قرطبة ونزل بفاس خطاط ومزخرف للكتب ومذهبها وصفه ابن الآبار بأنه كان "بارع الخط مذهبا صناعا"⁵.

¹ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 95-98؛ الاشبيلي، التسيير في صناعة التسفير، تح: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مج 7 و 8، مدريد، 1959-1960، ص 10-13.

² المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 98-100؛ الاشبيلي، المصدر السابق، ص 14-26؛ المطري، تدبير السفير في صناعة التسفير، تح: عبد العزيز بنموسى، دن، دب، 2012، ص 68-77.

³ ابن القاضي، المصدر السابق، ص 262.

⁴ نفسه، ص 104.

⁵ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ص 310.

. أبو العباس حسن بن أبي بكر بن شعبان ناسخ وخطاط بارع وكذا يطرز ويذهب الكتب في غاية الدقة والإتقان¹.

. أبو عبد الله بن يحيى الباهلي (ت 744هـ/1343م) مفتي ومدرس وقاضي الجماعة ببجاية، لقب بالمسفر لحذقه في هاته الصنعة².

. أبو الحجاج يوسف بن علي المكناسي (كان حيا 770هـ/1368م) كان يسفر الكتب بطريقة جيدة³.

. أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر أقام بمدينة سلا ودفن بها (ت 764هـ/1363م) كان نساخا ومسفرا للكتب من الكتب التي ارتبط اسمه بنسخها وتجليدها نسخ كثيرة من العمدة في الحديث النبوي⁴.

صناعة الحصر والسلال

وجدت هاته الحرف حضورا كبيرا نظرا لوفرة المادة الأولية ذات الأصل النباتي ممثلة في سعف النخيل وجريده، الحلفاء، نبات السمار، الديس، الدوم، الغرف، كذلك لحاجة ساكنة المغربين إليها في أمورهم اليومية في البيت وخارج البيت، وهي حرف مرتبطة ببعضها قد تجتمع ممارستها في شخص واحد يسمى "الحلفاوي".

الحصير كما جاء في اللسان البساط الصغير من النبات الجمع حصر بسط في البيوت سمي بذلك لأنه يلي وجه الأرض⁵، وتطلق أيضا على سجاد الصلاة ويسمى حصير الصلاة، يدعى صانعها بالحصري والحصار. يختار الحصري المادة التي يود صنع الحصر منها سواء كانت حلفاء أو غيرها ممن ذكرنا تنشر تحت أشعة الشمس لأيام حتى تجف ويصف لونها ثم تبلل بالماء لكي تلين ثم تفتل وتبرم بعد أن تقطع قطعاً متساوية حتى تصير خيوطاً ثم تخاط إما بخيوط أخر أو تشد ببعضها عن طريق التداخل والتقاطع⁶، يؤمر الحصارون بتحسين ما يخيطنونه من حصير أو غيره ويمنعون من عمل الحلفاء القصيرة في كل ما يعمل منها

¹ الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 187.

² ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 53.

³ العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ص 466؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 348.

⁴ محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 63.

⁵ ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 196.

⁶ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 90.

وينهون عن طبخ الحلفاء ويوهموا الناس أنها مدبوغة¹، يشير ابن الزيات إلى أن أبو اسحاق ابن يسوا نزيل تلمسان كان ينسج حصر الصلاة من الغرف الذي يحتطبه من الجبل²، برزت مدينة سلا في صناعة الحصر الحسنة الصنع الجيدة المنظر³ تستعمل هاته الحصر عموما في فرش البيوت والمساجد وفي تغليف الحيطان وتتخذ للصلاة عليها كذلك.

وبالنسبة للسلال والأقفاص فتصنع من القصب بعد تنقيته ونجارتة وتقطيعه ثم يشد مع بعضه بشكل تقاطعي أفقيا وعموديا على هيئة شبكة⁴، ورد عند الوزان أن لهؤلاء أربعين دكانا بفاس بجوار الجامع الكبير⁵، الكبير⁵، استعملت القفف لحمل الخضر والفواكه وبعض المواد الغذائية أما السلال فأخذت للسلع المحملة إلى إلى أماكن بعيدة لذا استعملت في التصدير، ذكر ابن مريم في ترجمته لحدوش بن التيرت العبد الوادي أنه كان يبيع القفف والطبقات المصنوعة من الدوم في قيسارية تلمسان⁶.

ب . المصنوعات الجلدية

1. الدباغة

دبغ يدبغ دبغا ودباغة، والدباغ من يقوم بذلك وحرفته الدباغة، والمدبغة مكان الدبغ⁷. هي عملية الحفاظ على الجلود من التلف والتعفن بمعالجتها بمختلف المواد المناسبة لذلك⁸ لتصبح جاهزة للتصنيع ولمختلف الاستعمالات لذا فهي من الحرف الأساسية ولا تقوم أي صناعة جلدية قبلها، وقد بلغت الدباغة في بلاد المغرب مبلغا كبيرا لوجود المادة الأساسية ممثلة في الجلود المستمدة من الثروة الحيوانية كما ذكرنا سابقا .

تمر عملية الدبغ بمراحل لذا فهي من الحرف الشاقة التي تتطلب وقتا كثيرا، أولها تخصيص أحواض حجرية تمتلئ بالخليط المعد لكل مرحلة، ثم يملح الجلد ويترك فيه الملح لأيام، ينزع الشعر والدهون باستعمال

¹ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 102.

² ابن الزيات، المصدر السابق، ص 294.

³ الدكالي، الاتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تح: مصطفى بوشعراء، ط2، الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، 1996، ص 44.

⁴ طه حسن الزعاري، الصنائع والحرف في جنوب بلاد الشام، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2021، ص 109.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 238.

⁶ ابن مريم، المصدر السابق، ص 93.

⁷ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص 424.

⁸ شذى بشار الصوفي، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، إشراف خالد سالم اسماعيل، كلية الآداب،

الآداب، جامعة الموصل، 2004، ص 40.

مادة الجير وكذا فضلات الحمام¹، بعدها تتم عملية المحافظة على طراوة الجلد وحمايته من التلف باستعمال مواد عدة كالعفص والطرفاء وقشور بعض النباتات كقشر الجوز وأيضا الزيتون والتين وشجر التاكوت الشهير وهذه المرحلة هي المرحلة الرئيسية في الدبغ، تنشر الجلود بعد الدبغ لتجف حتى تصبح جاهزة للاستعمال².
تمارس هذه الحرفة إلى اليوم بنفس الطريقة تقريبا سواء من ناحية الخطوات أو من ناحية المواد المستعملة، هناك مناطق ودور تختص بدبغ نوع معين من الجلود (جلد الماعز، البقر، الغنم) في حين تعنى مناطق ودور أخرى بدبغ مختلف الأنواع.

شدد الفقهاء والمحاسبة على ضرورة ممارسة هاته الحرفة خارج أسوار المدن³ لأنها تحتاج إلى مجال واسع وإلى كميات كبيرة من المياه، وكذا لما تتركه من روائح ومخلفات تؤذي ساكنة المدن، كما أنها تنشر في الطرقات مما يعيق المارة لذا أصر العقباني على ضرورة إزالتها⁴.

من أشهر مراكز الدباغة في المغربين درعة وسجلماسة أين يتوفر شجر التاكوت وبه هناك تدبغ الجلود⁵، وأغمات التي "تدبغ بها جلود تفوق جودة جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها"⁶، أما فاس فبلغت دور الدباغة بها في عهد المنصور والناصر ستة وثمانون دارا⁷، ووجدت بمراكش مدابغ كثيرة، في حين كان من أبرز صادرات مدينة سلا الجلود المدبوغة⁸، وعرفت كل من تفتنة وتكوداست بدبغ جلود الماعز على الخصوص⁹، تلمسان وجدت مدابغها خارج أسوارها وانتشرت بالقرب من من وادي مشكانة¹⁰، ويسمى أحد الأحياء ببجاية بباب الدباغين¹¹، واختصت مدينة وهران بدباغة جلود

¹ عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 271-272.

² عطا أبورية، المرجع السابق، ص 124.

³ الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص 446.

⁴ العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوني، دن، دب، 1967، ص 67.

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 152؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 207.

⁶ الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 225.

⁷ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 48.

⁸ الدكالي، المصدر السابق، ص 44، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص 230.

⁹ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 120، 170.

¹⁰ محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011،

ص 8.

¹¹ الغبريني، المصدر السابق، ص 50.

البقر والثيران وتصديرها¹، وكذا اشتغل سكان جبل بني بوسعيد بدبغ الجلود وكانوا يحملونها إلى تنس لبيعها² لبيعها².

2. الخرازة

هي خياطة الجلد وتفصيله إلى مصنوعات وأغراض عدة³، ومن أبرز المصنوعات الجلدية صناعة الأحذية يسمى صانعها الاسكافي وهو لا يختلف عن الخراز لأن الحرفتين متداخلتين إذ ذكر في المعجم الوسيط أن الاسكافي هو الخراز وهو كذلك صانع الأحذية ومصلحها⁴ وعند مُجَّد عمارة الاسكافي هو الذي الذي يقوم بإصلاح الأحذية⁵ يطلق عليه أيضا الخراز يمارس هؤلاء حرفتهم في حوانيتهم أو في بيوتهم لذا يقال يقال بيت "الاسكافي فيه من كل جلد رقعة وكل آدم قطعة"⁶.

من بين الشروط الواجبة على هؤلاء الاسكافيين ألا يخيطنوا إلا بالإبرة الرفيعة، ولا يشدوا نعلا أحرقتة الدباغة⁷، كما يمنعون من تغليظ حواشي النعال قبل خرزها⁸. ومن أشهر المصنوعات الجلدية عموما : الخف : هو ما يلبس في القدم يطول ويقصر قيل إن الكلمة معربة من أصل فارسي "كفش" ومعناها نوع من الأحذية الجلدية يلبس فوقها حذاء آخر⁹، وعند ابن منظور الخف ما أصاب الأرض من باطن قدمه وهو في في الأرض أغلظ من النعل الجمع أخفاف وخفاف تخفف الرجل أي لبس الخف¹⁰.

انتشرت صناعته في المغرب عموما مثلما دلت على ذلك النوازل¹ ذكر المازوني نازلة وردت على شيوخ تلمسان حول المسح على الخف²، وفي فاس تخفف رجال الطبقة المترفة بالخفاف الملونة والحشنة في فصل الشتاء واتخذوها أيضا في الصيف من جلود رقيقة³.

¹ وردة شرقي، مدينة وهران خلال العصر الوسيط، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد العزيز فيلال، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2013، ص 77.

² الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 45.

³ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 226.

⁴ المعجم الوسيط، ص 439.

⁵ مُجَّد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، 1993، ص 49.

⁶ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1985، ص 241؛ عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 131.

⁷ ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 233.

⁸ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 103.

⁹ رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص 152.

¹⁰ ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 102.

القبقاب : هو حذاء يصنع من الجلد والخشب يستعمل من طرف الرجال والنساء يلبس في الحمام وخارجه، جمعها قباقب تسمى هكذا لما تحدثه من أصوات عند المشي بها كما تسمى أيضا بالأقراق ، يعلو القبقاب عن الأرض كثيرا لذا تلبسه النساء القصيرات لتغطية قصرهن أو لكي لا تلامس أثوابهن الأرض، في بعض الأحيان يزرکش ويرصع بالأصداف أو الفضة استعمل في مدن المشرق وكذا في الأندلس⁴ ووجد في المغرب من يردتيه ومن يصنعه يفيدنا ابن مرزوق بأن هناك مكان في تلمسان يسمى القبابين⁵، كما شاهد أيضا أحد سكان تلمسان ينتعل قبقابا⁶، ووجد بعدوة القروين بفاس زقاق خاص بهذه الصناعة يسمى سوق القراقين⁷ وكذلك في سبتة ازدهر صنع هذا النوع من الأحذية حتى أخذ أحد الأسواق تسميته منه⁸، واختصت بجاية بصناعة الأقراق ذات الأزرار والتي سميت بالأقراق الزرارية⁹.

التروس تسمى بأسماء عدة كالدرق، المجن، الحجف وهي إحدى الأسلحة الدفاعية في الغالب تصنع من الخشب وتغطي بجلد، من التروس التي نالت شهرة واسعة في بلاد المغرب الدرق اللمطية والتي كانت تصنع في نول موطن حيوان اللمط، ويبدو أنها كانت مفضلة عند الجيوش ونالت إعجابا واسعا في مختلف النصوص يقول الادريسي " بهذه المدينة تصنع الدرق اللمطية التي لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها صهرا ولا أحسن منها صنفا وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة حملها"¹⁰ وذكر ابن أبي زرع أنها من أفضل التروس لأنها لا تؤثر فيها رمية رمح أو سهم أو ضربة سيف إلا تأثيرا قليلا¹¹.

ومن بين المصنوعات الجلدية أيضا صناعة سرج الخيول عرفت بجاية بصنيع السروج¹²، ووجد بفاس صانعو عدة الخيول والسرج¹، وتلمسان هي الأخرى كانت رائدة في هاته الصناعة².

¹ الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 420.

² المازوني، المصدر السابق، ج1، ص 497، 500.

³ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج2، ص 175.

⁴ رينهارت دوزي، المرجع السابق، 308.

⁵ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 180.

⁶ نفسه، ص 183.

⁷ ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص 72.

⁸ البادسي، المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993؛ مجّد

شريف المرجع السابق، ص 54.

⁹ البيذق، المصدر السابق، ص13؛ عز الدين موسى، المرجع السابق، ص320؛ جمال طه، المرجع السابق، ص251.

¹⁰ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 222.

¹¹ ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية، ص 70.

¹² روجيه ادريس، المرجع السابق، ج2، ص 100.

ج. الصناعة الخشبية

النجارة

النجر نحت الخشبة نجرها ينجرها نجرا ونجارة العود ما نتحت منه عند النجر، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة³، يرى ابن خلدون أن هذه الحرفة من ضروريات العمران ومن مظاهر التأنق والترف، تقوم على تفصيل الخشب قطعاً مختلفة ثم تركيب بحسب الصور المطلوبة على نسب مقدره وبانتظام حتى تصير أعضاء لشكل مخصوص، وتحتاج هاته الصنعة إلى قدر كبير من الهندسة في جميع أصنافها لأنها تتطلب معرفة تناسب في المقادير إما عموماً أو خصوصاً لإخراج الشكل المراد الحصول عليه بصورة محكمة⁴.

1. صناعة السفن:

السفن القشر سفن الشبيء سفنه سفنا أي قشره جمعها سفائن وسفن وسفين صانعها سفان وحرفته السفانة⁵، سميت كذلك لأنها تسفن وجه الماء، وقيل أنها مأخوذة من السفن وهو الفأس الذي ينحت به النجار، أو لأنها تسفن وجه الأرض أي تزلق بها، يقول عمرو ابن كلثوم:

ملأنا البر حتى ذاق عنا وموج البحر نملؤه سفينا⁶

اصطلاحاً يعرفها ابن خلدون بأنها أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت بشكل وهيكل يساعدها على مصادمة الماء، تتحرك بمساعدة حركة الرياح⁷.

أدرك الموحدون منذ تأسيس دولتهم إلى ضرورة إنشاء قوة بحرية يستندون عليها إلى جانب قوة البر في حماية سواحل بلاد المغرب ومواجهة الأخطار الخارجية، وهذا يتناسق مع طموحاتهم السياسية وطبيعة الدولة التي أقاموها يوم تسيدت الجناح الغربي للعالم الإسلامي⁸، لذا كان لزاماً أن يكونوا في مستوى التحديات وأن

¹ ابن الأحرر، بيوتات فاس، ص 24؛ روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص 134.

² ابن سعيد، المصدر السابق، ص 140.

³ الخزاعي، المصدر السابق، ص 711.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص 514-515.

⁵ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 1205.

⁶ ابن منظور، المصدر السابق، ج 13، ص 210.

⁷ ابن خلدون، المقدمة، ص 515.

⁸ عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 254.

يستفيدوا من العامل الجغرافي وهو موقع بلاد المغرب المفتحة على البحر فالبحر كما يقول بروديل أداة للثروة والقوة وهو على سعته لا يقبل إلا سيذا واحدا¹.

لذلك وجه الخلفاء الموحدون عنايتهم نحو إنشاء الأساطيل فقاموا بإعمار دور الصناعة الموجودة قبلهم و أنشأوا دورا وقواعد أخرى انتشرت على طول سواحل بلاد المغرب من طرابلس شرقا إلى بحر المحيط غربا بالإضافة إلى الأندلس²، وقد ذكرت المصادر أن إنتاج هذه الدور وصل في عهد عبد المومن بن علي إلى أربعمئة قطعة بحرية³، ويرجح أنها تضاعفت في عهد كل من يوسف بن عبد المومن ويعقوب المنصور بحكم التطور الكبير الذي شهدته البحرية المغربية في عهدهما على أن النصوص لم تقدم لنا أعداد القطع والمراكب في عهدهما وإنما اكتفت بالوصف⁴، وهكذا نجح الموحدون في بناء أسطول قوي عالي الكفاءة اخترقت شهرته الآفاق وصار مصدر إعجاب العدو والصدیق⁵ عبر ابن خلدون عن مقدرته بقوله "وأقاموا خطة الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد"⁶.

ويبدو أن المرينيين حاولوا النهوض بصناعة قطع الأسطول مجددا وهم الذين ورثوا شيئا من طموح الموحدين السياسي وهو ما حصل فعلا حتى صار لديهم عدة كبيرة من المراكب، وهذا يتضح من عدد قطع أسطول أبي الحسن المريني التي بلغت ستمائة قطعة يوم جوازه لإفريقية⁷. ورغم محاولات المرينيين إلا أن البحرية البحرية ببلاد المغرب عموما كانت متجهة نحو التراجع والضعف وقد ذكر ابن خلدون أن السبب يكمن

¹ فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسطي، تر: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص 85.

² سالم أبو القاسم غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين 668/451هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف نجاج صلاح الدين القابسي، كلية الآداب، جامعة الفتح، ليبيا، 2004، ص 97.

³ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 201، السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 128.

⁴ يذكر ابن خلدون عن هذه الفترة أن أساطيل المسلمين بلغت من الكثرة والاستجداء ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد فيما عهدناه، أنظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 316. مما يبين حجم الاهتمام بإنشاء الأسطول والقطع والبحرية في عهد هذين الخليفين و يدل أيضا على أن أعداد القطع التي أصبحت تصنع أكبر بكثير من عهد سابقهم.

⁵ ولعل ملامح تفوقه وشهرته تظهر في استنجد صلاح الدين الأيوبي بالخليفة يعقوب المنصور عندما أرسل سفارة إلى المغرب يطلب المساعدة البحرية في مواجهة المد الصليبي، كما يظهر أيضا في رسالة ملك قشتالة الفونسو الثامن إلى المنصور التي يشير فيها إلى امتلاك الموحدين قطعا بحرية متنوعة، بالإضافة إلى طلب ملك إنجلترا جون من مُجد الناصر حمايته ضد منافسيه. أنظر: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: ابراهيم الزبيق، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص 196؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 221؛ مُجد بن تاويت، تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982، ص 76.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، ص 316.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 376؛ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 84.

بسبب " نسيان عوائد البحر حتى صارت الأساطيل إنما تستعمل فيما تدعو إليه الحاجة من الأغراض السلطانية"¹.

دور الصناعة: تصنع السفن وتبنى في أماكن و ورشات معدة لها تحت إشراف هيئة رسمية، ظهرت في النصوص بتسميات مختلفة فسميت دار الصناعة² أو دار الصنعة ودار صناعة البحر ودار الإنشاء ودار صناعة العمائر³. تتم صناعة السفن فيها على مراحل منتظمة حيث أن كل عامل يعمل في مجال تخصصه وهناك من يلم بعدة حرف، وقد احتوت هذه الدور على النجارين والحدادين وصانعو الحبال وصانعي الأشعة بالإضافة إلى المهندسين . وعلى العموم هذه أبرز دور الصناعة التي اشتهرت:

قصر مصمودة : هو حصن كبير يقع على ضفة البحر قريب من مدينة سبتة بجوالي إثني عشر ميلا وبينه وبين مدينة طنجة حوالي عشرون ميلا، ينسب إلى سيد قبيلة مصمودة توجد به دار لإنشاء المراكب و السفن⁴.

الحبالات : تقع هذه المنطقة شرقي فاس عند ملتقى وادي سبو، أنشأ الخليفة عبد المومن بن علي هذه الدار عندما عزم على استرجاع مدينة المهديّة، وقد خصصت لصناعة القوارب والسفن الصغيرة⁵.

طنجة : تقع المدينة على جبل مطل على البحر أنشئت بها دار لصناعة السفن والمراكب ومنها تنطلق السفن وإليها تحط⁶.

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 318.

² وقد انتقلت هذه العبارة كغيرها من العبارات إلى اللغات الأوروبية حيث ظهرت في اللغة الإسبانية باسم darcenah وفي الإيطالية darsena وتحورت الكلمة إلى arsenal التي تعني في اللغات الأوروبية المكان الذي تصنع فيه السفن، ثم ترجمت الكلمة إلى العربية على أساس أنها لفظة تركية أصلها ترسخان أو ترسانة. أنظر: علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10م/8-16م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف مسعود مزهودي، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة 1، 2017، ص 514.

³ مجهول، الخلل الموشية، ص 154؛ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 346؛ محمد المنوني، ورفات عن حضارة المرينيين، ص 109.

⁴ الادريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 529.

⁵ الجزنائي، المصدر السابق، 37.

⁶ الادريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 529.

سلا : تقع على ساحل البحر المحيط بينها وبين مراكش تسعة مراحل، منبوعة من جهة البحر¹، تعد من أهم مراكز الصناعة البحرية التي استحدثها الموحدون وصارت إلى جانب المعمورة تصنع معظم قطع الأسطول²، وينسب إلى يعقوب بن عبد الحق المريني بناء دار صناعة بها³، ويتضح أنها دار أخرى غير الدار الأولى .

المعمورة (المهدية) : أنشأها عبد المومن بخلق البحر على وادي سبو بالقرب من مدينة سلا، وقد أوضحت من المراكز الأساسية لصناعة قطع الأسطول الموحدية⁴ .

سبتة : كانت قاعدة بحرية منذ أيام المرابطين، اهتم بها عبد المومن كثيرا وأمر بإنشاء دار الصناعة فيها، وقد أصبحت منذ خلافته مركزا دائما للأسطول الموحدية⁵ توسعت دار الصناعة بها في أيام المنصور⁶ وقد أشاد ابن خلدون بأهمية سبتة بقوله أوضحت أيام الموحدين ثغر العدو ومرقى الأسطول ودار إنشاء الآلات الحربية⁷ .

بجاية : أشار الادريسي إلى دار الصناعة الموجودة بها⁸ والتي تعود إلى العهد الحمادي في حين ذكر صاحب الاستبصار أن بها داران لصناعة المراكب والسفن⁹، عرف عن أهلها تميزهم في تجهيز الأساطيل مثلما عبر ابن خلدون وشرع في ذلك أهل بجاية ويصنعون الأسطول يتخيرون له الأبطال الرجال¹⁰ .

¹ الحميري، المصدر السابق، ص 319.

² خميسي بولعراس، فن الحرب بالغرب الاسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، إشراف كمال بن مارس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014، ص 194.

³ المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 107.

⁴ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 214؛ عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي، ص 266.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 113، 117.

⁶ مجهول، الحلل الموشية، ص 123؛ عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الاسلامي، ص 267.

⁷ ابن خلدون، المقدمة، ص 316.

⁸ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

⁹ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 127.

¹⁰ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 578.

وهران : كانت من جملة الدور التي التي ساهمت في بناء قطع ومراكب الأسطول الموحد¹ .

هنين : أنشئت دار الصناعة بها بأمر من عبد المومن بن علي عشية الحملة الكبرى نحو إفريقية أصبحت تنتج برفقة دار الصناعة بوهران حوالي مئة قطعة² .

مكونات السفينة :

الهيكل العام للسفينة : يتشكل من مقدم السفينة ومؤخرها وجوفها السفلي (القاع) و الدفة وهي الآلة الموجودة في المؤخرة توجه المركب إلى جهته، غالبا ما تنتهي ببروز يشبه منقار الطيور يستخدم كجزء عند تصادم السفن³ . تصنع السفينة على هيئة الحيوانات حيث ينحت رأسها أو مقدمتها على على أشكال الطيور والحيتان والدلافين والسباع والحيات بل غالبا ما تسمى بأسمائها، كما تنقش السفن وتزخرف من الداخل والخارج فتظهر في صورة بهية⁴ .

الصواري : الصاري هو العمود الذي ينصب في السفينة لتعليق الشراع، وتعتمد عليهما السفينة معا اعتمادا كبيرا في السير والحركة، هناك سفن بصاري واحد وهناك باثنين وللسفن الكبرى ثلاثة الصاري الكبير يوضع في الوسط وصاري ينصب في الجزء الأمامي وآخر في الجزء الخلفي، بالإضافة إلى صاري أفقي موضوع في صدرها يسمى صاري المقدم⁵ ، وتصنع الصواري في الغرب الإسلامي من خشب الصنوبر والبلوط بخلاف صواري المحيط الهندي والبحر الأحمر التي تتخذ من جذوع النخل لذلك تسمى بالدقل⁶ .

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 201.

² علي عشية، المرجع السابق، ص 521.

³ سعاد ماهر، البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص 211؛ عبد الفتاح مصطفى مصطفى السيد غنيمه، صناعة السفن ومعدات الملاحة عند العرب، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، ع42، 2000، ص 328.

⁴ عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الاسلامي أنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، 1913، ص 22-23..

⁵ عبد الفتاح مصطفى السيد غنيمه، المرجع السابق، ص 328.

⁶ سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 213.

الأشرعة : وتدعى القلوع أيضا تصنع من المنسوجات الكتانية أو القطنية أو من جريد النخيل، تحاط على شكل مربع ومرات على شكل مثلث تربط في أعالي الصواري¹ تتخذ ألوانا مختلفة وتحمل كتابات ورموز معينة ويلصق فيها جبل طويل لغرض ضمها وقت الحاجة، تعتبر الأشرعة روح السفينة ومحركها الأول تقع عليها مهمة سير السفينة بالتناغم مع حركة الرياح واتجاهاتها².

المجاديف : مفردا مجداف وهو خشبة في أولها مساحة عريضة يستعملها البحارة لدفع السفينة³ يعد من العناصر الهامة في السفينة، لم يتم الاستغناء عنها رغم التطور الحاصل في الأشرعة، ترتب هذه المجاديف في الأماكن المخصصة لها على جانبي السفينة وبصورة منتظمة وتتطلب السفن الكبرى ما يفوق المئة مجداف، يقوم المجدفون بمجهودات كبيرة ويزداد دورهم أكثر مع توقف حركة الرياح أو عند قرار زيادة سرعة السفينة⁴.

المرساة : وتسمى الأبحر و الهلب وهي الآلة التي تستعمل لتوقف السفينة، اتخذت بادئ الأمر شكل صندوق من خشب ثقيل مملوء بمادة الرصاص يربط بحبال ويرمى في الماء حتى يصل القاع ثم تطور مع الوقت وصار يصنع من الحديد وبشكل آخر⁵.

الحبال : من المعدات الهامة في السفينة تستخدم في عدة وظائف كربط الصواري والمرساة وتعليق الأشرعة وكذلك في جر بعض الأشياء و في عمليات الإنقاذ وحزم الأمتعة والأدوات، تصنع الحبال من نبات الحلفاء أو من شجر الخزم وكذلك من ليف النخيل، تمشط هذه الألياف وتظفر وتفتل معا بطريقة تراعى فيها شروط القوة والتمدد، ومن بين أنواع الحبال المشهورة الكر والأربعيني والطنونس والجمل⁶.

أنواع السفن :

¹ أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 74؛ عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 04.

² سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 213.

³ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 716.

⁴ سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 207.

⁵ عبد الفتاح مصطفى السيد غنيمه، المرجع السابق، ص 329.

⁶ عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012، ص

نتج دور الصناعة مجموعة من السفن تختلف من حيث الحجم والشكل والوظيفة بالإضافة إلى السفن التي يتم الاستحواذ عليها من الأعداء وتقوم هذه الدور بإصلاحها ، وعلى العموم هذه أبرز السفن التي اشتهرت في الفترة الوسيطة :

الشلنديات : من المراكب الحربية تتكون من طابقين الطابق الأول يوجد فيه المجدفون والعلوي يحمل المقاتلون سطحها مسطح غالبا ما يصبح مسرحا للمعارك، أحيانا تستعمل للنقل لكبرها وسعة حمولتها¹ .

الأجفان : مفردها جفن وجفنية تطلق على مختلف السفن عموما، وهي سفينة دائرية مسطحة القعر، استعملت في الحروب لذلك تدعى أحيانا بالأجفان الغزوية اشتهرت أيام المرابطين ثم الموحديين وكذلك عند الأوروبيين وكانت من جملة السفن التي يستولي عليها المغاربة في حروبهم مع النصارى² .

الطرادات والطرائد : اختلف في تعريفها فهناك من ذكر أنها سفينة صغيرة لا سطح لها ولا سقف على هيئة برميل ألواحها صلبة ودقيقة تمتاز بالسرعة لذلك تستخدم للمطاردة والاستكشاف، وهناك من قال أنها سفينة كبيرة تستعمل في عمليات نقل الخيول والعتاد والفرسان³، ويبدو من خلاف التعريف أنهما سفينتان مختلفتان تماما وقد جرى خلط في أسمائهما .

الشواني : جمع شينية أو شيني وهي من السفن الحربية الضخمة والمهمة اكتسبت أهميتها من أنها جمعت بين حمل المخزون الغذائي من حبوب وصهاريج المياه وبين نقل الجنود وأعمال القتال حيث حوت على قلاع وأبراج للدفاع والهجوم، هناك من أرجع أصلها إلى البيزنطيين وهناك من قال أنها من ابتكار العرب، شكلها مصمم على هيئة حوت يصل عدد المجاديف فيها حوالي مئة وأربعون مجدافا⁴، وقد وصف ابن حمديس الشواني بقوله :

أنشئت شواني طائرة
وبنيت على ماء مدنا

¹ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 198؛ علي عشي، المرجع السابق، ص 529.

² فوزية مجّد عبد الحميد نوح، البحرية الاسلامية في عهد المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف وفاء عبد الله المزروع، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1998، ص 186.

³ درويش النخيلي، السفن الاسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1974، ص 91.

⁴ عبد السلام الجعماطي، المرجع السابق، ص 67.

ببروج قتال تحسبها في شم شواهقها قننا¹

الحراريق أو الحراقات : جمع حراقة وهي مراكب حربية كبيرة اتخذت لحمل الآلات الحربية كالمجانيق ومكاحل النفط يقذف بها النفط المشتعل على سفن العدو لتحرقها لذلك اشتق اسمها من وظيفتها² .

الحرابي : مفردها حربى وحربية، في الأصل استعملت هذه الكلمة بعمومية للدلالة على السفن الحربية المقاتلة ثم أصبح لها معنى خاص يقصد بها نوع من السفن تستعمل للاستكشاف ورصد أخبار العدو، تتميز بأنها سريعة وليست كبيرة في الحجم³ ، يقول فيها الشاعر :

وحربية ترمي بمحرق نبطها فيغشى سعوط الموت فيها المعاطسا⁴

الأغرية : جمع غراب وهي من السفن الحربية القديمة ربما استمدت اسمها من شكلها لأن مقدمتها على شكل غراب، من مميزاتا أنها قوية أثناء الحروب وكذلك تحتوي على جسر من الأخشاب يتم رميها على قطع العدو ويعبر من خلالها الجنود لذلك تستخدم أثناء عمليات الحصار البحري⁵ .

الزوارق : جمع زورق وهي مراكب بحرية صغيرة يتم استعمالها في حالات الطوارئ مثل إنقاذ الغرقى أو في حالة الفرار أو لنفي الأشخاص وكذلك تستعمل في الصيد البحري⁶ .

الشيظيات والشواطي : مفردا شيطي وهو مركب صغير الحجم يسير بشراعين يمتاز بالسرعة، ربما استعمل لغرض الاستطلاع أو بغرض التجارة⁷ .

المسطحات : هي إحدى السفن الضخمة وظيفتها الأساسية النقل بالإضافة إلى عمليات الإنقاذ والدعم لذلك تسير خلف السفن الصغيرة⁸ .

¹ ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، تح : احسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت، ص 513.

² عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 5 .

³ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 199.

⁴ ابن حمديس، المصدر السابق، ص 276.

⁵ عبد الفتاح عبادة، المرجع السابق، ص 7 .

⁶ عبد السلام الجمعاطي، المرجع السابق، ص 60؛ حفصة معروف، المعارك البحرية في العهد الموحد، مجلة عصور، مج 12، ع 1،

2013، ص 297.

⁷ عبد السلام الجمعاطي، المرجع السابق، ص 66.

⁸ نفسه، ص 61؛ خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص 197.

- الشبايك** : جمع شباك سفينة صغيرة الحجم لها ثلاثة من الصواري وهي من توابع الأسطول البحري¹ .
- البطسة** : جمعها البطس هي مراكب حربية ضخمة تتكون من عدة طوابق ومن أشرعة كثيرة تستخدم في نقل المؤن والأسلحة والجنود² .
- القرابير** : مفردهما قرقور أو قرقورة من السفن الكبيرة تسير بثلاثة قلع تستخدم لغرض المؤن والذخيرة والسلع استعمالها الموحدون وقبلهم الفاطميون³ .
- الشخاتير** : جمع شختور هي سفن صغيرة ذات صار واحد استخدمت لأغراض حربية وتجارية⁴ .
- القوارب** : مراكب صغيرة تستخدم للتواصل بين سفن الأسطول والشاطئ، تستعمل كذلك في الصيد والإبحار في المسافات القريبة⁵ .
- الحمالات** : هي سفن مخصصة للتوصيل والتجارة وغالبا ما تلحق بالأسطول زمن الحرب للاستفادة منها في نقل المؤن والعتاد والجنود⁶ .

2. الأسلحة الخشبية

القسى : أكثر الأسلحة استعمالا في المعارك يستخدم للضرب من بعيد يصنع من عود أو قصب يحنى طرفيه يشد بينهما وتر يتخذ إما من الجلد أو العصب أو من الألياف المفتولة ، من بين أنواعه قوس العقار وهو قوس ذو وتر قوي يستعمل فيه اليدين والقدمين أيضا⁷ .

¹ درويش النخيلي، المرجع السابق، ص 73.

² أنور عبد العليم، المرجع السابق، ص 95.

³ علي عشي، المرجع السابق، ص 529.

⁴ حفصة معروف، المرجع السابق، ص 297.

⁵ فوزية مجّد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 188.

⁶ نفسه، ص 189.

⁷ عباس قويدر، الجيش في العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016، ص 96، 98.

لا يؤدي القوس عمله إلا بوجود السهم أو النشاب فهما متلازمان وهذا الأخير عبارة عن عود ظريف يصل طوله إلى حوالي نصف متر يصنع إما من القصب الشوكي أو من الشجر¹ ينحت ويركب فيه نصل من حديد، وتوضع في نهاية السهم ريشة لتحديد سرعته ومساره، وهو أنواع منها الميسر والمنجاب والرهب والخطوة².

وإذا أتينا إلى ذكر الأماكن المشهورة في صنع القسي فإن مدينة سبتة تأتي في المقدمة حيث أنها وصفت "بدار الناشبة"³ وكان بها أربعون منجرة أغلبها مختص في صناعة القسي، وذكر لنا الأنصاري أسماء بعض العائلات التي اختصت في هاته الصنعة كبني القنطري وبني العاقل وبني غالب⁴، لذا لا نستغرب أن الرمي بالنشاب أصبح سمة بارزة لسكان المدينة كبار أو صغارا من العامة كانوا أم من الخاصة⁵.

المنجنيق: إحدى أشهر الأسلحة الثقيلة منذ القدم تستعمل في اقتحام المدن والقلاع الحصينة يتم من خلالها قذف الحجارة أو قدور النار لضرب الأسوار وهي على أشكال الفارسي والعربي والرومي والمغربي، يصنع من الخشب ويجر إلى مكان الحصار بسواعد الجند يتكون من القاعدة والذراع والكف الذي يحمل الحجارة والحبال والعجلات⁶، كان حاضرا في عتاد جيوش المغربين استعمله المرينيون في كل مرة يحاصرون فيها تلمسان وكذا في حصار سجلماسة⁷، ويذكر ابن مرزوق أن السلطان أبا تاشفين عبد الرحمان الأول نصب منجنيقا ردا على منجنيق أبو الحسن المريني المحاصر لتلمسان⁸.

الأبراج الخشبية: إحدى الآلات المسهلة لاقتحام المدن والقلاع يتم تشكيلها في أرض المعركة وأمام الأسوار بعلو يسمح للجنود والرماة المتموقعين عليها من التقرب من أبراج المراقبة ومن ثم يسهل عليهم مهاجمة حراسها⁹، ذكرها النيميري بقوله " من مطلع خشب تسكنه رماة الحدق"¹.

¹ فتحي زغروت، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، 2005، ص 163.

² ابن سلام، كتاب السلاح، تح: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 26.

³ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ص 146.

⁴ الأنصاري، المصدر السابق، ص 42.

⁵ نفسه، ص 47؛ عبد الرحيم الكوش، دور الحرف في التزود بالأسلحة بالمغرب الوسيط، القسي نموذجاً، مركز جيل البحث العلمي، ع22، ع22، 2016، ص 221.

⁶ بن منكلي، الأدلة الرسمية في التعالي الحربية، تح: محمود شيث خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1988، ص 219.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 249.

⁸ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 229.

⁹ عباس قويدر، المرجع السابق، ص 105.

قوس الزيار يتضح من أوصاف النصوص أنه نوع من الآلات الضخمة الخاصة برمي السهام تحتاج إلى جهد جماعي²، حيث يقول الطرسوسي " وهي أشدها رميا وأنكاها سهما ويحتاج إيتارها إلى عدد من الرجال وتركيب هيولاها من أصناف الخشب"³، والواضح أن هاته الآلة كانت موجودة في بلاد المشرق في حين لا نجد لها ذكرا في بلاد المغرب قبل أيام بني مرين حيث ذكرت أول مرة في حصار أبي يوسف يعقوب المريني لتلمسان سنة 697هـ وصفها ابن خلدون حينذاك بقوله "القوس البعيدة النزعة العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف إليه الصناع والمهندسون لعملها وكانت توقر على إحدى عشر بغلا"⁴.

3. مصنوعات أخرى :

المنابر والمقصورات : ومن بين الشواهد على ذلك : منبر جامع الكتبية بمراكش وقد أعجب به كل من شاهده حتى أن ابن مرزوق اعتبره أجمل منابر المعمورة صناعة مناصفة مع منبر جامع قرطبة⁵ ، منبر جامع القصبة بمراكش أظهر هو الآخر مهارة الصناع خصوصا الحفر الزخرفي النباتي وكذا الأشكال الهندسية⁶، منبر جامع القرويين بفاس يعود صنعه إلى 538هـ/1143م يحوي مصلعات تشكل نجوما مثمثة وتقطيعات من الخشب⁷، مقصورة جامع تلمسان المصنوعة 588هـ/1192م⁸، والتي يحتفظ بسياجها متحف تلمسان (أنظر الملحق رقم 2) .

مقصورة جامع الكتبيين والتي صنعت بطريقة بدیعة كانت تتحرك بصفة آلية حيث تظهر بمقدم الخليفة وتختفي عند ذهابه يتحرك معها المنبر أيضا وكان وراء صنع هذا الإبداع المهندس الحاج يعيش المالقي⁹، خلد ابن مجر جماها وحركتها في أبيات يقول فيها :

طورا تكون بمن حوته محيطة فكأنها سور من الأسوار

¹ النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص 295.
² المنوني، ورفات عن حضارة المرينيين، ص 113.
³ الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية من الحروب، تح : كلود كاهين، بيروت، 1948، ص 117.
⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 241.
⁵ ابن مرزوق، المسند ، ص 403.
⁶ عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993، ص 260.
⁷ ليوبولد توريس بالباس، المرجع السابق، ص 58.
⁸ نفسه، ص 56.
⁹ مجهول، الحلل الموشية، ص 144-145؛ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 175،

وتكون طورا عنهم محبوة	فكأنها سر من الأسرار
وكأنها علمت مقادير الورى	فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالأمير يزورها	في قومه قامت إلى الزوار ¹

الأثاث : كالحزائن مثلما شاهدها الوزان وذكر أنها مصبوغة وذات منظر جميل وليست طويلة إذ لا تزيد عن ستة أشبار لكي يضع أهل البيت أفرشتهم فوقها²، والصناديق التي تتخذ لحفظ الثياب وتخبئة الحلبي والأشياء والأشياء المهمة³، والأسرة التي استعملها أهل المغرب للنوم وبالضبط عند الفئات الميسورة⁴، وأيضا الموائد والطاولات الخشبية أين تستخدم لتقديم الطعام وكذا لأغراض أخرى⁵، بالإضافة إلى الأبواب والنوافذ صنعت للدور والغرف والقصور والمساجد والمدارس⁶ (أنظر الملحق رقم 3).

ومن الأثاث أيضا بعض الأواني الخشبية مثل الأقداح وهي آنية للشرب سواء للماء أو اللبن أو النبيذ أو غير ذلك، الهاون (المهراس) يستعمل لدق المواد وسحقها يتخذ من خشب صلب كالبلوط والبطم والبقس والعناب، الملاعق تستعمل للأكل أو لتحريك الطبخ على النار أو لإفراغ المواد من أوعيتها⁷، الغربال منخل يصنع من الحلفاء أو شعر الماعز و يحاط بإطار من الخشب، الصحفات وهي أطباق لتقديم الأكل⁸، والقصعة تتخذ من العود تستعمل لتقديم الطعام إذا كان عدد الأشخاص كبيرا⁹.

4. الآلات الموسيقية

من خلال إشارات النصوص يبدو أن الغناء واللهو وجدا فرصتهما في المغربين وإن كانت الظروف العامة تأتي ضد وجودهما، ويظهر هذا عندما قام ابن تومرت بكسر آلات الموسيقى في بجاية و مدينة فاس

¹ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص175؛ عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص 250.

² الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 222.

³ الونشريسي، المصدر السابق، ج9، ص 187.

⁴ العبدري، رحلة العبدري، نج: إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، 2005، ص 54.

⁵ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 150.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 222، للمزيد أكثر أنظر : سمية مقورة، أثاث المنازل في الغرب الاسلامي من ق 4هـ الى ق10، مجلة

المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، ع01، 2021، ص 717-719.

⁷ حورية شريد، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني، أطروحة دكتوراه في الآثار الاسلامية، إشراف صالح

صالح بن قرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011، ص 283، 262.

⁸ نفسه، ص 263.

⁹ سمية مقورة، المرجع السابق، ص 720.

وفي أسواق مراكش¹، ومع حكم الموحدين أمعن عبد المومن بن علي في محاربة اللهو وأصدر سنة 556هـ/1162م أمراً إلى عماله يقضي بالقضاء على مظاهر اللهو وتكسير آلات الطرب²، لكن يبدو أن مظاهر اللهو والغناء استمرت فقد واجه المنصور هو الآخر أهل الغناء وحفلاتهم وقام بقطع المناكير³، واستمر وجودها بعد الموحدين عند بني مرين وبني عبد الواد خاصة مع مجيئ الأندلسيين وهم أصحاب الباع الكبير في الموسيقى والغناء وقد أكد ابن خلدون ذلك وذكر وجود الآلات الموسيقية في عصره⁴. ومن الآلات الشائعة والمرجح أنها تصنع حينها:

العود: سيد الآلات الموسيقية وأشهرها يعد الأكثر حضوراً في الأوساط الفنية في تاريخ الموسيقى العربية عموماً وكذلك في كتابات المؤلفين، وهو آلة وترية تحدث أصواتاً بواسطة العزف على الأوتار، تتكون من صندوق مفرغ رنان يضاوي الشكل عبارة عن عدة شرائح تصنع من خشب الجوز فائدته تضخيم الأصوات الصادرة من اهتزازات الأوتار، وهناك غطاء من خشب يغطي وجه الصندوق يسمى صدر العود به ثلاث فتحات الفتحة الكبرى في منتصف العود والصغيرتان في الجزء الأسفل منه⁵، أما الأوتار فيتكون من أربع لكل واحد منها اسم خاص البم والمثلث والمثنى والزير، ويصنع العود على أشكال مختلفة تتفاوت في الكبر والعرض والطول والعمق والرقعة⁶.

الرباب: آلة وترية قديمة عرفها العرب منذ أيام الجاهلية وانتقلت في الفترة الإسلامية إلى عدة أماكن منها الأندلس والمغرب، تصنع بأشكال عدة كل شكل يؤدي لونا موسيقياً معيناً فهناك رباب بوتر واحد ورباب باثنين متساويين في الغلظة وآخر باثنين متباينان في الغلظة ورابع بأربعة أوتار كل اثنين على حدا⁷، مرت هذه الآلة بمراحل حتى تطورت من أشهر أصنافها رباب الشاعر والرباب المغربي والرباب التركي،

¹ ابن تومرت، المصدر السابق، ص 06؛ البيدق، المصدر السابق، ص 25.

² مجموع رسائل موحديّة من إنشاء كتاب الدولة المؤمّنية، ص 134.

³ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، دت، ص 15؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص 236.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص 534.

⁵ سيد أحمد سماش، الموسيقى الأندلسية بتلمسان، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، إشراف عبد الحق زريوح، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2010، ص 67.

⁶ الكندي، رسالة في اللحن والنغم، تح: زكريا يوسف، د ن، بغداد، 1965، ص 15، 11.

⁷ الفارابي، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص 801.

وأخذها الأوروبيون عن البلاد الاسلامية وطوروها وكما يرجح بعض الباحثين أن آلة الفيولا ثم آلة الكمان ماهي إلا نسخ متطورة عن الرباب¹.

القانون : آلة قديمة يرجع البعض ظهورها إلى اليونانيين القدامى وأنها في الأصل تطلق على آلة ذات وتر واحد تدعى مونوكورد ، في حين هناك من يعود بأصولها إلى الفراعنة وأنها قد ترجع إلى آلة الصنج المصرية القديمة²، تم تطورت هاته الآلة واكتسبت خصائصها في الفترة الاسلامية الوسيطة لذا فالقانون المتداول الآن بشكل الشبه منحرف يرجع ظهوره إلى العصر العباسي يستمد طبعاً جذوره من الحضارات السابقة واستكمل خصائصه حينها وينسب فضله إلى الفارابي³، تعد من أطرب الآلات صوتا وهي ذات أصناف عدة منها القانون الكبير به أربعة وعشرون وتراكل وتر له نغم خاص، تمثل الآلة الملهممة لفكرة ظهور البيانو⁴، وذكره ابن خلدون من بين الآلات الشائعة والمنتشرة في عهده في بلاد المغرب .

الشبابة (الناي) : من بين الآلات النفخية وهي عبارة قصبه جوفاء بأنجاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت فيخرج الصوت من تلك الأنجاش يقطع الصوت بوضع الأصابع على تلك الأنجاش حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه فيتلذذ السمع بإدراك ذلك التناسب⁵.

الزلامي : هو على شكل قصبه منحوتة الجانبيين من الخشب جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها من قطعتين منفردتين، فيها أيضا أنجاش معدودة ينفخ فيها بقصبه صغيرة⁶.

الطبل : آلة ايقاعية تصنع إما بشكل دائري أو اسطواني، توجد بكثرة نظرا لاستعمالها الواسع في الجيش سواء أيام الحرب أو خلال الاستعراض والاحتفالات⁷. وأكد صاحب زهر البستان حضورها في الجيش الزياني

¹ عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص 232.

² محمود عبد الفتاح محسب وآخرون، آلة القانون وتاريخها، مجلة التربية النوعية، ع 09، 2019، ص 47.

³ نفسه، ص 47؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، المرجع السابق، ص 233..

⁴ سيد أحمد سماش، المرجع السابق، ص 70.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 534؛ عبد العزيز بن عبد الجليل، الناي، معلمة المغرب، ص 7408.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، ص 535.

⁷ عباس قويدر المرجع السابق، ص 119.

الزياني بقوله " أمر أبو حمو بركوب جيشه وأخرج الطبول والعلامات¹ " وذكر ابن خلدون أن موكب أبي الحسن المريني يضم مئة من الطبول².

الدف : ظهر بأسماء عدة مثل الطر والرق والمزهر، يقوم الدف بضبط حركة الألحان ويحدد وزنها وإيقاعها يقول ابن حمديس :

وراقصة لقطت رجلها حساب يد نقرت طارها³

ثالثا. حرف وصنائع متنوعة

أ. صناعة الأدوية :

الدواء هو مادة أو مجموعة من المواد تستخدم في علاج أمراض الانسان أو الحيوان أو لتخفيف آلامها أو للوقاية منها⁴. وهي على شكلين :

¹ مجهول، زهر البستان، في دولة بني زيان، تح : بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 101.

² ابن خلدون، المقدمة، ص 539.

³ عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية المغربية، ص 234.

⁴ محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة، ليبيا، دت، ص326.

. أدوية مفردة : وهي مواد خام ذات عنصر واحد تكون إما من أصل نباتي أو حيواني أو معدني¹ ، وتسمى أيضا بالعقاقير² .

. أدوية مركبة : مزيج يتكون من أكثر من عنصر دوائي يصنع على أشكال مختلفة، يقابلها مصطلح الأقراباذين³ .

والعلم الخاص بالأدوية يسمى الصيدلة يعرفها البيروني بأنها "معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة، وخلط المركبات من الأدوية"⁴ في حين يطلق على المشتغل في حقل الأدوية صيدلي⁵ و عشاب و عطار والمكان الذي يعمل فيه صيدلية أو دكان الأعشاب، وعلينا أن نفرق بين الصيدليات العامة التي توجد في الأسواق والمدن والصيدليات الخاصة الموجودة في البيمارستانات أو القصور .

. الصيدليات العامة وهي عبارة عن دكاكين وحوانيت تحضر فيها العقاقير والأدوية ثم تباع للناس وتكون منتشرة في الأسواق والمدن، وذكر الوزان أن بفاس مجموعة من الدكاكين الخاصة بالعقاقير⁶ ، ووجد بتلمسان

سوق للعشابين وكذلك بمدينة سبتة تواجدت مثل هاته الدكاكين مثلما أفادتنا إحدى النوازل⁷ .

الصيدليات الخاصة وهي التي تقام في البيمارستانات والقصور تدعى بيت الأشربة والمعاجين "شراب خانة" فيها تصنع الأدوية تجهز بمختلف الأدوات والأواني والمواد اللازمة لتحضير الأدوية وتخزينها يتولى الإشراف

¹ العناصر النباتية وتشمل الحشائش البذور الأوراق الحبوب الثمار والقشور والصبوغ، العناصر الحيوانية وتشمل الألبان الأدماء المخ البيض القرون الصدف العظام، العناصر المعدنية توجد على ثلاثة أشكال : الأجساد (الذهب الفضة النحاس الحديد الرصاص) الأرواح (الكبريت الزرنيخ الزئبق النشادر الأحجار والأطيان) الأملاح (ملح هندي ملح نفطي ملح الرماد..). أنظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص 101، 147.

² نفسه، ص 327.

³ أقراباذين هو لفظ يوناني معناه... التركيب أي تركيب الأدوية المفردة وقوانينها. أنظر حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 136.

⁴ البيروني، الصيدنة في الطب، مركز نشر طهران، إيران، دت، ص 12.

⁵ الصيدلاني وهو "المتحرف بجمع الأدوية على أحمد صورها له واختيار الأجود من أنواعها مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له ميرزوا أهل الطب. أنظر البيروني، الصيدنة ، ص 3 .

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 242.

⁷ ابن رشد، المصدر السابق، ص 1061.

عليها صيدلي يسمى صاحب خزانة الأشربة¹، وقد انتشرت البيمارستانات في مدن بلاد المغرب منذ عصر الموحدين مثلما ذكرت النصوص حينما أمر المنصور بتشييد عدة مشافي في مراكش وسلا والقصر الكبير وفاس² كان أكثرها شهرة البيمارستان المراكشي الذي جهز بكافة التجهيزات وعولجت فيه مختلف الفئات لدرجة أن عبد الواحد المراكشي قال في وصفه "لا أظن أن هناك بيمارستانا يشبهه في الدنيا"³، وكان مشفى مشفى مدينة سلا لا يقل فخامة عن مشفى مراكش عبر الوزان عن ذلك بقوله "وشيد بها المنصور مشفى فخما"⁴ وهو البيمارستان الذي عمل فيه الطيب ابن عاشر الأنصاري، وفي العصر المريني برز بيمارستان فاس المسمى بفرج الذي أنشأه السلطان أبو يوسف يعقوب 685هـ/1286م عند سوق الحناء قرب سوق العطارين وأنفق عليه كثيرا⁵، ثم خضع لزيادات وتحسينات بأمر أبي عنان سنة 766هـ/1365م، كما ذكر ابن الخطيب وجود بيمارستان في آسفي⁶، وجدت في بجاية بيمارستانات عدة في عهد الأمير أبي فارس عبد العزيز وهذا ما أكده الوزان⁷ أيضا .

طرق تحضير الأدوية :

الطبخ ويكون حسب طبيعة العنصر الدوائي حيث أن هناك مواد مركزة تحتاج إلى طبخ قوي وتوجد مواد معتدلة تطبخ بوسط وهناك من يكفيها الطبخ الخفيف⁸.
السحق باستعمال مدقة أو رحي مخصصة .

الحرق تتم هاته العملية لزيادة قوة دواء معين أو لخفض تأثيره أو للحصول على مادة معينة⁹ .

¹ زاهية شحات، الطب ببلاد المغرب في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف محمد بن عميرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2014، ص 64.

² السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 177.

³ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 190.

⁴ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 161.

⁵ الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: الشريف محمد الكتاني، دن، دب، ص 237.

⁶ ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ج2، ص 72.

⁷ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50.

⁸ ابن سينا، المصدر السابق، ج1، ص 237؛ محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 257.

⁹ أمينة حمزة، الصيادلة العشابون في الأندلس، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف صباح الشخيلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007، ص 206.

الطريقة الكيميائية مجموعة من الطرق تتخذ باستعمال آلات وأدوات معينة لتنقية وتطهير العناصر الدوائية من الشوائب أو لفصل السوائل عن بعضها للحصول على مستخلصات جديدة بالتفاعل الكيميائي بين المواد وذلك إما بالتصعيد أو الترشيح أو التحليل أو التبلور¹....

يقوم الصيدلاني بتركيب العقاقير بما يتناسب مع بعضها البعض حتى يحصل على مستحضرات صيدلانية ذات أشكال وطرق استعمال متعددة منها :

السفوفات هي الأدوية التي تستهلك عبر الفم وتكون مسحوقة سواء كانت مفردة أو مركبة².

السعوط السعوط هو الدواء الذي يصب في الأنف³.

اللعوقات ما يعلق باللسان حيث تحبس في الفم ويصل منها شيء بعد شيء إلى الجوف والأعضاء المقصودة⁴.

الشيافات أدوية مركبة تستعمل لأمراض العين ، تعجن وتجنف ويكتحل بها⁵.

المراهم تستخلص من الصمغ والزيت والشحوم وغيرها تعالج بها الجروح والقروح والبثور⁶.

السنونات لعلاج الفم والأسنان يستن بها المريض⁷.

الحبوب تتخذ شكلا كرويا تصنع بعد العجن ثم تجفف⁸.

الترياق مستحضر مضاد للسموم وكذا لعدة أمراض يركب من عشرات المفردات الدوائية⁹.

¹ أمنة حميد حمزة، المرجع السابق، ص 210.

² الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، ص 208.

³ ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص 314.

⁴ ابن سينا، المصدر السابق، ج3، ص 459.

⁵ أمنة حميد حمزة، المرجع السابق، ص 213.

⁶ محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص 380.

⁷ الخوارزمي، المصدر السابق، ص 105.

⁸ ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تح : فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 102، محمد كامل

حسين، المرجع السابق، ص 379.

⁹ ابن سينا، المصدر السابق، ج3، ص 399.

أشهر الصيدالة والعشابين في فترة الدراسة:

الصيدلي	اسهاماته	المصدر، المرجع
أبومروان عبد الملك بن زهر (ت 557هـ)	دخل خدمة عبد المومن بن علي الذي استدعاه إلى مراكش ، مؤلفاته: - كتاب الأغذية . - التسيير في المداواة والتدبير ، خصص جزء منه لوصف الأشربة والمعاجين والأدهان - رسالة في الترياق السبعيني.	الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4 ، ص 78. مُحَمَّد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، 88 . مُحَمَّد المنوني، العلوم والآداب و الفنون على عهد الموحدين ص 90.
أبو جعفر ابن الغزال	هو خبير بتركيب الأدوية ومعرفة مفرداتها ، خدم المنصور والناصر .	ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج 2 ، ص 80.
أبو يحيى بن قاسم الأشبيلي	كان المسؤول عن خزانة الأدوية منذ عهد المنصور، ذو معرفة كبيرة بالأدوية المفردة والمركبة	ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج 2 ، ص 79 .
أبو بكر مُحَمَّد بن زهر (ت 595هـ)	ألف رسالة في الترياق الخمسيني للخليفة المنصور	ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج 2 ، ص 68. مُحَمَّد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 90.
ابن أندراس (ت 674هـ)	أقام بيجابة مدة مارس فيها الطب والصيدلة وألف كتابه رجز في تنظيم الأدوية وضاعتها .	الغبريني، عنوان الداربية ، ص 101، 102 .
الخطيب السلماي (ت 776هـ)	له كتاب "عمل من طب لمن حب" خصص منه شيئاً للسموم والتداوي ،ألفه للسلطان المريني أبي سالم .	مُحَمَّد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، ص 167.
ابن الحاج (ت 718هـ)	أصله من شاطبة نزل بيجاية ومكث بها يمارس مهنة الطب وصنع الأدوية.	ابن الطواح، سبك المقال لفك القفال، ص 233
ابراهيم الثغري التلمساني ق 8هـ	رسالة في الأدوية ومنافعها.	مُحَمَّد العربي الخطابي، فهارس الخزانة الملكية، ص 115.

أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، ص 111، 112.		
ابن العشاب	يصنع الأعشاب والأدوية وبييعها في دكان له	ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص 89.
ابن قنفذ (ت 810هـ)	أنيس الحبيب عند عجز الطبيب أرجوزة في الأغذية والأشربة	ابن قنفذ، أرجوزة في الأغذية والأشربة.
البرنسي "بزروق" (ت 899هـ)	كتابة في الأدوية "الدرة المنتخبة في الأدوية المجرية"	خالد حسن القعايدة، الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية، ص 168 .
أبو عبد الله المعافري (ت 817هـ)	كان عارفا بالعقاقير والأعشاب وتركيباتها مكث سبته.	خالد حسن القعايدة، الحياة العلمية والثقافية أواخر الدولة المرينية، ص 168.

ب. صناعة العطور

العطور اسم جامع لأشياء الطيب يقال رجل عطر وامرأة عطرة يسمى صانعها عطارا وحرفته العطارة¹، يستخلص العطر من الأزهار والورود وأنواع العود ومن الرياحين والأفاويه ومن عناصر حيوانية كذلك :

الورد هو كل زهر نبات ويطلق على كل زهر ذو رائحة عطرية² .

الزهر وهو نور النبات والشجر مثل زهر البنفسج والنرجس والنسرين والياسمين³ .

الرياحين كل نبت طيب الرائحة مثل المرزنجوش، الريحان الكافوري، الآس⁴ .

العود على أنواع أجودها الهندي ويأتي بعده القماري، والصيني أقلهم جودة .

عناصر حيوانية مثل العنبر والمسك⁵ .

¹ الفراهيدي، المصدر السابق، ج 2، ص 08.

² الأنطاعي، المصدر السابق، ص 323.

³ عبد الجبار حامد أحمد، صناعة العطور في العصر العباسي، مجلة التربية والعلم، مج 19، ع 3، 2012 ص 2-3 .

⁴ ، عبد الجبار حامد أحمد، المرجع السابق، ص 5.

⁵ ابن الجزار، كتاب في فنون الطيب والعطر، تح: الرازي، الجازي، فاروق العسلي، المحم التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2007،

ص 40.

تصنع على أشكال زيوت، مياه ، مراهم، أما الأصول التي تبنى عليها العطور فهي قسمان قسم خاص بالأشياء الحارة وقسم للأصول الباردة، ثم يتركب من بين هذه الأصول صنوف من الطيب توافق هذه وتلك¹. أما عن طرق التصنيع فهي في الغالب تتم بإحدى هاته الطرق:

النقع في الماء البارد يتم ذلك لأيام يغير فيها الماء عدة مرات، ثم يصفى الناتج بمصفاة من كتان².

الطبخ (النقع الحار) تعتمد هذه الطريقة للحصول على زيوت عطرية من مواد صلبة، بعد أن تدق في هاون وتوضع على نار هادئة ثم ترفع وتترك ليومين حتى تترسب وتصفى³.

التقطير يتم من خلالها استخراج العطر من النبتة العطرية باستخدام بخار الماء والآلة المستخدمة في هذه العملية تتكون من القرع وهي قنينة زجاجية ذات عنق ضيق يوقد تحتها ، الأنبيق وهو على هيئة المحجمة يصعد عبره المحلول المقطر ، القابلة إناء يحمل رطلا واحدا يجعل فيه ميزاب الأنبيق وفيها تتجمع نواتج عملية التقطير⁴.

ذكر الزهري أن مراكش يقطر بها الورد ويجلب إلى جميع البلاد⁵، ونفس الأمر عرفت به مدينة أغمات⁶، أما فاس فكان بها سوق للعطارين⁷، ودلت إحدى النوازل على وجود هاته الحرفة حيث سئل فقيه عن دابة كانت ماشية في سوق العطارين فطارت صخرة من تحت حافرها وكسرت آنية عطر لها قيمة⁸، وامتهن صنعة صنعة العطور ببجاية أبو القاسم بن شيخ⁹، ومن الوارد أن تكون هاته الصنعة قد برزت بسببها أيضا بحكم أنها أنها كانت تنتج أنواعا من الورد والأزهار والرياحين¹⁰.

¹ ابن الجزار، المصدر السابق، ص 38.

² التميمي، طيب العروس وربحان النفوس في صناعة العطور، تح: لطف الله قاري، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، 2014، ص 39.

³ نفسه، ص 40.

⁴ الخوارزمي، المصدر السابق، ص 146؛ النويري، المصدر السابق، ج 5، ص 57.

⁵ الزهري، المصدر السابق، ص 116.

⁶ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ص 164.

⁷ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 413.

⁸ الوئشريسي، المصدر السابق، ج 8، ص 225.

⁹ الغبريني، المصدر السابق، ص 269.

¹⁰ الأنصاري، المصدر السابق، ص 55.

ج. صناعة الصابون

يشكل زيت الزيتون المادة الأساسية لهاته الصناعة بالإضافة إلى مواد أخرى تضاف إليها، لا نعرف كثيرا عن هاته الحرفة وطريقتها لكن الأكيد أنها كانت موجودة فنحن نتحدث عن مجتمع إسلامي يهتم كثيرا بالنظافة وهذا يظهر في الحمامات الموجودة في المدن، وقد عدد الجزنائي دور الصابون الموجودة بفاس وحدها في عهد الموحدين بحوالي سبعة وأربعون داراً¹، أما عن طريقة الصنع فقد أفادنا الأنطاكي بذلك حيث يؤتى بقدر معلوم من رماد شجر الأشنان وكذلك من مادة الجير ويسحقان سحقاً جيداً ثم يوضعان في قدر ويضاف إليهما قدر من الماء ويحرك الخليط جيداً ثم يصفى من مائه، ثم يضاف إليهما ماء آخر ويحرك مجدداً ثم يصفى مرة أخرى وهكذا، ثم يؤتى بزيت الزيتون الخالص ويوضع على النار وعند غليانه يضاف إليه الماء الأخير ثم الذي قبله وصولاً إلى الماء الأول وعندما يبدأ في التجمد ويصبح كالعجين يصب في قوالب أو يوضع على حصير ويترك حتى يجف ثم يقطع ويصبح جاهزاً للاستعمال².

د. صناعة الشمع

استخدمت الشموع بشكل رئيسي في الإنارة، تستمد مادتها من شمع النحل الذي يتخذ جدراناً لصناديق النحل التي يبيض فيها كما يكون وعاءاً للعلس المنتج في هاته الصناديق³.

أما عن صناعتها فهي في غاية البساطة حيث يذاب شمع النحل ويصب في قوالب بأشكال معينة وأحجام مختلفة ويوضع في داخله خيط من قنب أو قطن يترك جزء منه خارج القالب وهو الفتيل الذي تشعل فيه النار⁴. تعد أجود أنواع الشموع ما تصنع من شمع النحل، في المقابل هناك من يستعمل مواد أخرى في عملية صنعه مثل شحم المواشي واعتبر ذلك غشاً في عرف المحتسبة⁵، ومن بين أساليب الغش والاحتيال الأخرى إضافة الزيت إلى الشمع أو خلطه بالحمص المسلوق أو إضافة الرمل الناعم أو الدقيق⁶.

¹ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

² الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب، المصدر السابق، ص 221؛ طه حسن الزعاير، المرجع السابق، ص 82.

³ نفسه، ص 169.

⁴ نفسه، ص 170.

⁵ ابن الشيزري، المصدر السابق، ص 45.

⁶ ابن الاخوة، المصدر السابق، ص 206.

من أشهر المدن المنتجة للشموع مدينة فاس وقد أشار لوتورنو الى صناعة سكاها للشموع ذات الحجم الغليظ والرقيق وذات اللون الأصفر¹، ومن المرجح أن تكون مدينتي سبتة² وبجاية³ من المراكز المنتجة أيضا بحكم أنهما يقفان على رأس المدن المصدرة لهاته المادة .

هـ . صناعة المداد والحبر

يذكر القلقشندي أن المداد سمي كذلك لأنه يمد القلم أي يعينه⁴ ومن ذلك قوله تعالى " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي"⁵، وكقول الأخطل:

رأت بارقات بالاكف كأنها مصابيح سرج أوقدت بمداد⁶

أما الحبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشيء أي الأثر الذي تخلفه الكتابة، وقد يكون أطلق عليه حبرا لتحسينه الخط لأن الكتاب يحبر به أي يحسن كقولهم حبرت الشيء تحبيرا أي حسنته⁷، ويقال أيضا الحبر أصله اللون فيقال فلان ناصع الحبر، والحبر على أصناف صنف يناسب الكاغد وهو حبر الدخان، وآخر يناسب الرق ويسمى الحبر الرأس أو الحبر المطبوخ⁸.

وقد حفلت الكتب المتخصصة في هذا الباب بوصفات عديدة في طرق إعداد الحبر والمداد، أخذنا منها بعض الأمثلة :

الحبر الأسود :

وصفة 1 : العفص (04 أواق) + حب الأثل (04 أواق) + الصمغ العربي (04 أواق) ، تسحق كل مادة على حدة، ثم يوضع العفص وحب الأثل على نار في إناء به 04 أرطال ماء حتى يذهب النصف ثم يضاف إليه الصمغ + الزاج (أوقية ونصف) ويغلى مرتين أو ثلاث ، ويؤخذ صفوه ويستعمل⁹.

¹ روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص 137 .

² محمد شريف، المرجع السابق، ص 91 .

³ دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، ترجمة: علاوة عمارة، ج1، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ص 535 .

⁴ القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 460.

⁵ سورة الكهف، الآية 109 .

⁶ الصولي، أدب الكتاب، تح: محمد بحجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1341هـ، ص 102.

⁷ نفسه، ص 104.

⁸ القلقشندي، المصدر السابق، ص 465.

⁹ القلوسسي، تحف الخواص في طرف الخواص، تح: حسام أحمد مختار، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 2007، ص 21 .

وصفة 2 : عفص أخضر + زاج + صمغ عربي (مثقال لكل منهم) تدق هاته المواد ويضاف إليها أوقيتين ماء وخلط جيدا ويستعمل من ساعته¹ .

وصفة 3 : الصمغ العربي (07 دراهم) يسحق جيدا وينقع في أوقية من ماء السماق ثم يجعل دخان الصنوبر في الهاون ويقطر عليه قليلا قليلا² .

وصفة 4 : ماء التوت الشاي الأسود + صمغ عربي (10 دراهم) مسحوق منخول + قليل من الزاج ، يجعل في قارة في الشمس أربعين يوما ويستعمل³ .

وصفة 5 : سخام النفط (03 أرطال) ينخل ويصى + ماء ، رطل عسل ، ملح (15 دراهم) + صمغ مسحوق (15 درهم) + عفص (10 دراهم) ، يوضع على نار هادئة حتى يصير مثل الطين⁴ .

مداد أخضر :

ماء عفص غير منقوع + زنجار مسحوق + قليل من الخل + قليل من الزعفران + صمغ عربي⁵ .

مداد أزرق :

وصفة 1 : الباروق مسحوق جيدا ، شيء من النيل إذا أردته فاتحا ، ويكثر منه إذا أردته غامقا⁶ .

وصفة 2 : ضفيرة مطبوخة طبخا جيدا + ماء العفص + صمغ⁷ .

وصفة 3 (أزرق طاووس) : نواة كزبرة العفص تطبخ حتى تصير كالمهزم + وزن دراهم صمغ + درهم لك⁸ .

مداد أصفر :

وصفة 1 : ماء العفص + زرنبيخ أصفر مسحوق + صمغ⁹ .

وصفة 2 : زرنبيخ أحمر 3 أجزاء + جزء من الزعفران + جزء من الصمغ الغربي يحل الجميع بالماء ثم يستعمل¹⁰ .

¹ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 39 .

² القلوسى، المصدر السابق، ص 24 .

³ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 43 .

⁴ القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 465 .

⁵ مجهول، رسالة في الخبر، ص 25 .

⁶ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 29 .

⁷ القلوسى، المصدر السابق، ص 29 .

⁸ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 48 .

⁹ القلوسى، المصدر السابق، ص 28 .

¹⁰ نفسه، ص 28 .

مداد ذهبي :

وصفة 1 : أسفيداج (6 مثاقيل) + قلقنت (4 مثاقيل) يجعل في جرة مغلقة يوما وليلة ثم يضاف إليه ماء الصمغ¹.

وصفة 2 : زرنبخ أصفر مسحوق + ماء زعفران + ماء الصمغ².

وصفة 3 : ورق الذهب + شراب الليمون + ماء نقي، يترك حتى يرسب ثم يصفى وما رسب يضاف له زعفران والليفة ، ماء الصمغ³.

مداد أحمر :

وصفة 1 : عفص + وضع في الماء حتى يأخذ قوته، يصفى ثم يؤتى بزنجفر منقوع في الماء حتى يخرج رغوته يصفى يجفف ويسحق ، يضاف إليه ماء العفص⁴.

وصفة 2 : قشر رمان (20 مثقال) + قشر الجوز الأخضر (20 مثقال) + إثمأصفهاني (20 مثقال) + إثمأصفهاني (20 مثقال) + عفص أخضر (20 مثقال) + عصارة الآس (10 مثقال) يجعل في الشمس 40 يوما، ثم يصفى ويضاف عليه زنجفر مسحوق ، يوضع في إناء ويحرك ويستعمل⁵.

إجمالاً لما سبق نقول أن ساكنة المغريرين استفادت من المقومات الموجودة وحولتها من خلال قدراتها العقلية والبدنية إلى صنائع تستفيد منها في الحياة اليومية لتشمل الغذاء واللباس والدواء والأثاث والسلاح وغيرها .

اشتهرت كل مدينة بحرفة معينة، واجتمعت في مدن أخرى حرف كثيرة كما هو شأن الحواضر الكبرى، كل ذلك بما يتناسب مع ظروف وخصوصيات مختلفة.

تفاوتت وفرة الإنتاج من مكان إلى آخر في حين قد تكفي بعض المدن بالجودة دون الكثرة أي ما تفقده من الكم تعوضه بالصنف والكيف.

¹ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 51 .

² القلوسى، المصدر السابق، ص 29 .

³ القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 468 .

⁴ مجهول، رسالة في الخبر، ص 22 .

⁵ المعز بن باديس، المصدر السابق، ص 46 .

الفصل الثالث : الحرف والصناعات المعدنية والترايبية والصخرية

أولاً. الصناعات المعدنية .

أ. سك النقود

ب. صناعة الحلبي

ج. حرفة الصفارة

د. حرفة الحدادة

ثانياً. الصناعات ذات الأصل الترايبى والصخري

أ. صناعة الفخار والخزف

ب. حرفة البناء

ج. تصنيع الجص

د. تصنيع الرخام

هـ. صناعة الزليج

و. صناعة الزجاج

ز. صناعة آلات التوقيت

أولاً: الصنائع المعدنية

أ. سك النقود :

1. المهام والتقنيات

السك هو الختم على الدينير والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة¹، تتم عملية السك في رعاية السلطة وتحت إشرافها المباشر لكونها من ضروريات الملك وإحدى علامات السلطان².

ويمثل النقد إحدى الأشواط التي قطعها البشرية في درب الحضارة لدرجة أن بعض الباحثين يرى أن أهمية اكتشافه لا تقل عن أهمية اكتشاف الانسان حروف الهجاء أو اكتشاف وسائل الحصول على النار³.

تمارس عملية تصنيع النقود في ورشات خاصة تسمى دور الضرب أو دور السكة، تضم مجموعة من العمال تتباين أدوارهم بين ما هو إداري وفني. ومن بين هؤلاء العمال والحرفيين :

ناظر السكة: هو المسؤول الأول عن تنظيم دار السكة أي يجمع بين المهمتين الإدارية والتقنية، تكمن وظيفته في مراقبة عملية ضرب النقود وفحص وتفقد العملات المضروبة والحرص أن تكون خالية من العيوب ومحاولات الغش⁴. ونظرا لأهمية هذه الوظيفة وخصوصياتها فينبغي لمن يتولاها أن يتمتع بالأمانة والنزاهة وأن يكون ذو علم ومعرفة بجبايا هاته الصناعة كأن يميز بين أنواع المعادن وخواصها وأساليب الغش وطرق التخلص منها، كما يجب أن يكون ذو دراية بأنواع خطوط الطوابع وأشكال النقوش⁵.

¹ ابن خلدون، المقدمة، ص 322 .

² نفسه، ص 323 .

³ رفيق يونس، النقود في الاقتصاد الإسلامي، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، القاهرة، الشارقة، 2013.

⁴ الحكيم، المصدر السابق، ص 137.

⁵ نفسه، ص 112.

الفتاح: هو الذي يعنى بكتابة نصوص العملة ويضع رسمها ونقوشها¹، يعتبرها الحكيم أهم وظيفة في دار السكة " فلكل شيء أساس وأساس أعمال السكة الفتحاح"، ينبغي لمن يسند إليه هذا العمل أن يكون بارع الخط أميناً لا يغير من الكتابة على النقود إلا بإذن الحاكم، يساعده الثقة عند عمله، لا يتواصل مع المدلسين ولا يصادقهم².

الشاهدان: يستعين بهما الناظر في أداء وظيفته وذلك بمراقبة عملية السك بمراحلها وفحص النقد المطبوع واختبار وزنه³.

السكاك: هو المختص في الجوانب التقنية والفنية أي يقع عليه الدور الأصعب والدقيق في عملية السك كلها، عمله الأساسي الطبع والذي يتطلب منه تركيب الطابع تركيباً محكماً محفوراً وعليه أن يحذر من تشرخ النقد عن القياس المطلوب وألا ينحرف بالطابع لجهة من جهات القطعة⁴.

السباك: يتمثل عمله في صهر المعادن وتحويلها إلى سبائك⁵.

الخلاص: يخلص ويصفي المعادن من الشوائب⁶.

الوقاد: المسؤول على ما يخص الفرن والتحكم في درجات الحرارة حسب خصوصيات كل معدن⁷.

المداد: يقوم عمله على صنع صفائح من الذهب والفضة وتسخينها عدة مرات ثم تقطيعها إلى أشكال لتكون مهياًة للطبع⁸.

¹ مسعود كربوع، النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي (من القرن الثاني إلى التاسع هجري)، إشراف مسعود مزهودي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، 2018، ص 298.

² الحكيم، المصدر السابق، ص 115-117.

³ نفسه، ص 113-114.

⁴ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 299.

⁵ فاطمة فيلاي، النقود الموحدية-دراسة في الأنواع والقيمة، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع1، جامعة وهران، 2020، ص 171.

⁶ نفسه، ص 171.

⁷ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 301.

⁸ نفسه، ص 301.

تمر عملية تصنيع النقد بمراحل متعددة وهي :

التنقية: في البداية يتم تخليص المعادن من الشوائب بعدة طرق حسب طبيعة هاته الشوائب حتى وصولها درجة معينة من النقاء¹.

السبك: هو إذابة المعدن ويكون ذلك على عدة مرات مرة لإزالة الشوائب وصولا إلى تحويل المعدن إلى سبائك بمقاييس معلومة وذلك لضبط عياره ليصبح مؤهلا للطبع عليه بالسكة، تتم هاته العملية مع العملية الأولى².

التمديد والقطع: وهذه الخطوة من اختصاص المداد الذي يقوم بتحويل السبائك إلى صفائح يصوبها بالطرق والتسخين على النار مرات عدة حتى تتوهج وتصبح يسيرة القطع تقطع الصفائح إلى قطع ذات شكل دائري أو مربع ليطبع عليها³.

الطبع: أساس هذه المرحلة الطابع المنقوش المعد مسبقا لهذا الدور والذي يحمل صورا أو عبارات أو رسوم تظهر على العملة بعد ضربها به⁴، وهذه الطوابع أو الأختام تجهز على شكلين:

قوالب محفورة: هي من بين التقنيات القديمة يتم عبرها تحضير قوالب من الحديد أو البرونز تحفر عليها النقوش التعريفية والزخرفية بشكل غائر ومقلوب لكي تظهر على وجه العملة البارزة، ومن سمات هاته الطريقة أنها تقدم نقوشا كما في القالب بينة وواضحة⁵، ومن عيوبها صعوبة إنتاج أعداد كبيرة من القوالب في فترة وجيزة لأنها تحتاج إلى وقت وجهد كافيين للحفر عليها، كما أنها معرضة للتلف بحكم كثرة الاستعمال حيث أن طابع واحد يضرب به على كثير من العملات، وأيضا تتعرض للتغيير بين الفينة والأخرى تبعا للظروف العامة وتغير الأمراء والسلاطين فكل واحد منهم يجب أن ينقش اسمه عليها في تاريخ معين⁶، ومن الدلائل التي تبين اعتماد هذا النوع

¹ جعل الحكيم طريقة تنقية الذهب من الفضة في وجهين: بالأحجار وبالأمزاج، الأولى تكون بتدقيق الذهب حتى يصبح صفائحا يذر عليها ملحا ويوقد عليها في فرن ما جعل تراب الأرضية من الأجر المدقوق والجير، والثانية استعمال شيئا من النحاس على الذهب الممزوج بالفضة ويسبكون مع بعض مع إضافة الكبريت الأصفر وبذلك يخلص الذهب من الفضة. أنظر: الحكيم، المصدر السابق، ص 33.

² عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 71-73.

³ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 301.

⁴ فاطمة فيلاي، المرجع السابق، ص 174.

⁵ صالح بن قرية، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 41.

⁶ عبد الرحمن فهمي، موسوعة النقود العربية وعلم النميات - فجر السكة العربية -، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1965، ص 210-215.

النوع من الأختام في سك العملات في بلاد المغرب القالب الذي يحتفظ به المتحف الوطني للآثار القديمة والذي يرجع إلى مطلع القرن السادس هجري في عهد علي بن يوسف المرابطي (أنظر الملحق رقم 4).

قوالب مصبوبة: توفر هاته الطريقة السرعة في إنتاج نسخ كثيرة من نسخة واحدة من القالب الأصلي المحفور، وذلك بتوفير نماذج من طين محروق من النسخة الأم، أي تصبح هي ذاتها قوالب يصب عليها الحديد المصهور أو البرونز وهكذا حتى تكون المحصلة في النهاية قوالب كثيرة مصبوبة عن شكل أصلي واحد، من سلبياتها ظهور حبيبات على وجه العملة قد تؤثر على الرسوم والزخارف والنصوص وهذا نتيجة الفراغات الهوائية من مصهور الحديد والبرونز¹.

2. نقود الحماديين والمرابطين :

لم يتخلص بنو حماد من التبعية السياسية للفاطميين على المستوى النقدي بل إن الدلائل النموية والتاريخية تنعدم حول حقيقة إنتاج هؤلاء لنقود تحمل اسماءهم، والعملات التي كانت متداولة عندهم مشرقية السك إما فاطمية أو عباسية²، وذلك قبل القرن السادس حيث منذ عهد الأمير يحيى بن عبد العزيز (515-547هـ/1121-1152م) تظهر السكة الحمادية المستقلة لأول مرة وهذا ما أفادنا به ابن خلدون الذي تحدث عنه قائلا " واستحدث السكة ولم يحدثها أحد في قومه أدا مع خلفائهم العبيديين"³.

وجاءت سكة يحيى بن عبد العزيز مجسدة للقطيعة السياسية والمذهبية التي حدثت ضد الفاطميين ومبرزة للارتباط السياسي والروحي تجاه الخلافة العباسية، كما احتوت على تاريخ الضرب ومكان الضرب بيجاية واسم الحاكم وهذا يتضح من النموذج التالي :

الوجه : على الدائرة : واتفوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

الوسط : لا إله إلا الله محمد رسول الله يعتمص بحبل الله يحيى بن عبد العزيز بالله الأمير المنصور

الظهر : على الدائرة : بِيَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسائة

¹ صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 47.

² نفسه، ص 507 .

³ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235 .

الوسط : الامام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي¹

وبالنسبة للمرابطين فالسكة ظهرت عندهم منذ أيامهم الأولى حتى قبل توطيد أركان الدولة وصولاً إلى حكم يوسف بن تاشفين (465-500هـ/1072-1106م)، أين ضربت السكة بشكل مكثف ومنظم وظهر عليها اسم قاعدة حكمهم مراكش لأول مرة بعدما كانت سجلماسة وأغمات من أبرز دور ضرب سكتهم². وما يهمنا من عهد المرابطين فترة حكم كل من علي بن يوسف (500-537هـ/1106-1142م) وخلفه تاشفين بن علي (537-540هـ/1142-1145م) كونها ضمن نطاق الدراسة .

في عهد علي بن يوسف ازدادت دور السك وأعداد المسكوكات، وظهر على العملة لأول مرة لقب أمير المسلمين، وكذلك لقب أمير المؤمنين الخاص بالخليفة العباسي، والنقود التي وجدت من عهده ذات نمطين نمط يحمل لقب أمير المسلمين ونمط ظهر عليه لفظ أمير المسلمين وولي العهد مثلما يظهر في هذا النموذج:

الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله الأمير علي بن يوسف

الظهر : الامام العباسي عبد الله أمير المؤمنين

الوجه : لا إله إلا الله محمد رسول الله أمير المسلمين علي بن يوسف ولي عهده الأمير ...

الظهر : الامام عبد الله العباسي أمير المؤمنين³

أما نقود تاشفين بن علي فقد شهدت بعض الإضافات مثل كتابة نصوص في وسط العملة من ستة أسطر بعدما كانت خمسة في عهد سلفه، وأيضاً تم ذكر أسماء ثلاثة من الحكام المرابطين تاشفين وأباه علي وجده يوسف⁴.

وبالنسبة للأوزان فقد تراوح وزن الدينار الذهبي المرابطي ما بين 3.9 غ إلى 4.20 غ، وأقطاره ما بين 23 مم

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 235 .

² صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 534، 540.

³ طاهر راغب حسين، تاريخ نقود دول المغرب من 441 إلى 982هـ، دن، د ب، 1994، ص 55-59.

⁴ صالح بن قرية، المرجع السابق، ص 565 .

و27م، كما تميز بدرجة نقاوة عالية بلغت ما بين 76 و96%¹.

2. نقود الموحدين:

منذ قيام الدولة الموحدية والدنانير تضرب باسم خلفائها لذا توجد الدنانير المؤمنية نسبة إلى عبد المومن بن علي² والدنانير اليوسفية نسبة إلى يوسف بن عبد المومن³ والدنانير اليعقوبية التي تعود إلى يعقوب المنصور⁴.

يوزن الدينار المؤمني ما بين 2.30 غ و3.35 غ أي 42 حبة من الشعير، قطره ما بين 19 ملم و20 ملم، وهو وزن صغير جدا إذا ما قورن بالوزن الشرعي المقدر ب72 حبة شعير ما يوافق 4.72⁵، أما بالنسبة للشكل فكان دائريا كعادة النقود في مختلف الدول مع إضافة مربع داخل الدائرة أو حتى مربعين، ومن ناحية النص المكتوب على وجهي العملة فشمل عبارات التهليل والحمد واسم الخليفة وألقابه السياسية مثلا:

داخل المربع على الوجه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

داخل المربع على الظهر: المهدي خليفة الله.

دائر الوجه: بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد خاتم النبيين.

دائر الظهر: أبو محمد عبد المومن بن علي أمير المؤمنين الحمد لله رب العالمين⁶.

¹ عبد النبي بن محمد، مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقية والأندلس، رسالة ماجستير في الحضارة الاسلامية، إشراف عبد الرحمن فهمي، كلية الشريعة والعلوم الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، 1979، ص 37.

² صابر عبد المنعم البلتاجي، المرجع السابق، ص 283؛ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 316.

³ الزركلي، المرجع السابق، ج9، ص 318.

⁴ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 12.

⁵ لا نحبرنا المصادر عن الأسباب التي جعلت عبد المومن بن علي يصدر هذا الدينار بوزنه الصغير والذي يقل كثيرا عن الوزن الشرعي، ولعل ذلك يعود إلى محاولة توفير الذهب بسبب كثرة المصاريف والدولة في مرحلة توسع، ولتسهيل جمع الضرائب ودفع رواتب الجند، وتغطية جميع دور السك بالمعادن، أنظر: عبد النبي بن محمد، المرجع السابق، ص 44.

⁶ نفسه، ص 41.

وقد أحدث المنصور ثورة في أوزان العملات الذهبية حتى وصل الدينار "اليعقوبي" وزن 84 حبة شعير أي ما يفوق 4.70 غ، وبذلك صار ضعفا للدينار المؤمني¹، ذكر الحكيم أن الدينار الموحدى الصحيح بلغ 4.72 غ وقطره وصل من 27 ملم إلى 32 ملم². اعتبره ابن بكرة المصري من أفضل العملات الأجنبية التي ترد على دار الضرب المصرية في زمن الأيوبيين³.

قام ميسيه بدراسة العملات الموحدية وعلى رأسها اليعقوبية وخلص إلى أن عيارها كان مرتفعا حتى وصل 99,7% أي تفوق على عيار النقود المرابطة التي كانت مضرب الأمثال⁴، وهذا يتماهى مع قوة الدولة وسمعتها وطموحات حاكمها وعظمتها التي مست مختلف الميادين والنقد بطبيعة الحال يكون احداها، وهو ما عبر عنه ابن عذاري بقوله: "فأرى المنصور أن الدينار القديم يصغر عن مرأى ما ظهر بالمملكة من المنازع العالية... فجاء من النتائج الملوكية... جامعا بين الفخامة والنماء والطيب وشرف الانتماء"⁵.

وظهرت نصوص دينار المنصور على الشكل التالي:

الوجه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله وحده، لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله، المهدي إمام الأمة.

الظهر: القائم بأمر الله الخليفة أبو مُحَمَّد عبد المومن بن علي أمير المؤمنين، أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن أمير المؤمنين⁶.

¹ نجعل سبب إقبال المنصور على هذه الخطوة وقيامه بسك دينار بهذا الوزن، على أن هناك من أرجع ذلك لأسباب فقهية بحكم اتباع الموحدى للمذهب الظاهري والمكانة التي يتمتع بها علم المذهب ابن حزم لدى المنصور والذي يرى أن الوزن الشرعي للدينار هو 84 حبة من الشعير. أنظر: صابر عبد المنعم البلتاجي، المرجع السابق، ص 284.

² الحكيم، المصدر السابق، ص 111.

³ ابن بكرة، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تح: عبد الرحمان فهمي، د د، القاهرة، 1954، ص 65.

⁴ أنظر: فاطمة فيلالى، المرجع السابق، ص 183.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدى، ص 182.

⁶ عبد النبي بن مُحَمَّد، المرجع السابق، ص 46.

وبالنسبة للنقد الفضي فقد استحدث الموحدون طرازاً جديداً من العملات الفضية تمثل في الدراهم المربعة¹ والتي نسب اتخاذها لأول مرة إلى المهدي بن تومرت²، ثم جرى الأمر عادة عند الخلفاء من بعده بل حتى عند دول ما بعد الموحدين، ولم يقف الأمر عند الدرهم بل أصدروا كما كبيرا من أجزاءه كالنصف والربع وذلك لتوفير الصرف وتسهيل المعاملات التجارية وهو ما أشار إليه عبد الواحد المراكشي بقوله: "وذلك أن عادتهم في بلاد المغرب أنهم يضربون أنصاف الدراهم وأرباعها وأثمانها والخرايب فيستريح الناس في هذا وتجري هذه الصروف في أيديهم فتتسع بياعتهم"³.

3. السكة الزيانية:

ظل استعمال النقد الموحد سائداً في أوساط الدولة الزيانية منذ تأسيسها حتى ظهرت المسكوكات الخاصة بها، ولعل أهم تساؤل يواجهنا هنا يخص زمن ظهور أول عملة زيانية بالضبط وفي الحقيقة أن الأدلة لا تكفي للجزم بتاريخ معين لأن العملات التي وصلتنا عن الفترة الأولى من عمر الدولة لا تحمل أي تاريخ إصدار أو اسم لسلطان مثل الدينار الذي ينسب إلى فترة يغمراسن والنصوص التي كتبت عليه جاءت على الشكل التالي:

الوجه على الدائرة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صلى الله على سيدنا محمد، وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

في وسط المربع: الواحد الله، محمد رسول الله، القرآن كلام الله، تلمسان.

الظهر على الدائرة: هو الأول والآخِر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

¹ يبدو أن الشكل المربع نال مكانة وقدسية في فكر الموحدين عموماً ولم يقتصر فقط على العملة، وهو ما نلمحه في شكل القلاع والحصون وتنظيم الجيوش يقول صاحب الحلل الموشية "الخطبة التريبيعية الموحدية تقوم على أربعة صفوف من الجند وفي الوسط يستقر القائد" مما يبين أن هؤلاء أرادوا أن يكون كل شيء يخص دولتهم مختلفاً عما سبق. أنظر: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 108.

² نسب كل من ابن خلدون وصاحب الدوحة الدرهم المكن لابن تومرت لكن لا يوجد دليل على ذلك خاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن الرجل توفي في مرحلة الثورة ولم يشهد قيام الدولة، والأرجح أنه ضرب بعده منذ عهد عبد المؤمن بن علي. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ص 324؛ الحكيم، المصدر السابق، ص 111.

³ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 175.

في الوسط: الشكر لله والمنة لله والحول والقوة بالله¹.

وتكمن الخطوات التي اتخذتها السلطة الزيانية لسك العملة والنهوض بها في تعيين أسرة بني الملاح الأندلسية على رأس دار الضرب خاصة إذا علمنا أن هؤلاء كانوا يمسون بمفاتيح هاته الصنعة وذو معرفة بخباياها²، أي يمكننا الحديث عن ظهور السكة الزيانية منذ تعيينهم، على أن أول عملة زيانية تحمل اسم سلطان زياني وصلتنا ترجع إلى عهد أبي حمو موسى الأول³، وهذه العبارات التي ظهرت عليها:

الوجه: في الدائرة: ضرب بمدينة تلمسان حرسها الله تعالى وأمنها.

في المربع: بأمر من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أيده الله بنصره.

الظهر: في الدائرة: وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

في المربع: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. صلى الله على محمد وآله. لا إله إلا الله محمد رسول الله ما أقرب فرج الله⁴.

وبالنسبة للأوزان فالفترة الزيانية عموماً شهدت تنوعاً في إصدار القطع الذهبية بعبارات مختلفة فمثلاً: الدينار الذهبي أصدر عندهم بوزن 4.95 غ، و آخر يزن 4.44 غ وآخر بوزن 4.66 غ ونوع بوزن 4.45 غ، نصف الدينار 2.22 غ، 2.26 غ 2.30 غ، ربع دينار 1.05 غ، 1.14 غ، 1.15 غ، ثمن دينار 0.52 غ، 2.56 غ⁵.

وعن النقد الفضي فالسلطة الزيانية لم تتوانى في سك الدراهم وإن لم تصلنا نماذج كثيرة عنها باستثناء القطع التي يحتفظ بها متحف مليانة، والتي يصل وزنها إلى 0.90 غ وبمقاس 15×15 ملم، تتميز من ناحية الهيئة

¹ كريمة معريش، نقود سلاطين بني زيان وبني مرين من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 42.

² يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 213.

³ تؤرخ هذه العملة لفترة الحصار المريني على مدينة تلمسان وهذا ما تدل عليه عبارة " ما أقرب فرج الله، وإن كانت العملة ظهرت بعد فك هذا الحصار إلا أنها سكت بتلك العبارات التي استعملت وقتها لتدل على أيام الشدة والمعاناة حتى أن ذلك العام صار يسمى عندهم بعام الفرج. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 129. مما يبين دور السكة كمصدر أساسي في تدوين الأحداث التاريخية.

⁴ كريمة معريش، المصدر السابق، ص 46.

⁵ رشيد خالدي، نقود الدولة الزيانية (633-962هـ / 1236-1554م) دراسة تاريخية وفنية، مجلة كان، ع 48، 2020، ص 67، 68.

بالشكل المربع المأخوذ عن الطراز الموحدى أما من ناحية الرسم والشعارات فهي تشير إلى مكان الضرب فقط في تلمسان دون التعرض للتاريخ وتؤكد على الوجه الدينى للدولة، مثال:

الوجه: لا إله إلا الله الأمر كله لله لا قوة إلا بالله تلمسان

الظهر: الله ربنا محمد رسولنا القرآن إمامنا¹.

4. السكة المرينية :

ظهرت النقود المرينية منذ اتضح الملامح الرسمية للدولة بدءاً من عهد أبو بكر بن عبد الحق (642-656هـ/1244-1258م)² غير أنها جاءت خالية من اسم الضارب ومن تاريخ الضرب، وهو ما يمكن أن يصطلح عليه بمرحلة النقد التابع التي استمرت إلى غاية عهد يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م) وهو أول سلاطين بني مرين الذين ظهرت أسماءهم على السكة، لذا يعد الظهور الفعلي للعملة المرينية البحتة في عهده³ وهو الذي أمر بتحقيق "الدينار والدرهم والقنطار، والرطل، والأوقية والوسق والصاع والمد"⁴ وأمر بتثبيت عملة جديدة واحدة "فقد منع من النقود إلا ما كان على سكة أو على قدر ذلك"⁵.

ولم يختلف الدينار المريني على الشكل الذي رسمه الموحدون بل بقي وفيما لمنطهم حيث جاء دائري الشكل وبداخله مربعين⁶، ومن بين النماذج النقدية من دنانير يعقوب ابن عبد الحق نستعرض الكتابات التي ظهرت على أعلى أحدها والتي تضمنت ألقاب السلطان السياسية والدينية وشعاراته الدعائية، دون حضور تاريخ ومكان الضرب عليها، مثال:

¹ رفيق خليفي، حريفو السك النقدي في المغرب الزباني أسرة بني ملاح أمفودجا (633-718هـ/1235-1318م)، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع04، 2013، ص95-97.

² تحول المرينين من الشكل القبلي إلى التنظيم السياسي منذ عهده مثلما جاء عند ابن أبي زرع: "وهو أول ملك في بني مرين جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود..." وعند ابن خلدون: "مدبر الأمر لقومه بني مرين وفتح الأمصار ومقيم الرسوم الملكية". أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص291؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص173.

³ طاهر راغب حسين، المرجع السابق، ص347،348.

⁴ الحكيم، المصدر السابق، ص97.

⁵ نفسه، ص97.

⁶ محمد المنوني، وراقات عن حضارة المرينيين، ص130.

الوجه على الدائرة : الملك لله والعظمة لله والقدرة لله والحول والقوة بالله.

في الوسط : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صلى الله على محمد لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الظهر على الدائرة : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

في الوسط: أمير المسلمين القائم لله بإعلاء دين الحق عبد الله يعقوب بن عبد الحق¹.

حرص بنو مرين أن تكون عملتهم الذهبية ذات مقاييس شرعية وعلمية لذا سك الدينار المريني بوزن يماثل دينار الموحدين بعد التعديل الذي طرأ عليه من طرف المنصور حيث أضحى يساوي وزن 84 حبة شعير متوسطة² ما يوافق 4.85 غ أي أنه دينار مضاعف إذا ما قورن بأوزان ما قبل تغييرات المنصور لذا سمي في الكتابات الأوروبية "بدبلة الدينار" أي ضعف الدينار³.

تعددت إصدارات الدنانير المرينية بين الفينة والأخرى وتراوحت أوزانها عموما ما بين 4.36 غ إلى 4.73 غ مثل دنانير السلطان أبي عنان التي تزن 4.60 غ ودنانير أبي سعيد عثمان التي قدر وزنها 4.58 غ ونقود عبد العزيز المستنصر بالله التي تصل إلى 4.36 غ⁴.

وشهدت هذه الفترة أيضا ضرب دينار جديد من نمط خاص أطلق عليه الدينار الكبير وهو بوزن عملاق يعادل حسب قول المقرري وزن مائة دينار من الدنانير الذهبية العادية وأنه لا يسك إلا في مراكش⁵، بمعنى أنه قد يصل إلى ما يقرب النصف كيلوغرام من الذهب وعلى الأرجح أنه قد يكون نفس الدينار الذي وسمه ابن مرزوق باسم الدينار الميمني والذي رآه عند السلطان أبي الحسن ينقله معه أينما ذهب، وقد أهدى مثله إلى أحد الأسر

¹ أماني قطب، النظم المالية بالمغرب الأقصى في عصر الدولة بني مرين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2022، ص 240.

² الحكيم، المصدر السابق، ص 145.

³ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 319، 320.

⁴ ظاهر راغب حسين، المرجع السابق، ص 378، 379.

⁵ المقرري، أزهار الرياض، ج 1، ص 39.

المجاهدة برندة كوسام تقدير¹، مما يبين أن الغرض من سكه اعتماده كنفذ تذكارى وشيء رمزى معنوى وليس بهدف المعاملات التجارية .

كما ظهرت أيضا قطع ذهبية ذات أجزاء من الدينار المرينى كالأنصاف والأرباع والأثمان، أنصاف الدينار عادة ما تكون أوزانها ما بين 2 غ و 2.5 غ أي ما يقارب وزن 42 حبة شعير متوسطة، تحمل نصوص مشابهة للدنانير كالبسملة والحمد لله وشعارات دينية وآيات قرآنية². أرباع الدينار تزن ما بين 1 غ و 1.30 غ وأقطارها ما بين 12 ملم و 20 ملم. أثمان الدينار لا تتجاوز أوزانها 0.80 وأقطارها ما بين 6 ملم و 13 ملم³.

وبالنسبة للعملة الفضية فلم تخرج عن الشكل المربع الذي رسمه الموحدون، لكنها ظهرت خالية من تاريخ السك واسم الضارب ومكان الضرب إلا في فترات متأخرة من عمر الدولة، مما يصعب من مهمة تتبع أحوالها وتفصيلها العامة⁴، ويمكن التأريخ لبداية العملة الفضية المرينية مع الإصلاح الذي قام به يعقوب بن عبد الحق على الفضة إذ جمع البلاد على نقود ثابتة الأوزان "ومنع ما يجوز من النقود إلا ما كان على سكوته"⁵، أي ألغى النقود الفضية التي كانت متواجدة في الأسواق قبله، ووقع اختياره على الدرهم المحمدي المنسوب إلى محمد الناصر الموحدى (595-610هـ/1198-1213م) ليسك عملة مثله، واختار لهذه المهمة أحد الفنيين من ذوي المهارة والتخصص ليكون ناظرا على دار السكة وهو علي بن محمد الكومى المديونى⁶ جد ابن يوسف الحكيم مؤلف كتاب الدوحة المشتبكة فخرج هذا النقد في هيئة جيدة حسب ما قيل "وكانت هذه الدراهم محكمة العمل معتدلة الضجة متقنة الخط"⁷.

وشملت النقود الفضية المرينية أجزاء عدة منها الدرهم الكامل، والنص والربع والثلث ومن ناحية النقوش المطبوعة عليها فهي على قسمين نقود خماسية الأسطر ونقود ثلاثية الأسطر ومن بين النماذج:

¹ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص 194.

² مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 324.

³ نفسه، ص 326.

⁴ أماني قطب، المرجع السابق، ص 260.

⁵ الحكيم، المصدر السابق، ص 149.

⁶ طاهر راغب حسين، المرجع السابق، ص 382، 383.

⁷ الحكيم، المصدر السابق، ص 150.

الوجه: لا إله إلا الله، الأمر كله لله، لا قوة إلا بالله، سجلماسة .

الظهر: الله ربنا، مُحَمَّد رسولنا، القرآن إمامنا.

الوجه: بِيَسْرٍ وَاللَّهُ التَّوَكَّلُ الْوَجْه، صلى الله على مُحَمَّد وآله، لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله.

الظهر: لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، الله خيرا حافظا، وهو أرحم الرحمين، والله الحق وله الملك¹.

5. الغش في النقد:

لم يبلاد المغرب داء أضر كثيرا بالبنية النقدية للدول القائمة آنذاك تمثل في غش العملة في الوزن والمعدن، وهذا يحدث كلما تراجع دور مؤسسة الحسبة وضعفت السلطة المركزية وكذا انتشار دور خاصة للضرب² على غرار دور السلطة، ناهيك عن تعيين اليهود على رأس دور السكة، فقد ذكر المازوني أن هذا الغش مرده إلى التواطؤ ما بين صاحب الفضة واليهود العاملين بدار السكة نتيجة "قلة الضبط وغلبة الفساد"³.

وقد تعددت النوازل والفتاوى التي تبين تفشي هذه الظاهرة في المجتمع، منها نازلة حول جواز مراطة الدراهم الناقصة بالوازنة دون تحديد مقدار النقص، فجاءت الفتوى بالاجواز⁴، وورد عند الونشريسي نازلة بخصوص بخصوص وجوب كسر المغشوش إذا خيفت المعاملة به من عدمه، والجواب كان نعم يكسر ويسبك المعدن اذا لم يفد الكسر⁵، والواضح أن العملات المغشوشة غمرت الأسواق وأصبح تداولها علنا فقد سئل الفقهاء عن عملات عملات مغشوشة عم تداولها مثلا درهم مشوب بالنحاس وعرف ذلك عند الخاصة والعامة، والإجابة كانت بجواز طبعها على ذلك والتعامل بها لأنها سلمت من التدليس⁶.

¹ طاهر راغب حسين، المرجع السابق، ص 391، 392؛ أماني قطب، المرجع السابق، ص 362، 363.

² نصيرة غروردي، الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع09، 2014، ص322.

³ المازوني، المصدر السابق، ج4، ص 162.

⁴ نفسه، ج4، ص 131، 139.

⁵ الونشريسي، المصدر السابق، ج5، ص82.

⁶ نفسه، ج7، ص129.

ومثلما يذكر العقباني أصبح فساد سكة المسلمين حدثا عاما في بلاد المغرب " حتى كادت رؤوس أموال الناس تنقرض من أيديهم بغلاء الأسعار في كل شيء"¹، وهذا يؤدي إلى نقص مداخيل دار السكة وعائداتها²، والطعن في مصداقية النقد الذي يعد أحد رموز السلطة لذا كان لزاما على هذه الأخيرة اتباع الشدة والحزم في حل هذه الأزمة وهو ما لم نلاحظه إلا في جهود أبي الحسن المريني الذي حاول وضع حد لها، وذكر ابن مرزوق أنه جمع الفقهاء للمناقشة حولها فقال: " تعلمون أني طوقت من هذا الأمر عظيما وتحملت منها صعبا... هذه الدراهم الناقصة التي يدخل على الناس بسببها الفساد"³.

وأسفرت حلول أبي الحسن إلى ابعاد اليهود من عمل السكة وما يخصها حيث أمر " برفع أيدي اليهود عن الاشتغال بالصياغة والصرف وكل ما فيه غش للمسلمين رفعا كلياً"⁴ إلا أن نتائج هذه الإجراءات كانت ظرفية وذهبت بوفاته، ولم يستطع خلفه أبي عنان أن يفعل نفس الشيء لأن الوضع قد تفاقم والظروف العامة لم تكن تسمح⁵.

كل هذا يحدث أمام انخفاض وصول ذهب السودان إلى المغرب الأقصى بالذات بعد انحراف الطرق التجارية باتجاه الشرق مع بداية القرن 8هـ/14م، أي يمكن أن يقال أن ظاهرة الغش هذه كانت جزءا من أزمة كبرى صار يصطلح عليها بالأزمة النقدية⁶.

أما الوسط الفقهي فقد ظل مستنكرا غش النقود وحث على معاقبة الفاعلين والتضييق عليهم مثلما نجد عند العقباني الذي شدد على ذلك فقال " فإذا ظهرت دراهم مبهرجة فليشتد فيها ويبحث عن أصلها، فإن ظهر محدثها مفردا أو متعددا فليشتد في عقوبته ويطوف به الأسواق مما يكون نكالا لغيره وردعا لهم مما يرى من عظيم

¹ العقباني، المصدر السابق، ص105.

² الحكيم، المصدر السابق، ص138.

³ ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص160.

⁴ الحكيم، المصدر السابق، ص148.

⁵ نفسه، ص6.

⁶ أنظر: مصطفى نشاط، المغرب المريني وأزمة القرن 14م/ 8هـ النقدية، مجلة أمل، ع3، الدار البيضاء، 1993، ص08.

ما نزل به ويجبسه على قدر ما يرى ويأمر من يتعهد بذلك بالتفقد حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم ونقودهم، بهذا يعم نفعه دينا ودنيا وترجى به الزلفى والقربى"¹.

6. دور السك:

ساهمت دور السك في إصدار عدد كبير من القطع النقدية للدول المذكورة، لكن هناك صعوبة كبيرة في إحصائها وتتبع أخبارها بسبب أن أغلب القطع لا يظهر عليها مكان الطبع، ومن خلال النصوص المتوفرة وبعض القطع الموجودة نتعرف على هاته الدور في فترة الدراسة:

دور الضرب الموحدية	دور الضرب المرينية	دور الضرب الزيانية
- رباط الفتح	- تازة	- تلمسان
- سجلماسة	- سبتة	- الجزائر
- فاس	- أصيلا	- بجاية
- سلا	- تطوان	
- مراكش	- مكناسة	
- مكناسة	- مراكش	
- أزموور	- فاس	
- تدغة	- أزموور	
- تلمسان	- سجلماسة	
- بجاية	- سلا	
- سبتة	- المنصورة	
- نول	- تلمسان	
- تينمل	- الجزائر	

¹ العقباني، المصدر السابق، ص65.

	- بجاية	
--	---------	--

جدول يمثل أهم دور سك العملة عند دول المغربين¹.

ب. صناعة الحلبي :

يسمى محترفو هاته الصناعة بالصاغة أو الصائغين، وصياغة الشيء تعني سبكه²، أي أن سبك المعادن من ذهب وفضة ونحاس يمثل مرحلة من مراحل هاته الصناعة التي تنتج في الأخير حلبيًا.

أقبل اليهود على ممارسة الصياغة إقبالًا ملحوظًا أمام تمنع بعض المسلمين عن امتهاها³، لذا نجد تركز هاته الحرفة في المدن ذات التواجد اليهودي مثل مدينة مراكش التي أصبح أغلب ساكنيها من اليهود صاغة⁴، وأيضا في كل من آيت داود والصويرة وكذا مدينة تيدسي⁵، دون أن ننسى المراكز الجنوبية وبالأخص مدينة تمنطيط ذات النشاط التجاري الكبير وقد أشار ابن بابا حيدة أنه يوجد بها حوالي ثلاثمئة وستون صائغا يهوديا⁶.

تمارس صناعة الحلبي في ورشات خاصة أو في الدكاكين المنتشرة في الأسواق مثل الدكاكين الموجودة في فاس القديمة في مكان قريب من سوق العطارين⁷، أما في تلمسان فقد تركز الصاغة بالقرب من مسجد سيدي أبي

¹ أنظر : مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 291-295؛ عبد الرحمان أمل، دور السك المرينية ومداخلها، ضمن كتاب ذاكرة التكامل، تنسيق: سيدي محمد الكتاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2015، ص 46.

² الخزاعي، المصدر السابق، ص 727.

³ ذكر الوزان أنه لا يمكن لمسلم أن يكون صائغا إذ يخاف على نفسه من الربا، لذا يسمح للملوك لليهود بممارسة هذا العمل. أنظر: الوزان، المصدر السابق، ج1، ص283، وفي المقابل رد حاييم الزعفراني الاعتماد على العنصر اليهودي إلى دقتهم وابداعهم في هاته الصناعة وأنهم ينفذون ما يطلب منهم أكثر من المسلمين. أنظر: حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 152.

⁴ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج 2، ص 55.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 105-119.

⁶ ابن بابا حيدة، القول البسيط في أخبار التخطيط، ضمن أطروحة دكتوراه إقليم توات خلال القرنين 18/19، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، ص14.

⁷ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج2، ص 157.

الحسن¹، وقد عدد بروسلاز حوانيتهم بعشرين حانوتا كانت كلها وقفا لهذا المسجد²، ويبدو أن تواجد هذا النوع من الحرف كان كثيفا في تلمسان إذ أشار البعض إلى سوق آخر للصياغين يتكون من ثلاثين دكانا موقفة لمسجد أولاد الإمام³، وكان الإقبال على اقتناء الحلبي معتبرا من طرف النساء خاصة في أيام الأفراح والزفاف ونجد في النص المناقبي ما يؤكد ذلك فهذا أبو زيد ابن النجار لما صاهر ابن مرزوق في ابنته "أخرج لها حليا كثيرا و فرشاً"⁴، وابن مرزوق نفسه اشترى لبناته حليا يقدر نصيب كل واحدة منهن ألف دينار من الذهب⁵، وتشير إحدى النوازل أن الناس كانوا يذهبون إلى الصاغة ليصنعوا لهم حليا من النقود التي يعطونهم إياها وكانت إجابة الفقهاء بالجواز⁶.

أوجب المحتسبة على الصاغة عند صياغة الحلبي للناس ألا يسبكوا معدنا إلا بحضور صاحبه وبعد التحقق من وزنه، كما لا يركبون شيئا من الجواهر أو الفصوص على الخواتم وغيرها إلا بعد وزنها بحضور صاحبها⁷، وحذروا من ضروب الغش والحيل التي يستعملها الصاغة والتي بالكاد تعرف، ومن ذلك صبغهم للفضة بأصباغ لا يعلمها غيرهم "صبغا لا يفارق الجسد إلا بعد السبك"⁸.

¹ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج2، ص 16.

² Charles Brosse lard, **les inscriptions arabes des tlemcen, mosquée abou- al hasen ou bel- hasin**, Revue africaine, 3 anne, N 15, 1859, p162.

³ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور - دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 115؛ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 108.

⁴ ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 163.

⁵ نفسه، ص 163.

⁶ الونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 80.

⁷ الشينري، المصدر السابق، ص 77.

⁸ ابن الاخوة، المصدر السابق، ص 146.

تمر عملية تصنيع الحلي بمراحل متعددة حتى يصل الى أشكاله النهائية :

صهر المعدن: تتقدم هاته العملية على مختلف المراحل وتكون بإذابة المعدن المعني بالتشكيل لكي يحول إلى أسلاك أو حبيبات، وذلك باستعمال البوتقة حيث يوضع المعدن فيها ويغلى على النار حتى يذوب¹.

القولبة: وهي عملية سكب المعدن السائل في قالب مهياً لذلك يكون منقوشا بزخارف بارزة أو غائرة ثم يترك ليبرد ويأخذ الشكل والرسم المراد الحصول عليه².

التدوير: تتبع هاته الطريقة لغرض الحصول على الشكل الدائري للمعدن بالاستعانة بدولاب أو مخرطة، يقوم الصائغ بحركة الدوران عليها وبعدها بقطع الأجزاء الزائدة ليصل إلى الشكل المطلوب³.

الطرق: وذلك بالضرب على المعدن بالمطرقة والسندان لكي يسهل تشكيله وتكون على شكلين: التشكيل على البارد ويستعمل هذا الأسلوب عندما يكون مستوى التغيير في الشكل ليس كبيراً، أما التشكيل على الساخن فيكون بالاعتماد على الحرارة بدرجات متفاوتة حتى يصبح طريا وقابل للتغير كلياً⁴.

التلحيم: عملية وصل القطع ببعضها بواسطة سبيكة منصهرة بدرجة حرارة معينة يتحكم فيها الصانع حسب طبيعة كل معدن⁵.

الصقل: تستعمل لنزع الشوائب ولتبريق سطح المنتجات باستعمال المبرد أو المصقلة ويكون ذلك في الأخير بعد إتمام التلحيم والزخرفة⁶.

¹ خولة نواري، الحرف والصناعات ومنتجاتها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف خيرة بن بلة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2018-2019، ص144.

² عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين، دن ، القاهرة، 1974، ص55.

³ محمد أحمد زهران، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأنجلو المصرية، د ب ، 1965، ص 104.

⁴ نعيمة مختيش، حلي المرأة وزينتها في المغرب الإسلامي القرن 4-6هـ / 10-12م، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف شريفة طيان، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012، ص 78.

⁵ نفسه، ص 79.

⁶ محمد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 106.

الزخرفة: يتم تزيين الحلي وزخرفته بعدة طرق منها:

الحفر: من أقدم أساليب التجميل تتم بجدش وحفر الرسومات والأشكال على المشغول المعدني باستعمال محفار ومضرب¹.

الترصيع: من بين الطرق التزينية المشهورة والتي تكسب المصنوع بهاءا وقيمة، يستعمل فيها الحرفي الأحجار الكريمة وذلك بتهيئة مكان مناسب لها على سطح المعدن ثم تثبت عليها².

التسليك: تجهيز خيوط أو أسلاك دقيقة من الذهب أو الفضة ثم تصنع منها أشكال متنوعة يجمع بينها بلحام حسب الزخرفة المطلوبة³.

الطرق (التطريق): يعتمد هذا الأسلوب من أجل الحصول على زخارف بارزة على السطح المعدني باستخدام آلات مناسبة كالآزاميل والمطارق⁴.

التكفيت: وهو تزيين المصنوع بمعدن آخر مختلف عنه تماما سواء في القيمة أو الثمن أو اللون⁵.

الضغط: تضغط الزخارف على المصنوع المعدني إما باستعمال قالب مزخرف بتقنية الحفر البارز أو من خلال رسم الزخارف على المصنوع مباشرة ثم طرقتها طرقا خفيفا كي تظهر على السطح⁶.

ومن بين نماذج الحلي المستعمل آنذاك:

¹ مُجّد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 212.

² عربية مزيان، الفنون المعدنية بتلمسان من العهدين الزياني و المريني الى نهاية العهد العثماني، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف شريفة طيان، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 56.

³ خولة نوارى، المرجع السابق، ص 146.

⁴ مُجّد أحمد زهران، المرجع السابق، ص 203.

⁵ علي أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة (في العصرين الأموي والعباسي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000، ص 56.

⁶ نفسه، ص 55.

الأساور: وهي حلي الذراع، من ذلك قوله تعالى: "يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ"¹ من أنواعها ما يكون مفتوح الطرفين ويغلق عند لبسه، ومنها ما يكون دائريا مغلق، ومنها نوع يلبس في العضد يسمى "الدملج"²، تتخذ من الذهب والفضة عند ذوي الجاه ومن النحاس والبرونز عند الفئات الأخرى ذكر الوزن أن نساء فاس يضعن سوارا في كل ساعد تبلغ زينته حوالي 350 غ³.

العقود: ما يزين الرقبة قد يكون ذهباً أو فضة وقد يكون خيطا يحمل حبات من اللؤلؤ والخرز أو الجواهر، تختلف أحجامه وأشكاله فمنه ما يحيط بالعنق فقط ومنه ما يتدلى إلى الصدر⁴، كوصف النابغة الذبياني:

بِالدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ زَيْنَ نَحْرِهَا وَمُقَصِّلٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ⁵

الأقراط: من زينة الأذن تعلق في الجزء السفلي منها، تتنوع أشكالها حسب ذوق المصمم فمنها الشكل الدائري والهلالي وشكل الحيوانات كالطيور مثلا، وهناك من يزين بالأحجار الكريمة كالياقوت واللؤلؤ⁶، ويفيدنا الوزن أن نساء الأعيان في فاس يتخذن أقراطا كبيرة من الذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة عبارة عن أنصاف دوائر دقيقة الصنع⁷. ومن بين النماذج التي وصلتنا عن تلك الفترة قرط فضي يعود إلى فترة بني حماد ذو شكل دائري يحمل كرية مزخرفة، وقرط آخر ذهبي يعود إلى العهد الموحد بشكل هلالي مزخرف بأشكال حيوانية (طائرين متقابلين) كما كتب عليه لفظ البسملة⁸.

¹ سورة فاطر، الآية 33.

² زكية عمر العلي، التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1976، ص 185-191.

³ الوزن، المصدر السابق، ج1، ص 252.

⁴ نعيمة مختيش، المرجع السابق، ص 36.

⁵ ناهض عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 80.

⁶ نفسه، ص 86؛ زكية عمر العلي، المرجع السابق، ص 137.

⁷ الوزن، المرجع السابق، ج1، ص 251-252.

⁸ نعيمة مختيش، المرجع السابق، ص 35.

الخلاخل: هي حلي الساق تكون دائرية الشكل تصنع إما ذهباً أو فضة تصدر صوتاً من الجلاجل الموجودة عليها¹ ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ"²، والنموذج الموجود اليوم يعود إلى القرن السادس هجري ينتهي طرفاه بشكل مربع مكتوب عليه كلمة "فاس" وهو محفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة (أنظر الملحق رقم 5).

الخواتم: لباس الأصابع استعملت كثيراً منذ القديم سواء لدى النساء أو الرجال تعد عنواناً للخطوبة والزواج، يكون مدخل الأصبع دائرياً أو مربعاً في حين يكون سطح الخاتم إما مستوياً أو مزخرفاً، وهناك نوع يكون مرصعاً بالمرجان أو اللؤلؤ أو العقيق³.

ج. حرفة الصفارة

وهي الصنعة القائمة على مادة النحاس وذلك بتطويعه وتشكيله وزخرفته بناءً على تقنيات وأساليب معينة تتطلب المهارة والدقة، ينتج عنها أدوات وأواني ومصنوعات مفيدة، يسمى محترفها الصفار، ومن بين الصنائع القائمة على مادة النحاس:

1. صناعة الثريات:

هي تحف معدنية ابتكرت أساساً لإنارة العمائر وتزيينها، تصنع بأشكال مختلفة تحاكي إبداع وأذواق تلك المرحلة، وقد انتشرت بكثرة في المغربين ونالت اهتماماً خاصاً من طرف الحكام والسلاطين، ومن بين أبرز النماذج:

ثريا جامع القرويين: هي ثريا ضخمة يؤرخ تاريخ صنعها بسنة 600هـ/1203م أي في عهد الخليفة الموحي الناصر محمد، صنعت بإشراف القاضي أبي عبد الله موسى المعلم الذي استقدم إليها أحذق الصناع والحرفيين⁴،

¹ زكية عمر العلي، المرجع السابق، ص 194-196.

² سورة النور، الآية 31.

³ نعيمة مختيش، المرجع السابق، ص 46.

⁴ عثمان عثمان إسماعيل، العمارة الإسلامية والفنون، المرجع السابق، ج 3، ص 274.

ذكر الجزنائي أن وزنها يفوق السبعة عشر قنطارا، وعدد مراكز قناديلها 520 مركزا، وفي دورها 32 شبرا وقال " أن فيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن"¹. يتكون شكلها من مخروط باثني عشر طوقا متدرجة تصاعديا وبداخل الثريا قبة مضلعة من اثني عشر ضلعا عليها زخرفة كتابية عبارة عن آيات قرآنية بخط النسخ، أما ساق الثريا فالزخرفة الكتابية بها عبارة عن اسم الخليفة الذي طلب صنعها إضافة إلى مكان وتاريخ الصنع².

ثريا جامع مكناس: تعود هي الأخرى إلى عهد محمد الناصر وبالضبط سنة 604 هـ/1207م، قوامها هيكل مخروطي يتكون من ثلاث طبقات في كل طبقة توجد دائرة لحمل القناديل، وبها مصابيح عدة ففي الطبقة الأولى يوجد 39 مصباحا وفي الثانية 31 مصباحا وفي الثالثة 17 مصباحا، يشكل معدني النحاس والبرونز الجزء الأكبر في صناعة قطع هاته الثريا، وهذا ما ظهر في قبة الثريا والصينية الدائرية التي تحوي زخارف متنوعة منها الكتابية بالخطين الكوفي والنسخ ونباتية ممثلة في المرواح النخيلية وأنصافها وأوراق، كما علقث الثريا بساق نحاسي مجسم وكرتين³.

ثريا الجامع الأعظم بتلمسان: يرجح أنها صنعت بأمر من السلطان الزياني يغمراسن (633هـ-681هـ/1236-1283م) تتركب من حلقات خشبية مكسوة بالنحاس ذات شكل هرمي عليها مصابيح عدة بها أسطوانة نحاسية منمقة بحلقات دائرية، علقث هذه الثريا في قبة القلب بالجامع⁴. وواضح من وصف العقباني لها أنها كانت جميلة وذات منظر أخاذ حيث يقول: " لم تشاهد أبصارنا مثلها في عظم الهيئة وشرف القيمة في كثير من الأمصار المشرقية، ولم نسمع بمثلها هنالك ولا بالمغرب"⁵.

¹ الجزنائي، المصدر السابق، ص69.

² عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص274.

³ عبد العزيز صلاح سالم، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2010، ص67-69.

⁴ جورج مارسية، مدن الفن الشهيرة-تلمسان، تر: سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة، 2004، ص41.

⁵ العقباني، المصدر السابق، ص41.

ثريا المسجد الكبير بفاس الجديد: يعود صنعها إلى سنة 678هـ/1281م في عهد أبي يوسف يعقوب المريني، الجزء السفلي منها يتكون من 12 ضلعاً، أما الصينية ففيها كتابات بخط النسخ عبارة عن آيات قرآنية، والطوق يضم تراكيب زخرفية هندسية والإطارات التي تقسمه إلى أماكن زخرفية بها عناصر نباتية¹.

ثريا الجامع الأعظم بتازة: هي أضخم ثريا في المغرب الإسلامي اكتمل صنعها سنة 694هـ/1294م، ذكر ابن أبي زرع أنها تزن 32 قنطاراً من النحاس ووصل عدد الكؤوس التي تحملها إلى 514 كأساً² وأضاف هنري تيراس أن قطرها يبلغ مترين ونصف في حين يصل ارتفاعها إلى 4 أمتار ونصف³، شكلها مخروطي متدرج الطبقات بستة عشر ضلعاً والقاعدة تملؤها صينية دائرية تتدلى منها كوابل زهرية⁴.

ثريا مدرسة العطارين بفاس: تتواجد في مصلى المدرسة أنشئت في عهد أبو سعيد عثمان سنة 725هـ/1324م بحجم متوسط ذات ثمن زوايا مصنعة من النحاس والبرونز مخروطية الشكل خماسية الطبقات وفي كل طبقة منها تعلق القناديل، وفي أعلى القبة نحاسية صغيرة وفي القاعدة صينية مدورة مزخرفة بزخارف نباتية ونقوش كتابية بخط النسخ المغربي⁵.

ثريات جامع الأندلسيين بفاس: يوجد بالجامع أربع ثريات تعود إحداهن إلى فترة الموحدية يصل ارتفاعها إلى حوالي 1,30م وقطرها يقدر بحوالي متر، أما الشكل فهي على هيئة شجرة الزئبق والبدن كزهرة السوسن⁶. وهناك ثريتان من المرجح أنهما تعودان لفترة بني مرين، قاعدتهما ثمانية الأوجه تتوسط كل منها قبة مزخرفة بالأوراق النخيلية ملصقة بصينية يحيط بها شريط من الشرفات المنسقة⁷.

¹ عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص 88-89.

² ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 221.

³ Henri Terrasse, **la grand masquée de taza, les éditions d'art et histoire**, paris, 1971, P 56 – 63.

⁴ عثمان إسماعيل عثمان، المرجع السابق، ج 4، ص 387، 387.

⁵ عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص 90-91.

⁶ Henri Terrasse, **lamosque des Andalous à fés, éditions d'art et histoire**, Paris, 1942, p32.

⁷ نفسه، ص 32.

2. صناعة الأواني:

عرفت مدينة مكناسة بصناعة الأواني والكيزان¹، في حين وجد بسبته سوق خاص ببيع الأواني القوية الصبغة العجيبة الصنعة الكثيرة الأنواع²، أما في فاس فقد تمركز باعة الأواني النحاسية شرقي جامع القرويين³، وصار هناك ساحة في المدينة معروفة باسمهم تسمى بساحة الصفارين⁴، وذكر ابن الأحمر أن هناك أسر يهودية احترفت صناعة الصفر بها⁵، وشهدت تلمسان هي الأخرى وجود حوانيت الصفارين وذلك في جهة باب الحديد الحديد وشمال باب زيري⁶، وكانت المصنوعات النحاسية من جملة السلع التي يأخذها تجار أعامت إلى بلاد السودان⁷.

وقد بين المحتسبة الشروط والضوابط التي ينبغي أن يتبعها الصفارون حيث لا يجوز لهم أن يمزجوا النحاس عند السبك بمواد تصلبه وتزيده بيسا مما يؤدي إلى انكسار آنيته سريعا، وينبغي أن لا يخلطوا النحاس المكسور من الأواني بالنحاس الخام الذي لم يستعمل بعد بل يسبك كل واحد منهما على انفراد⁸، ولا يكثر من الرصاص في النحاس المفرغ فإن مشغولاته تنكسر مباشرة عند وقوعها، لا يخلطوا النحاس الأحمر بغيره ولا يضربوا الحار مع البارد، كما يجب عليهم أن يطلعوا المشتري على القطع النحاسية إذا كانت ملحمة فإن إخفاء ذلك غش⁹، ومن أبرز الأواني النحاسية التي تستعمل في المغربين:

القدور: وهي ذات أجسام بيضوية وكروية تستعمل في طهي الأطعمة أو تغلية الماء تطلى بطبقة من القصدير كي لا يضر المعدن بالطعام ورد ذكرها عند ابن رزين التجيبي "قدر من نحاس مقصدر"¹⁰، وأشار إليها صاحب كتاب

¹ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص 109.

² الأنصاري، المصدر السابق، ص 36.

³ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 234.

⁴ روجيه لوتورنو، فاس قبل الحماية، تر: مجد حجي، مجد الأخضر، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص 489.

⁵ ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 25.

⁶ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 106.

⁷ الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 232.

⁸ الشيزري، المصدر السابق، ص 79.

⁹ ابن الاخوة، المصدر السابق، ص 231.

¹⁰ ابن رزين، المصدر السابق، ص 84.

الطبيخ "يجعل في برمة نحاس فيها من الماء قدر نصفها وتجعل على النار"¹، ويفيدنا ابن الأحمر في أن بعض العائلات اليهودية في مدينة فاس قد تخصصت في صناعة القدور وبيعها².

الكسكاس: عبارة عن إناء دائري الشكل مثقوب القعر يوضع فوق القدر يطبخ عليه عن طريق البخار الصاعد من القدر³.

المهراس: وظيفته دق المواد وسحقها يصنع من النحاس أو البرونز يكون خشنا وثقيلًا⁴.

طنجير: إناء للطبخ قليل الارتفاع ذكره ابن رزين التجيبي بقوله: "يوضع على نار في طنجير من نحاس مقصدر"⁵. مقصدر⁵.

مقلاة: تستعمل للطهي بالزيت ومما يؤكد استعمالها نص لابن رزين "ثم توضع على النار مقلاة من نحاس مقصدرة نظيفة"⁶.

المد: هو المكيال الذي تؤدي به الزكاة والصدقات، عرفت بلاد المغرب نوعين من المد: المد القروي والمد النبوي⁷، المد النبوي لا يزيد عن رطل ونصف ولا يقل عن رطل وربع وهو يساوي مدا وثمان مد قروي أي يزن 16 أوقية⁸، أشارت النصوص إلى حضور المد في الاستعمالات اليومية مثلما ورد عند ابن صاحب الصلاة "الشعير خمسة وعشرون مدا بدرهم"⁹، كما احتفظت لنا المتاحف بنماذج منه (أنظر الملحق رقم 6).

¹ مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، ص58.

² ابن الأحمر، المصدر السابق، ص25.

³ مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، ص51.

⁴ ابن رزين، المصدر السابق، ص 113 .

⁵ نفسه، ص 127 .

⁶ نفسه، ص80.

⁷ مسعود كربوع، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي - جمعا ودراسة وتحليل-، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط،

إشراف رشيد باقة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013، ص 114.

⁸ الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص73.

⁹ ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 442.

د. حرفة الحدادة :

تقوم هاته الصناعة على إنتاج ضروب متنوعة من المشغولات الحديدية من أدوات و أسلحة وغيرها بالاعتماد على الحديد الخام المجلوب من المناجم¹، يمارس الحدادون عملهم إما في ورشات حكومية أو في الدكاكين المنتشرة في الأسواق، بل أحيانا تشتهر قرى أو مدن صغيرة بأكملها بالحدادة مثلما هو الحال مع مدينة تفسرة القريبة من تلمسان التي يوجد بها عدد كبير من الحدادين لا يمارسون غير هذه الحرفة²، وكذا جبل سوساوة كلهم حدادون³، وفي تيدسي وآيت داود وتدنت يشغل بهذه الصناعة اليهود⁴، وعرف بتلمسان سوق للحدادين يقع قرب باب زير⁵، وبدورها مدينة فاس تتوفر على إثني عشر دارا لسبك الحديد أيام الموحدين⁶.

صناعة الأسلحة:

مثلت صناعة الأسلحة إحدى أولويات السلطة في المغربين في ظل طبيعة الحياة المعاشة آنذاك والتي تسودها أجواء الحروب واللا استقرار، لذا تركز جهودها على الاستكثار من الأسلحة والعتاد الحربي سواء في أيام الحرب أو السلم. فلما شرع عبد المومن بن علي في غزو النصارى خلف البحر سنة 557هـ/1161م أعد العدة المناسبة من أنواع السلاح و ما يلزم لذلك⁷، وأنشأ أبو حمو موسى الثاني (760هـ-791هـ/1359-1389م) دار الصناعة بتلمسان لصناعة كل ما يخص الدولة من بينها السلاح⁸، وهو الذي أوصى ابنه بتخصيص يوم ينظر فيه أحوال العدد الحربية⁹ وأن يستعد لمواجهة العدو " بشحن الأبراج بالرماة والرجال والآلات التي يحتاج للقتال"¹⁰، كما تلحظ جهودهم في الاستفادة من الطاقات الأجنبية مهما كانت صفتها وإن كانت من الأسرى وهو ما

¹ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 105.

² الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 24.

³ نفسه، ج 1، ص 152.

⁴ نفسه، ج 1، ص 131، 117، 110.

⁵ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 105.

⁶ الجزائري، المصدر السابق، ص 44.

⁷ السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 143.

⁸ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 155.

⁹ أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 151.

¹⁰ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزباني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 264.

جرى في عهد أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) ووثقته تلك الرسالة التي استلمها من ملك أرغون خايمي الثاني (1292-1327م) يطلب فيها إطلاق سراح سجناء دولته في تلمسان وكان جواب الأول بالرفض بحكم أن هؤلاء الأسرى يمثلون شريحة هامة من الصناع ويعتمد عليهم بشكل رئيسي¹.

كما قدم الأندلسيون الموجودون في المغربين إضافة نوعية في مجال الصناعات العسكرية وهم من كانت لهم كفاءة في ذلك حتى قيل عنهم أنهم " تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلتها والنظر في مهماتها"²، وقد قدر ابن الأعرج إضافتهم تلك في مدينة تلمسان بقوله "وكان عهد الأندلسيين بها مزدانة بالمصانع المفيدة... وأنواع السلاح"³.

وإن كانت السلطة هي من يقع على عاتقها صنع الأسلحة فإن ذلك لم يمنع من وجود دكاكين خاصة بصناعتها، وهذا ما أكده العقباني الذي ذكر وجود سوق لصنع وبيع الأدوات الحربية⁴، وبدوره أشار الوزان إلى وجود محلات خاصة بصناعة الأسلحة أغلب المشتغلين بها من الأندلس⁵، ومن أشهر الأسلحة المعدنية المستعملة:

السيف: هو سلاح فردي يدوي يعد سيد الأسلحة والأكثر شهرة واستخداما في الحروب، نال مكانة كبيرة في حياة العرب حتى أضحي رمزا للفروسية والبطولة عندهم لذا تفننوا في تسميته بعشرات من الأسماء منها الصقيل، الصمصامة، الكهام، الردان، المشرفي، الحسام، الخشيب، الهدام، ذو الكريهة...⁶.

يصنع إما من الحديد ويسمى السيف الأنث أو من الحديد الصلب ويسمى السيف الذكر⁷، ومن ناحية الشكل فهو على نوعين السيف المستقيم وهو السابق والسيف المقوس ظهر متأخرا، تزيين السيوف بنقوش زخرفية

¹ التنسي، المصدر السابق، ص 104؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 134.

² المقرئ، نفع الطيب، ج 3، ص 147.

³ أنظر: نصيرة عزرودي، الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحربي بالمغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع 04، 2013، ص 247.

⁴ العقباني، المصدر السابق، ص 139.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 244.

⁶ ابن سلام، المصدر السابق، ص 17.

⁷ النويري، المصدر السابق، ج 6، ص 171.

أو بكتابة آيات قرآنية عليها أو عبارات دعائية¹، وأحيانا تحلى بالذهب والفضة عندما تكون موجهة للأمرء والسلطين مثل السيوف المحلاة التي أرسلها السلطان الزياني إلى سلطان المماليك بمصر مع جمع الهدايا².

استعمل الجند الزياني والمريني سيوفا تعرف بالزناتية تمتاز بمقبض من ثلاث قطع ورمانات ذات ثنيات صغيرة مستديرة³، كما كان هناك نوع من السيوف خاص بجنود بني مرين معروف بالقصر تدل عليه عبارات ابن الحاج النميري "والسيوف التي قصرت كان وصلها خطاهم" فان قصرت وصلتها كماة بني مرين بأيديهم⁴.

الرمح: يتكون من السنان وهو رأس حديدي حاد الجنين والطرف عرف بأنواع عدة فمنه المموج والمشعب والرفيع والعريض والمستوي، يركب على عمود بأطوال مختلفة⁵، وجدت للرمح دكاكين خاصة بصنعتها في مدينة فاس⁶، فاس⁶، ومما يؤكد حضورها في جملة سلاح الجند في بلاد المغرب عموما ذكره ابن خلدون في حديثه عن الجيش الزياني "وتناولت أيدي الهلاك بكل مهلك قصفا بالرمح"⁷ ووردت عند أبو حمو الثاني كذلك "يقدم منهم عشرة عشرة من أمام طعنا بالرمح..."⁸.

الدبوس: عمود من حديد مدملك الرأس في طرفه كتلة يحمله الفرسان بجوار الفخذ، يستعمل في القتال مثل السيف يمتاز بالقوة لذا يستخدم في اختراع التروس وتهشيم الخوذ المعدنية⁹، أشار إليه العمري بقوله: "تعلق به

¹ عبد الرحمان زكي، السلاح في الإسلام، دار المعارف، مصر، د ت، ص 33.

² ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 271.

³ ألفارو سولر، ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، تر: إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2007، ص 144.

⁴ ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 161، 298.

⁵ محمد عبد الحفيظ المناصر، الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2000، ص 280.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 240.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 113.

⁸ أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص 40.

⁹ سالم أبو القاسم محمد غومة، النظم الحربية في دولة بني مرين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف فتحي عبد الفتاح أبو سيف، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2011، 2012، ص 77.

بيض الخوذ مثل بيض الدجاج"، "فاخترط من تحت فخذة عمودا تمد به الأبنية المشيدة"¹ والدبابيس كانت من بين أسلحة بني مرين وصف النميري الفرقة التي تحملها "ويحملون بأيديهم القضبان الصلبة مكاسرها"².

الفأس: هو سلاح برأس عريض ومستو بشكل نصف دائري مدبب من جهة وحاد من الجهة الأخرى يحمل بواسطة قضيب من حديد أو من خشب³.

الحسك: أشواك تتخذ من الحديد تغمس في السم أحيانا وظيفتها عرقلة تقدم العدو حين طرحها على الأرض في طريقه فتصيب الخيل والجند، وهي نسخة متقدمة عن نبات الحسك الذي كان يستعمل هو الآخر في نفس الوظيفة وبالنسبة للشكل فيصنع بأنواع مختلفة منه الحسك المثلث ذات ثلاث رؤوس تغرس اثنان في الأرض والثالثة بارزة، والمسدس ذات ستة رؤوس تثبت ثلاث في الأرض والثلاثة الأخرى تكون ظاهرة⁴.

الخناجر: تصنع مثل السيوف إلا أنها قصيرة كثيرا عنها، لها مقابض من العاج أو الخشب تستخدم في ظروف استثنائية عند المباغطة والتسلل أو عند التلاحم توضع في جنب الجندي⁵.

الخوذ: لباس حربي وقائي يتخذ فوق الرأس يصنع من الحديد أو غيره يكون أعلاها مشوكا كي لا يتأثر بضربات السيوف⁶.

الجواشن والمصفحات: هي دروع صدرية ليست لها أكمام تعمل من حلقات أو صفائح حديدية ثم تكسى بالجلد أو الكتان، يكمن دورها في حماية الصدر من ضربات الأسهم والسيوف⁷، ورد وصفها عند النميري "المصفحات

¹ العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 268.

² النميري، المصدر السابق، ص 255.

³ سالم أبو القاسم محمد غومة، المرجع السابق، ص 77.

⁴ محمد عبد الحفيظ المناصير، المرجع السابق، ص 296.

⁵ فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 166.

⁶ عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 23؛ فتحي زغروت، المرجع السابق، ص 179.

⁷ عباس قويدر، المرجع السابق، ص 94-95.

المصفحات من الحلل و الأنزاق... منسوقة بما المسامير المذهبة التي تكاد تغطي الأبصار" تتميز بدقة الصنع فهي " لا تصفح عن زلة الرمح أن راودها ولا تقبل عثرة السيف الجرار أن عاهدتها"¹ .

وعلى غرار صناعة الأسلحة هناك مصنوعات حديدية أخرى تفنن الحداد في صنعها كبعض اللوازم والأدوات التي يحتاجها الانسان في حياته اليومية مثل :

المسامير : وهي ذات استخدامات متعددة تستعمل في تثبيت الأشياء كالألواح وغيرها، وقد لاحظنا نماذج من مسامير تعود لتلك الفترة والتي تظهر دورا آخر لها وهو التزيين (أنظر الملحق رقم 7).

الأمشاط : يكمن عملها في تمشيط صوف الأغنام وغيرها ذكر مارمول أنه يوجد بفاس دكاكين مختصة في صناعة الأمشاط تقدر بخمسة عشرة دكانا² .

الطبقات : تلصق بأبواب المنازل من أجل أن يستخدمها الزوار والمقبلين من الخارج للطرق ولها دور زخرفي على الباب كذلك (أنظر الملحق رقم 8).

المكايل : هي كتل من حديد تمثل أوزانا مختلفة مثلما ذكرنا سابقا، وجودها أكثر من ضروري لا تكون عملية الوزن والبيع إلا بها، يجبرنا الوزن بوجود دكاكين خاصة بصناعة الأمثال بفاس³ .

لوازم الخيول : مثل الشكائم وهي الحديدية التي توضع في فم الجواد والفرس والركابات وهما الحديدتان اللذان توضع فيهما الرجلان عند اعتلاء الخيول .وجدت بفاس قرابة ثمانين دكاكا خاصة في صنع لوازم الخيول من شكائم ولجم وركابات⁴ ، أشاد مارمول بصناع تلمسان في هذا المجال وذكر تفوقهم على صناع فاس في صناعة مستلزمات الخيول وزخرفتها⁵ .

¹ النميري، المصدر السابق، ص 224، 302.

² مارمول كارفخال، المصدر السابق، ج2، ص 153 .

³ الوزن، المصدر السابق، ج1، ص 244 .

⁴ نفسه، ص 235 .

⁵ مارمول كارفخال، المصدر السابق، ص 153 .

بالإضافة إلى السكك وهي التي تلصق بالمحاريث الخشبية عند حراثة الأرض، والمناجل التي تستخدم في عملية الحصاد، والأقفال التي تصنع من أجل غلق وفتح الأبواب والنوافذ والصناديق وغيرها¹.

¹ عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 185 .

ثانيا: الصنائع ذات الأصل الترابي والصخري

أ. صناعة الفخار والخزف :

الفخار والخزف مصطلحان متداخلان غالبا ما يستعملان في نفس المعنى، فعند ابن منظور الفخار ضرب من الخزف معروف تعمل منه الجرار والكيزان وغيرها¹، والخزف ما عمل من الطين وشوي فصار فخارا واحده خزفة²، ونفس التعريف نجده عند الفيروز آبادي الذي يورد: الفخار والفخارة بفتحها والفخارة الجرة جمعها الفخار أو هو الخزف، والخزف هو كل ما عمل من الطين وشوي بالنار حتى يكون فخارا³.

وفي الأوساط العلمية الفخار أشمل ويطلق على كل ما كان مصنوعا من طين دون تزجيج، أما الخزف ما صنع من طين أيضا لكنه يطلى بطبقة من الزجاج المذاب ويصبح أكثر قوة ونقاء⁴.

ويتضح أن كلاهما ينتميان إلى أصل واحد هو الطين، وكلاهما يحرقان حتى يكتسبا الخصائص المطلوبة، إلا أن الخزف يصبح خزفا بعد الطلاء وبعد الحرق مرة ثانية⁵، كما أن الخزف في نظر البعض يجمع بين عناصر طبيعية وصناعية بعد نزع الشوائب وإضافة مركبات تكسبه الجودة والصلابة بخلاف الفخار الذي يشكل من عناصر طبيعية كلية⁶. وبالنسبة لمراحل الصنع وتقنياته فإن ذلك يتطلب المرور بمجموعة من العمليات :

اختيار الطينة: يختار الحرفي بمعرفته المسبقة التربة الصالحة للمصنوع الذي يود صناعته من أنواع التربة المتاحة في الطبيعة والتي تنقسم إلى ثلاث أنواع:

الطينة الحمراء ذات لون أحمر أو بني قليلة الجودة خشنة وسميكة الجدار، سهلة الانصهار تصنع في درجات حرارة منخفضة، والمنتجات المصنوعة منها رخيصة.

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 50.

² نفسه، ج 9، ص 67.

³ الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 455، 804.

⁴ محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص 100؛ حسن باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، 1979، ص 374.

⁵ طه حسن الزعاري، المرجع السابق، ص 271.

⁶ خليفة حامد، فن الفخار في الفنون العربية الإسلامية، ج 3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997، ص 343-348.

الطينة المتوسطة (العادية) وهي تربة تتدرج في ألوانها من الأصفر الخافت إلى الأحمر، تكون متوسطة السمك والكثافة.

الطينة البيضاء أفخر الأنواع وأفضلها قليلة الكثافة قليلة المسام رقيقة الجدار متينة، تشوى منتجاتها في درجات حرارة عالية، وهي النوعية القابلة للتزجيج¹.

تحضير العجينة: بعد اختيار نوع التربة المناسبة للصنعة تأتي مرحلة سحق الطين وطحنه بالإضافة إلى المواد الأخرى، ويكون ذلك بواسطة رحي حجرية أو مدقات كبيرة أو رحي تدور بقوة الحيوانات أو المياه²، بعدها تتم عملية النخل والغرلة للتخلص من مختلف الشوائب وكذا الحبيبات الخشنة³، ثم نصل إلى مرحلة التخمير حيث ينقع المسحوق المتحصل عليه في أحواض مائية ويترك حتى يتخمر لأيام ويجف شيئاً ما⁴، وأخيراً تأتي عملية العجن التي يشرع فيها بصور متواصلة سواء باليدين أو بالأرجل، وفي العادة تضاف إلى العجينة مواد أخرى تجعلها متماسكة وصلبة وذات قدرة على التشكيل مثل الرمل الدقيق وغضار ناعم، ثم تقطع إلى قطع مناسبة للتشكيل⁵.

التشكيل: ويكون بعدة طرق نذكر من بينها :

التشكيل باليد: من أقدم الطرق المستعملة تحتاج إلى خفة وحذق فني، تتطلب عجينة متوسطة الجفاف والليونة ليسهل تشكيلها⁶.

¹ علام مُجد علام، علم الخزف، مكتبة الأنجلو مصرية، د ب، ج ت، ص 4-5 .

² علي خيدة، تطور صناعة الفخار الإسلامي في المغرب الأوسط من القرن 1هـ/7م إلى القرن 9هـ/15م، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف عز الدين بويحيوي، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015-2016، ص 223-224 .

³ مُجد شعلان الطيار، الفخار القديم والخزف، منشورات جامعة دمشق، 2002-2003، ص 15.

⁴ سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1986، ص 14.

⁵ Jean Sauvaget, **introduction a l'étude de la céramique**, extrait de la revue des études islamiques, paris, 1966, p19.

⁶ سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص 14؛ صالح خالد مُجد ساري، الفخار الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام، رسالة ماجستير في الآثار، إشراف صفوان التل، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1979، ص 39.

التشكيل بالقالب: هو وسيلة مهيأة كنموذج للشكل المراد صنعه، تصنع القوالب الخاصة بالأواني وما شاكلها من الطين أو الجص، يزود أحيانا بزخارف غائرة لتظهر بارزة على سطح الإناء¹ ، والقوالب أنواع: عن طريق الكبس وتكون العجينة معدة وفقا لهذا أي تكون متوسطة الجفاف والرخاوة، وعن طريق الصب ينبغي أن يكون الخليط سائلا يصب في قالب مهيأ لهذا النوع بالذات² .

التشكيل بالدولاب: الدولاب هو إحدى الابتكارات التي أضافت الكثير لهاته الصناعة، وجد عند الحضارات القديمة وظل يستعمل إلى اليوم مع إدخال عليه التحديثات العصرية، يتكون من محور عمودي يرتكز في حده السفلي على القرص الثابت المصنوع إما من الحجارة أو الخشب أو المعدن يعلو هذا المحور قرص متحرك في أسفله مقود يحركه يديه الصانع برجله، وهناك دولاب يدوي يحركه الصانع بإحدى يديه، تثبت العجينة في منتصف القرص ومع تحريكه يبدأ العمل، ومن مميزات العمل به أنه يصنع الآنيات ذات الشكل الأسطواني والمحدب بفعل حركة الدوران ويكون سطح المصنوع ناعما وجدرانه أكثر تجانسا، يتم التحكم في السمك أو الرقة عن طريق تبطيء حركة العجلة أو تسريعها³ .

الحرق: وهذه المرحلة هي المرحلة الحاسمة في صناعة الفخار إذ من خلالها يصبح ما صنع من الطين فخارا وغيرها يكتشف الفخاري مدى نجاح منتوجاته من عدمه حيث أن العيوب تظهر أثناء الحرق⁴ . تتم هاته العملية بعدة طرق منها: إيقاد النار حتى الحصول على الجمر تحط فيه المنتوجات الفخارية مقلوبة على فوهتها، وإما بإشعال النار ووضع المصنوعات فيها وتغطيتها بالنار كذلك أو بالجمر⁵ .

¹ صالح خالد محمد ساري، المرجع السابق، ص41.

² Émile Bourry, **Traité des industries céramiques**, encyclopédie industrielle, paris, 1844, P186 .

علي خيدة، المرجع السابق، ص237، 239.

³ Émile Bourry, **op cit**, p187-188, Jean Sauvaget, **op cit**, p21-22.

علي خيدة، المرجع السابق، ص204-205.

⁴ صالح خالد محمد ساري، المرجع السابق، ص42.

⁵ Quin, **la poterie**, librairie grand, paris, 1994, p56,23

عن طريق الفرن: وفي الفرن توضع المشغولات مرتبة متراسة، ثم تشعل النار وتوزع الحرارة بشكل متساوي، حتى تشوى هاته القطع حينها تتخلص من الشوائب وتكسب الصلابة والمتانة¹، ويذكر بعض الباحثين أن الفرن في العادة يتكون من غرفتين سفلية وعلوية: السفلية فيها موقد النار يكون سطحها مثقوبا بعدة ثقوب لكي تمر الحرارة إلى الأعلى، العلوية وهي مكان رصف وترتيب القطع الفخارية، سقفها مزود بمدخن لخروج الدخان²، يظل الفخاري يراقب عملية الحرق وفي كل مرة يضيف الوقود من حطب وغيره إلى الموقد حتى يتبين له اكتمال العملية³، بعدها يطفئ النار ويترك المصنوعات لتبرد داخل الفرن تدريجيا.

الطلاء(التزجيج): وهو تلك الطبقة الزجاجية التي تغطي الفخاريات داخليا وخارجيا من أجل إكسابها صفة خزفية⁴ وكذا تحقيق عدة مزايا وإيجابيات منها الحصول على سطح غير مسامي ناعم جدا ولماع يسهل تنظيف سطوحه الداخلية والخارجية، يقي من تسرب السوائل التي تحفظ في الأواني يحمي الزخارف والألوان المطبقة تحت الطلاء، كما ينسجم معها ويعطي وجهها غاية في الجمال⁵.

يقوم هذا الطلاء الزجاجي أساسا على مادة السيليس (رمل كوارتزي) الموجودة في الرمال الغنية ببلورات الكوارتز التي تتلاقح مع المواد الدهنية المذيبة إثر عملية الانصهار مع بعض⁶، وتنوع الطلاءات الزجاجية المستعملة حسب المواد الدهنية المذيبة، من بينها :

¹ صالح خالد مُجَّد ساري، المرجع السابق، ص43.

² تلحق الأفران بأنواعها (الفخارية وغيرها) الضرر بساكنة المدن مثلما ذكرنا سابقا، وهذا ما تبينه النوازل والشكاوى حولها لذا كان على الفقهاء التدخل وطلب إخراجها خارج أسوار المدن يقول ابن الرامي الأصل في منع الدخان قوله تعالى: "فارتقب يوم تأتي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" سورة الدخان، الآية 10-11، أي أن الله جعله عذابا لذا وجب دفع ضرره عن الناس. أنظر: ابن الرامي، المصدر السابق، ص59.

³ Lucien Golvin, **Recherches archéologiques à la Qal'a des BanûHammâd**, G.P. Maisonneuve et Larose, paris, 1965, p193.

لخضر بلعري، المرجع السابق، ص124.

⁴ توفيق سحنون، تنميط الخزفيات الإسلامية للمغرب الأوسط من خلال المجموعات المتحفية الجزائرية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف عز الدين بويحيوي، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2017، 2018، ص103.

⁵ صالح خالد مُجَّد ساري، المرجع السابق، ص45-46.

⁶ توفيق سحنون، المرجع السابق، ص104.

الطلاءات الرصاصية: يخلط أكسيد الرصاص مع رمل السيليسي كوسيط صاهر ينتج عنها عجينة زجاجية شفافة بعد التفاعل في درجة حرارة عالية، يتميز بلزوجة معتبرة تساعده على الالتصاق بسائر أنواع العجائن الفخارية¹.

الطلاء القلوي (الالكاني) من مميزات هذا النوع من الدهان أنه يصهر مع المواد الزجاجية في درجات حرارة منخفضة، كما أنه لا يمنع استخدام ألوان متعددة عكس الطلاء الرصاصي ومن هاته المواد القلوية الصوديوم والبوتاسيوم².

الطلاء القصديري: يستعمل لوظيفته التعتيمية يتكون من أكسيد القصدير والرصاص أي أن الخزافون ابتكروا هذا النوع من الطلاء لتحويل الدهانات الشفافة إلى معتمة³.

الزخرفة والتزيين: من الأساليب الزخرفية المطبقة على الفخار والخزف:

الزخرفة بالحز: وذلك برسم الزخارف والأشكال على جسم المصنوع بواسطة آلة حادة معدنية كانت أو غيرها تحدث خدوشا وجروحا عليها وأحيانا يكون ذلك بمساعدة الدولاب لكي تكون الخطوط مستقيمة ومتوازية، ويتم ذلك والفخارية لا زالت لينة⁴.

الزخرفة بالإضافة: يتم تحضير أشكالا زخرفية من العجينة الطينية سواء باليد أو بالقالب وسواء كانت رسوم حيوانية أو رمزية، بعدها تلصق على جسم المصنوع⁵.

الزخرفة بالطابع: في البداية يؤتى بقوالب ذات عناصر زخرفية معينة معدة لذلك تضغط هاته القوالب على المشغولات الفخارية وهي لينة ثم ينزع القالب ويترك أثرا زخرفيا بديعا حسب الشكل المأمول⁶.

¹ عقيلة جليد، الخزف الإسلامي بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 3هـ / 9م و 9م / 15م، أطروحة دكتوراه في علم الآثار الإسلامية، إشراف عز الدين بويحيوي، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2017، 2018، ص18.

² نفسه، ص19.

³ نفسه، ص19-20.

⁴ علي خيدة، المرجع السابق، ص244.

⁵ علام محمد علام، المرجع السابق، ص219.

⁶ علي خيدة، المرجع السابق، ص246.

الزخرفة تحت الطلاء: تستعمل الزخارف اللونية على الفخار بعد حرقه بعدما تغطي بطلاء زجاجي شفاف ثم تعاد إلى الفرن لتحرق من جديد لكي تثبت الطلاءات تظهر هاته الزخارف اللونية بشكل جذاب تحت الغشاء الزجاجي الشفاف¹.

الزخرفة بالبريق المعدني: تعد هذه التقنية أحد أكثر التقنيات ابداعا بالعالم الإسلامي في الفترة الوسيطة، والتي تشهد على مظاهر المدنية والتأنق التي وصل إليها آنذاك، تقوم على اكساب سطح الخزف طبقة معدنية رقيقة تعطي وجها لمعدن ثمين، أما عن السائل المعدني فيحضر من توليفة تتكون من أكسيد الفضة والنحاس وكذلك أكسيد الكبريت والخل وتربة المغرة، تلون به الرسوم أو يطلى به سطح الخزف، ثم تحرق المنتوجات الخزفية مرة ثالثة في درجة حرارة ضعيفة لتتفاعل الأكاسيد مع بعضها مشكلة طبقة معدنية لماعة بلون ذهبي أو أصفر مخضر أو أحد درجات الأحمر².

الزخرفة السائلة: نوع من الأساليب الإبداعية من خلالها تزين الفخاريات والخزفيات برش الألوان عليها سواء بالريشة أو غيرها، وقد تظهر عشوائية المظهر لكنها لا تنقص أبدا من خيال الحرفي وإبداعه³.

لقيت الصناعات الفخارية والخزفية حضورا واضحا في المغربين الأوسط والأقصى، فمدينة فاس كعادتها تنصدر المشهد الصناعي بمئة وثمانية وثمانون معملا للفخار في عهد الموحدين⁴، كما كانت أغمات هي الأخرى من بين مراكز إنتاجه مثلما ذكر ابن الخطيب⁵ في حين برزت مدينة سلا في صناعة الفخار المزجج بكميات كبيرة⁶، واستمر الحال مع هذه الصنعة في عهد المرينيين فقد أشار الوزان أن منطقة حاحا اشتهرت باستعمال الأواني الفخارية بكثرة⁷، وأن قرية مزدغة ذات التربة الصيصالية معظم سكانها خزافون⁸، وعرفت إحدى أحياء

¹ عقيلة جليد، المرجع السابق، ص 22؛ صالح خالد مجد ساري، المرجع السابق، ص 53.

² عقيلة جليد، المرجع السابق، ص 24-25.

³ نفسه، ص 22.

⁴ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

⁵ ابن الخطيب، مشاهدات بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، ص 131.

⁶ الدكالي، المصدر السابق، ص 171.

⁷ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 109.

⁸ نفسه، ج 1، ص 366.

مدينة فاس بحي القلالين الذي يقع في جهة باب الفتوح، وقد يكون هذا الاسم نسبة للقلال بحكم أن الفخارين يعرفون أحيانا بالقلالين¹، كما توجد إشارات على أن هناك نوع من الخزف كان يباع في أسواق فاس يدعى بالخزف المايورقي²، ولا ندري إن كان مجلوبا من الأندلس أو مصنوعا محليا وفقا للتقنيات المعروفة في مايورقة.

أما في تلمسان الزبانية فالمعطيات الأثرية تدل على أن هاته الحرفة مورست بالقرب من باب العقبة لوجود أفران خاصة بطهي الفخار والخزف عند باب القرمادين إذ أشار جورج مارسيه إلى وجود قطع وحطام من الخزف الملون عند هذا الباب³، كما عثر ألفرد بل على إثر الحفريات التي قام بها على قالب للفخار بجانب السور القديم القديم بنواحي باب العقبة كما وجد أيضا عددا من القطع الخزفية بأشكال وأحجام وأنواع مختلفة مزخرفة ومطلية وغير مطلية⁴.

ب. حرفة البناء :

تعد هذه الحرفة من أسس وأوليات العمران والمدنية تتمثل في كفاءات اتخاذ البيوت والمنازل والقصور وأسوار المدن وكذا المعادل والحصون⁵، تحتاج إلى مهارة وحذق وإتقان، لا يمكن الاستغناء عنها لأنها مرتبطة بتأسيس المدن وتشديد المصانع ومختلف البنايات .

تختلف طريقة البناء والمواد المستعملة فيها حسب المعطيات الطبيعية لكل منطقة، لذا نجد كل مكان له خصوصية معينة في البناء، بالإضافة إلى الأوضاع المادية وأيضا الفوارق الاجتماعية بين أبناء المدينة الواحدة⁶، وقد تعددت طرائق وتقنيات البناء في ذلك العصر من أكثرها شهرة :

¹ عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 233 .

² الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 186.

³ جورج مارسيه، المرجع السابق، ص 39.

⁴ محمد الظمار، المرجع السابق، ص 38.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، ص 509.

⁶ نفسه، ص 510.

الحجارة:

أقدم مواد البناء وأكثرها مقاومة، وهي على أصناف عدة منها الصخور البركانية كالغرانيت والبازلت والصخور الرسوبية كالأحجار الكلسية والدولميت¹، تجلب من المقالع على شكل كتل كبيرة تنتقى حسب الحاجة والدور الذي تؤديه ثم تقطع إلى قطع مختلفة المقاسات تستغل بشكلين: الحجارة المشدبة وهي المصقولة ذات حجم كبير تستعمل في زوايا المباني والواجهات، الحجارة الغير مشدبة (الدبش) صغيرة الحجم تستعمل في بناء الجدران².

الطابية:

وتسمى تقنية التراب المدكوك وهي نتاج خليط مركب من التراب الذي يعتبر المادة الأساسية وكذلك بعض المواد التي تكسبه مزايا أخرى مثل الكلس والحصى والرمل والطين الغريني وحتى التبن والخشب المحروق³، تنجز بواسطة قالب معد لذلك يكون على شكل متوازي المستطيلات مفرغ من القاعدة والسقف يتخذ من ألواح خشبية يصل طوله إلى 4 أذرع و عرضه إلى ذراعين، تشد ببعضها عن طريق أذرع خشبية تربط بالحبال والجدر، أي أنه يتكون من اللوحان الخشبيان الكبيران، اللوحان الخشبيان الصغيران، الأذرع الخشبية، الأذرع العمودية، الأذرع الأفقية، المثبتات، الحبال⁴.

الآجر:

لغة يقال أنها لفظة ذات أصل فارسي معربة تعني اللبن بعد اكتمال طبخه يستعمل في عملية البناء⁵، أما اصطلاحاً فهو عبارة عن تربة طينية مقولبة اكتسبت خصائص جديدة بعد عجنها وتصنيعها تتميز بالصلابة

¹ محمد عاصم رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، مصر، 2000، ص 73.

² محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديدة والمنصورة بتلمسان، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 95-96.

³ إسماعيل بن نعمان، البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي تقنية الطابية نموذجاً، دورية كان التاريخية، ع 10، 2010، ص 19، 22.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ص 512، إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 20-21.

⁵ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 11.

والتماسك وخفة الوزن وعزلها للحرارة¹.

يمر الآجر بمراحل عند تصنيعه تكون البداية من تنقية الطين في مياه جارية لإزالة الشوائب منه، ثم نقعه في أحواض لمدة طويلة وكلما امتص الماء أضيف له مثله، بعدها تأتي عملية العجن حيث يدعك بالأرجل ثم تضاف لل عجينة مواد أخرى ترفع من قدراتها على غرار الرمل الناعم والفحم والقرميد المطحون والتراب الرملي وأكسيد الحديد مسحوق².

ثم نصل إلى مرحلة التشكيل (القولبة) فلكي يتم تخريج الآجر في الشكل المطلوب ينبغي استعمال قالب مناسب لذلك وعموما يوجد نوعين من القوالب: قالب بسيط جدا وهو إطار خشبي مفرغ القاعدة بمقاييس مختلفة حسب استعمالات كل منطقة³ وهو الأكثر شهرة على ما يبدو، والثاني وهو أيضا إطار من خشب فارغ الجوف إلا أنه يتكون من جزئين أي يصنع من خلاله قطعتين من الآجر في نفس الوقت يتم التحكم في هذا القالب بواسطة مقبض موجود في وسط ضلع من أضلاعه، يثبت القالب على الأرض أو أي سطح صلب ومستو ثم توضع العجينة بداخله ويضغط عليها بواسطة أداة توزع العجينة داخله حتى يمتلئ ويصل إلى الحد الأعلى بعدها يسحب القالب من مقبضه مخلفا القطعة الآجرية المطلوبة، ثم ينظف مما علق به ويعاد ملؤه كما ذكرنا⁴.

وآخر المراحل عملية التجفيف والحرق أين يبدأ التجفيف بعد تحضير القطع ويكون ذلك في الهواء الطلق بعيدا عن أشعة الشمس لمدة يومين أو ثلاث حسب الطقس وفصول السنة، بعدها تحول القطع إلى مكان آخر ويستكمل تجفيفها بنفس الطريقة بعيدا عن الأمطار وأشعة الشمس حتى نصل إلى مرحلة الحرق في الأفران حيث

¹ عبد الرحيم جديد، نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 11، 2017، ص 149.

² إسماعيل بن نعمان، الصناعة التقليدية للآجر والقرميد المقعر في بلاد المغرب الإسلامي، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، ع 14، 2013، ص 40.

³ Jean souvaget, **op cit**, p53.

علي خيدة، المرجع السابق، ص 206.

⁴ إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 41-42.

ترتب حبات الآجر في الفرن الذي يستوعب في العادة آلاف القطع ويوقد من حولها إلى أن تشوى وتحقق التماسك المطلوب، ثم تترك في الفرن لأيام حتى تبرد تدريجياً وترفع بعد ذلك¹.

القرميد:

لغة يسمى طبيخ الآجر²، لأنه لا يختلف عنه إلا في الشكل، اصطلاحاً هو نتاج عجينة مدعمة الأكاسيد وبعض المواد، لا يفرق بينها وبين عجينة الآجر إلا في الجودة، أما عن الشكل فتصنع بمظهر نصف أسطواني³.

بالنسبة للتشكيل فاستعملت قوالب خشبية أو معدنية أو من الطين المشوي متنوعة منها قالب نصف أسطواني من خشب بنهائيتين كبيرى وصغرى تحتوي هاته الأخيرة على مقبض⁴، وقالب بشكل مستطيل متسع من طرف ويضيق من الثاني، وهو بثلاث أنماط مختلفة حسب المقاسات فهناك المثني وهو أكبر الأصناف والوسطي والمزيربري، يحتاج برفقة هذا القالب إلى عصا خشبية تساعد على توزيع العجينة بداخله⁵. وقد يوظف الدولاب في عملية التشكيل في غياب القوالب وذلك بخرط العجينة بشكل دائري أسطواني ثم تقطع إلى قسمين متساوين لكي نتحصل على شكل نصف أسطواني⁶. بعد الانتهاء من التصنيع والقولبة تأتي عملية الحرق في أفران لا تختلف عن أفران حرق الآجر إلا في الكميات، ترتب حبات القرميد داخله بشكل عمودي وتضاف صفوف فوق صفوف حتى الامتلاء، يحرق ويبرد تدريجياً هو الآخر⁷.

¹ إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 42.

² ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص 94.

³ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 148.

⁴ إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 44.

⁵ علي خيدة، المرجع السابق، ص 208-209.

⁶ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 148.

⁷ إسماعيل بن نعمان، المرجع السابق، ص 44.

ج. تصنيع الجص :

لغة: الجص والجص ما يبنى به وهو معرب وليس بعربي¹، وفي اللسان الجص معروف وهو الذي يطلى به، الجصاصة الموضع الذي يعمل به الجص، الجصاص صانع الجص وهو الجبس².

اصطلاحاً: هو نوع من الصخور يتكون بشكل أساسي من كبريتات الكالسيوم يظهر في الطبيعة على شكل كتل³. من خصائصه أنه يجف بسرعة وعازل للحرارة والصوت، كما أنه يتميز بالقوة والصلابة والسهولة في تشكيله، بالإضافة إلى أنه لا يتقلص ولا ينكمش عند جفافه مقاوم للنار وغير قابل للاحتراق ناهيك عن قابلية تمازجه مع مواد أخرى⁴، والأفضل من ذلك تنوع سبل الاستفادة منه .

تمر عملية تجهيز الجص بمراحل عدة حتى يصبح مهياً للاستعمال وهي كالتالي:

التجفيف: بعد الحصول على الجص يتم استخراجة بواسطة المجراف ويكون على شكل كتل، تجفف الصخور الجبسية قبل تحطيمها بنشرها تحت أشعة الشمس لأيام وقد تتطلب الحرق حسب وضعيتها إذا كانت رخوة جداً ورطبة حيث في بعض الأوقات يصبح الحرق الطريقة الأنسب للجص حتى يفقد الرطوبة⁵، وغالبا ما تتم عملية الحرق بشكلين مختلفين: الحرق المباشر يصدر عنه إنتاج من نوع الجص الرمادي ذلك أن عملية الحرق هذه تتطلب خلط الجبس مع الوقود (الفحم) ومن سلبياتها احتراق الجص بصورة تفوق الحد، وهذا النوع من الحرق يتم إما في أفران دائمة تكون مهياة ومدروسة ونتاجها فعالة ومتحكم فيها سواء من ناحية درجة الحرارة وكذا من ناحية كميات الوقود المستعمل، أو في أفران غير دائمة ووظيفية يحرق فيها الجبس لأيام وهي على شكل حفر، أو أن تحفر حفر للوقود في كتل جصية، أما الحرق الغير مباشر يكون الجص الناتج عنه ناعما عالي الجودة وخالي من

¹ الجوهري، المصدر السابق، ج6، ص 1023.

² ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص 10.

³ محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص 112.

⁴ عبد الرحيم جديد، تطور صناعتنا الجص والرخام في المغرب الإسلامي من ق5 إلى نهاية ق9هـ، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص 66.

⁵ نفسه، ص77.

الرماد تراعى في هذا النوع من الأفران التهوية والتحكم في درجة الحرارة وهي أفران متنوعة حسب المكان والحاجة يستعمل فيها الوقود دون أن يختلط بالحصص¹.

الطحن والغريلة: تطحن قطع الجبس بواسطة رحي مخصصة أو بواسطة مطارق أو مهارييس حتى تصبح ناعمة حسب الدرجة المعمول بها، ثم يمرر الجبس المطحون على مناخل ذات حجم مناسب لكي يحصل على مسحوق متجانس².

الخليط: بعد مروره بهذه المراحل يكتسب الجص القوة وخاصة التصلب بعد أن يضاف إليه الماء ويخلط ويستعمل كما يقول ابن خلدون "يخمّر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلبل"³.

الزخرفة: من بين التقنيات الزخرفية المتبعة في تزيين الجص :

تقنية الحفر(النقش): تتم بحفر الجصاص للرسومات التي يريدونها على الجص وهو لين بعد طلاءه على الجدران التي يراد تزيينها وذلك باستعمال آلات حادة ومناسبة للعمل مثل الأزامل لأنواعها (المائلة والمدببة و المظفرة) وهذه التقنية منوعة الأشكال فهناك الحفر البارز على أساسه تظهر الزخارف بارزة والسطح يكون غائر، والنقش الغائر يكون فيه السطح بارز والزخارف غائرة⁴.

طريقة القالب: من أكثر الأساليب اتباعا من إيجابياتها ربح الوقت أثناء العمل، زد على ذلك ما تخلفه من تناسق في العناصر الزخرفية تستعمل بكثرة عندما يراد إنتاج زخارف متكررة، يحضر الخليط الجصي ثم يصب في قوالب

¹ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 79-80.

² أندرو كوبرن وآخرون، جص الجبس تصنيعه واستعمالاته، تر: بشير محمد يوشع، شركة توب، د ب ، 1955، ص 59-60.

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 512.

⁴ رزقي نبيلة، الزخرفة الجصية في عمان المغرب الأوسط و الأندلس (ق 7-8 هـ / 13-14 م)، رسالة دكتوراه غي علم الآثار، إشراف معروف بلحاج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2014-2015، ص 14-16، عبد العزيز بلعرج، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دار الملكية، الجزائر، 2007، ص 107-108.

فخارية أو جصية أو معدنية ذات زخارف بارزة أو غائرة على حسب الشكل الذي يراد ظهوره يترك ليجف ويصبح بعدها جاهزا للاستعمال¹.

النحت والتجسيم: هي عملية تستغرق وقتا طويلا تتم بالعمل على الجص مباشرة وصنع أشكال وأجسام مختلفة يوظف فيها الجصاص كل تجاربه ومهاراته الفنية².

الزخرفة بالألوان تسمى أيضا بطريقة الفرسيكوا استعملت في بلاد المغرب مثلما نلاحظ في عمائر الحماديين والموحدين وبني مرين، تستعمل الألوان بالطلاء على الجدران أو تخلط بداية مع الجبس السائل قبل استخدامه لتظهر على المنشآت العمرانية بصورة مشعة وبديعة³.

حضر الجص بشكل مكثف في تزيين المنشآت المعمارية في المغربيين ومن أبرز النماذج التي نوردتها:

شهد جامع الكتبية بمراكش استعمال المقرنصات في المحراب وهي ذات قاعدة ثمانية الأضلاع، وازدان جامع القرويين بالتيجان الجصية ذات الزخارف النباتية كالمراوح النخيلية والكيان سواء بقاعة الصلاة أو بالصحن⁴ (أنظر الملحق رقم 10، 12)، أما محرابه فحضي هو الآخر بالأعمال الجصية ذكر الجزنائي أنها من الجص الفاخر الصنعة تزينه نقوش وتخريمات هندسية والشمسيات بأعلى قبته⁵، وفي الجامع الأعظم بسلا تجسد الحضور الجصي في عنصر الشمسيات بجدار القبلة التي تتضمن تخريمات جصية قوامها أطباق نجمية صغيرة الحجم⁶ (أنظر الملحق رقم 9)، وظهرت بمدرسة أبي الحسن بسلا زخارف جصية نباتية مثل المراوح النخيلية والوريدات والأزهار أين وجدت بواجهة عقد المحراب وأيضا بواجهة التيجان وعلى الجدران والأعمدة⁷.

¹ شفيقة عاشور، الزخارف بمحاريب المساجد في المغرب الأوسط (ق 5-8/11-14م)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف خديجة نشار، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2014-2015، ص 262.

² عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 81.

³ نفسه، ص 84؛ شفيقة عاشور، المرجع السابق، ص 263.

⁴ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 114، 122.

⁵ الجزنائي، المصدر السابق، ص 68.

⁶ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 136.

⁷ محمد لخضر عولمي، الزخرفة المعمارية في عهد المرينيين والزيانيين، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف معروف بلحاج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012-2013، ص 143، 148.

وبجامع تينملل بصم الجص حضوره في الأعمدة والتيجان منها الأعمدة (المدججة) إلى الدعامات الكبيرة تحمل عقودا متنوعة وتيجانها حملت باقاتا ورقية، كما شهد هذا الجامع توظيف الشمسيات التي تموتعت على طرفي القبة المقرنصة¹، وبالمدرسة البوعنانية بفاس الأقسام العلوية من حوائط البهو منمقة بزخارف منقوشة على الجص، وجدران قاعتي الدروس أيضا مزينة بزخارف جصية، في حين ظهرت على المحراب زخارف كثيرة ومتنوعة منها زخارف نباتية مجسدة في كيزان الصنوبر وورقة الأكتيس (أنظر الملحق رقم 11) وكتايبية ممثلة في الخطين الكوفي والنسخي².

وبالمغرب الأوسط ظهر محراب المسجد الجامع (المرابطي) بتلمسان على صفة مشكاة ذات خمس أضلاع، طبقت العناصر الزخرفية عليه بتقنية الحفر البارز والغائر منها الزخارف الهندسية مثل المربعات التي كانت بواجهة المحراب وهي من النوع المتداخل حتى تشكل ما يماثل ثمانية رؤوس، والزخارف النباتية ممثلة في المرواح النخيلية المحززة³، وحضرت الزخرفة الجصية بمسجد سيدي بومدين في تغليف الجدران الداخلية والقباب والمحراب والعقود والمدخل⁴ والواضح أنها تميزت بالكثرة والأبهة ما جعلت الإمامين ابني الإمام يستنكران على إحداثها ويريان أنها من البدع وطلبا لإزالتها مثلما ذكر ابن مرزوق⁵، وقد عثرنا على قطع تعود لهذا المسجد (أنظر الملحق رقم 13)، وفي المدرسة التاشفينية أشاد أدومن دوتوا بجمال ودقة عمل الزخارف المنقوشة على الجص بهاته المدرسة والتي بقي منها ما تموضع خلف ركائز الصلاة، وأيضا ما تزينت به الجدران الداخلية لبهو المدخل الغربي من زخارف كتايبية تحوي نصوصا قرآنية⁶، وبدوره شهد مسجد أبي الحسن التنسي انتشار الزخارف الجصية بجدران بيت الصلاة وفي حنايا المحراب وواجهته، هذا المحراب يعد من بدائع الفن في الغرب الإسلامي تميز بكثرة الزخارف وإتقانها خاصة

¹ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 136.

² محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 154-155.

³ شفيقة عاشور، المرجع السابق، ص 137-139.

⁴ رزقي نبيلة، المرجع السابق، ص 104.

⁵ ابن مرزوق، المسند، ص 288.

⁶ أنظر: محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 275.

التخريجات الجصية، وأيضاً حضور الزخارف النباتية مثل المراوح النخيلية، كما ظهرت الكتابات القرآنية بالخط النسخي وجملاً تأسيسية بالخط الكوفي¹.

أما مسجد سيدي الحلوي فحضر الجص في مداخله على الجدران وفي الأروقة والعقود وفي المحارب وحتى في السقوف²، في حين امتاز محراب مسجد العباد بقبته المقرنصة التي تركز على أعمدة جصية، وعرف أيضاً اعتماد تقنية التلوين في الزخرفة على مادة الجص، وشهد عناصر زخرفية متنوعة مثل المراوح النخيلية وكتابات بالخطين الكوفي المورق والمزهر والخط النسخي³.

د. تصنيع الرخام:

الرخام هو نوع من الصخور الكلسية المركبة أساساً من كربونات الكالسيوم وعدد من العناصر المعدنية وغيرها والتي تتشكل عن التحول الديناميكي الحراري فتتغير من حالتها الأولية إلى حالة أخرى جراء الحرارة والضغط⁴.

يحتل مكانة رفيعة فهو بين الأحجار بمنزلة الذهب بين المعادن، استعمل في البناء والتزيين في مختلف العمائر خاصة في مؤسسات الدولة وفي قصور ومنازل الأثرياء أما عن تصنيعه فالعملية لا تتطلب تقنيات كثيرة بحكم أنه حجر جاهز تقريباً إنما تتطلب بعض الأدوات لتقطيعه وصقله وزخرفته.

يبدأ العمل في مقالع الرخام حيث يتم الحفر في الصخور ثم تقطع هاته الصخور إلى قطع متفاوتة الأحجام والمقاسات حسب نوع الطلب باستعمال آلات يدوية كالمطرق والمنشار والفأس⁵، وذكرت النصوص مثلاً بعض

¹ رزقي نبيلة، المرجع السابق، ص 88-91.

² محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 218، 220.

³ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 108.

⁴ عمر محمد بكر، الرخام في بلاد المغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، ع 24، 2019، ص 587.

⁵ عمر محمد البكر، المرجع السابق، ص 589.

مقاسات القطع الرخامية في أمكنة مختلفة ألواح من 15 ذراع¹ وفي مكان آخر قطع من 30 شبرا² وبطول 40 شبرا³، وفي سبنة يقطع بطول 12 شبرا وارتفاع 5 أمتار⁴.

بعد القطع تأتي مرحلة التلميع والصقل حيث يعدل شكل اللوح الرخامي وتزال الشوائب منه باستخدام الرمل وحجر الطراوي والماء وحجر المصق ومسحوق البارود وكبريتات الحديد، يحك بهاته الخلطة من المواد على السطح ليصبح بعدها يسمى بالرخام الصقيل⁵.

وبالنسبة للزخرفة على الرخام فتتنوع طرائقها بتنوع الأهداف والأذواق الفنية، ومن بين هاته الأنواع:

طريقة الزخرفة بالإضافة (التطعيم) : من خلالها تثبت قطع من مادة أخرى على الرخام أو نوع آخر من الرخام يختلف عن القطعة المراد زخرفتها⁶.

الزخرفة بالتخريم: ترسم الزخارف على سطح الرخام ثم تحذف الفراغات بواسطة آلات حادة لتظهر الزخارف على شكل ثقب في صورة بهمية⁷.

الزخرفة بالنحت: احدى الطرق الضاربة في القدم اشتهرت بأنماط ثلاث: النحت المجسم ينتج عنه نحتا محاطا بالفراغ من كل الزوايا مثل التماثيل النحت الغائر تحفر الزخرفة على السطح الرخامي، النحت البارز وطريقته صعبة حيث يتم فيها خراط السطح لتظهر الزخارف بارزة⁸، الزخرفة بالألوان تحضر المادة الملونة ثم تنفذ على سطح الرخام إما رسما مباشرا دون حفر وإما حفر الزخرفة والرسومات عليه ثم صب الألوان السائلة داخل الحفر⁹.

¹ الزهري، المصدر السابق، ص 108.

² مجهول، الاستبصار، ص 122.

³ الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 288.

⁴ الأنصاري، المصدر السابق، ص 31.

⁵ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 103.

⁶ رمزي فرشيبي، الطراز المعماري والفني لعمارة القصور بالمغرب الأوسط من العصر الزييري إلى نهاية العصر الزياني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، إشراف عائشة حنفي، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2019-2020، ص 233.

⁷ نفسه، ص 231.

⁸ فاروق شرف، فن النحت والاستنساخ، دار القاهرة، مصر، 2002، ص 42، 44.

⁹ ناهض القيسي، المرجع السابق، ص 184.

شهد الرخام حضورا كثيفا في العمارة بالمغربين الأوسط والأقصى، واتخذ مظاهر مختلفة حيث استعمل في بلاط الأرضيات وفي الأعمدة والتيجان وصنعت منه أحواض... لذا نورد هنا مجموعة من هذه النماذج: بالنسبة للبلاطات فالنماذج كثيرة نبدوها بجامع المنصور بمراكش حيث بلطت أرضية صحنه بالرخام الأبيض، الجامع الأعظم بمدينة سلا استعمل في بلاط صحنه الرخام الأبيض أيضا¹، المسجد الجامع بالقرويين فرشت دار الوضوء التابعة له بالرخام وأيضاً ساقية المياه بها زينت بالرخام الأزرق والأخضر والأحمر².

والمدارس هي الأخرى نالت حظها من زينة الرخام فالوزان يقول أن فاس وحدها بها إحدى عشر مدرسة بعضها فرشت أرضها بحجر الرخام³، وهذا ما نلمحه في مدرسة السبعين وكذا المدرسة المتوكلية اللتان بلطت أرضية صحنيهما بالرخام الأبيض⁴، ونفس الأمر وجد في المدرسة البوعنانية حيث فرشت أرضيت الصحن بها بمربعات المرمر الأبيض⁵، في حين توجت المدرسة المصباحية زينتها بكميات من الرخام منها المستعمل في البلاطات حتى صارت تعرف بالمدرسة الرخامية⁶.

ووجد استخدامه أيضا في البيوت مثلما أشار العمري إلا أن أرضية الدور والبيوت في فاس وغيرها فرشت بألوان من الرخام الأبيض والأخضر والأسود⁷.

أما في المغرب الأوسط فالرخام لقي حضورا به منذ عهد الحماديين حين ازدانت قصورهم ببلاطات الرخام، وها هو ابن حمديس يصف قصر المنصور المزين بالبلاطات الرخامية البيضاء:

بمرخم الساحات تحسب أنه.....فرش المها وتوشح الكافورا⁸

¹ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص142.

² ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص70.

³ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص225.

⁴ محمد السيد أبو رحاب، المدارس المغربية في العصر المريني دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011، ص321.

⁵ عبد العزيز توري، البوعنانية، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، 1992، ص1810.

⁶ ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص46.

⁷ العمري، المصدر السابق، ج4، ص113.

⁸ ابن حمديس، المصدر السابق، ص235.

وفي تلمسان نجد بمسجد العباد البلاطات الرخامية في الميضأة والنافورة والحوض من الرخام الأصفر¹.

ظهر الرخام أيضا بمظهر آخر تمثل باستعماله المكثف في الأعمدة والتيجان مثلما نجده في المدرسة الجديدة بسببة حيث استخدم في بناء أعمدتها وكان بألوان مختلفة وأيضا وفي نفس المدينة بنيت أعمدة الفندق الوهراني من الرخام الصافي، بالإضافة إلى حمامي القايد وحمام بن عيسى اللذان شهدا اتخاذ أعمدة بهما من الرخام الجيد²، واستعملت أيضا في جامع تينملل في عهد الموحدين وكذلك بجامع الكتبية بمراكش³، وبمدرسة العطارين وجدت أعمدة رخامية بيضاء منها عمودان بقاعة الصلاة وأربعة أعمدة في الواجهتين الشمالية والجنوبية لصحن المدرسة⁴، المدرسة⁴، وحوى مصلى المدرسة المتوكلية مجموعة من الأعمدة والتيجان ذات زخارف نباتية وكتابية⁵، مسجد أبي أبي الحسن به أربعة أعمدة اثنين بجنبى المحراب يحملان تاجين بزخارف نباتية وكتابية وآخرين من الرخام الأبيض عليها تاجين بزخارف نباتية فقط⁶، وبمسجد سيدي الحلوي أعمدة وتيجان في المحراب وبيت الصلاة رخامهم أصفر، وتحتوي مدرسة الصهريج وبالضبط ببيت الصلاة فيها على عمودين من الرخام الأبيض يحملان تاجين⁷، ومحراب مسجد العباد به تيجان تعد احدى بدائع العهد المريني مزخرفة بالرؤوس الحلزونية والنقوش الكتابية وزخارف نباتية⁸.

ومن المصنوعات الرخامية كذلك "الأحواض" منها حوض رخامي بصحن جامع القرويين أبيض مستطيل الشكل بدون زخرفة، وحوض بالجامع الأعظم بسلا ذو شكل دائري أبيض بدون زخارف، وحوض مدرسة العطارين ذو شكل دائري منتظم يشبه المحارة، حوض بمدرسة أبي الحين بسلا⁹، حوض مسجد العباد أيضا على شكل محارة به تجويفات داخلية وخارجية، يحتفظ به متحف تلمسان إلى اليوم (أنظر الملحق رقم 15).

¹ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 102.

² الأنصاري، المصدر السابق، ص 34، 35، 39.

³ عثمان عثمان اسماعيل، المرجع السابق، ج 3، 286.

⁴ محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 340، 330.

⁵ نفسه، ص 429.

⁶ نفسه، ص 235.

⁷ نفسه، ص 120.

⁸ عبد الرحيم جديد، المرجع السابق، ص 192.

⁹ نفسه، ص 152، 195.

ومن الأشكال الأخرى التي استخدم فيها الرخام : "النافورات" على رأسها نافورة جامع القرويين التي استعمل فيها الرخام الأبيض النقي وصفها ابن زرع بقوله " لم ير مثلها لحسنها وصفائها وشدة بياضها وطولها"¹ ، نافورة مسجد الأزهر بفاس مزخرفة بالمرمر² ، نافورة مسجد سيدي إبراهيم المصمودي بتلمسان زينة بالرخام³ ، "الصهاريج" منها الصهريج الذي بني بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان وأعجب به صاحب زهر البستان، فعبر عن ذلك " صنع فيها صهريج مستطيل، وعلى طرفيه من الرخام خصلتان يطردان مسيلا فيا لها من بنية وما أجهجا"⁴ ، أجهجا"⁴ ، "الشبابيك" كالشباك الموجود بجامع القرويين ذكر الجزائبي أنه من الرخام الأصفر يحمل تحريكات على هيئة فراغات مسدسة الأضلاع عددها 124.... وهي في غاية الجمال ودقة الصنع⁵.

هـ. صناعة الزليج :

يعرف بأنه تلك الأجزاء والقطع من الطين المحروق مطلية بطلاء لماع ذات ألوان مختلفة وأشكال متعددة، يتم جمعها وشدها مع بعض بناء على تصميم معين حتى تشكل في الأخير لوحة زخرفية بديعة⁶ ، يستعمل الزليج في فرش الأرضيات وتغطية الأجزاء السفلية من الجدران وأحيانا في تغليف الأعمدة والعقود .

أصبح مستعملا في تزيين العمائر في بلاد المغرب عموما منذ القرن الرابع وانتشر بعدها في أيام الموحدين ليصل إلى ذروته وتطوره في عهد المرينين والزيانيين⁷ ، وبالنسبة لطريقة تصنيعه فهي بنفس مراحل تصنيع الآجر والحزف تقريبا حيث تحضر العجينة بداية من وضع كتل الطين في أحواض مائية لمدة يوم إلى ثلاثة أيام، ثم يبدأ

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص64.

² عبد العزيز توري ، الأزهر، معلمة المغرب، ص 364.

³ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص102.

⁴ مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، ص 336.

⁵ الجزائبي، المصدر السابق، ص73.

⁶ محمد الأمين دندان، الزليج الزياني في القرنين 13-14م / 7-8هـ (دراسة فنية للزليج المكتشف في حفريات المشور(2008-2009)، مذكرة

ماجستير في علم آثار المغرب الإسلامي، إشراف فائزة مهتاري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2013-2014، ص69.

⁷ يسود الاختلاف حول أصل الزليج وظهوره لأول مرة في الغرب الإسلامي، فبينما يعتقد البعض أن مصدره الأول الأندلس، دلت بعض الأبحاث على

على أقدميته في المغرب الأقصى حيث ظهر في عمارات الموحدين ممثلا في البلاطات الخزفية بمعدنتي جامع الكتبية والقصبة بمراكش، إلا أن الحفريات

التي جرت في قلعة بني حماد والتي عثر فيها على بلاطات خزفية كثيرة والتي لا تختلف عن الزليج من حيث المواد والتصميم، وهي نفسها من

استخدمت في مسجدي مراكش، وبالتالي أثبتت أنه استعمل بالمغرب الأوسط قبل غيره من المناطق بكثير . أنظر : محمد لخضر عولمي، المرجع السابق،

الحرفيون في عجنها حتى تكون ذات تجانس وبعد أن تجف قليلا تبدأ عملية القولية وذلك باستعمال قوالب خشبية بمقاسات مختلفة أما سمكها فيتراوح ما بين 1,20 سم إلى 1,50 سم وتكون على شكل مربعات أو مستطيلات¹، تجفف تحت أشعة الشمس تجفيفا غير تام لكي تعدل أطرافها وتزال منها الزوائد ثم تصقل أسطحها حتى تصبح ناعمة، تأتي مرحلة الحرق ويكون على مرتين الأولى قبل الطلاء لكي تكتسب هاته الأشكال تماسكا²، أما الحرق الثاني فيكون بعد طلاء وجه القطع بالطلاء اللامع ذات الألوان والمواد المزججة ليتم تثبيتها، ومن بين أكثر الخطوات دقة هي عملية التكسير والتي تسبق بعمل "الرشام" الذي يرسم على القطع أشكالا معينة ليقوم الحرفي بتكسير القطع بواسطة أداة حادة إلى قطع أصغر وإلى فصوص متنوعة الأشكال والأحجام حسب ما وضعه الرسام³.

تركب هاته القطع حسب النموذج المصمم لتشكيل لوحة الزليج الفنية، إذ تجمع هاته الأجزاء وتوضع كل قطعة في مكانها المناسب مقلوبة على وجهها ثم يصب عليها ملاط من الجبس حتى تجف نهائيا وتصبح جاهزة لتثبت بمكانها في البناء، ويكون التثبيت بواسطة خليط الملاط وهكذا كل جزء بجانب الآخر حتى يصبح المكان المراد تزيينه مغطى بالزليج⁴. ومن بين الشواهد المادية على حضور الزليج في عمائر المغريرين الأقصى والأوسط :

مئذنة جامع الكتبية بمراكش زين برجها الرئيسي بمربعات زخرفية ذات لون أزرق غامق، مئذنة جامع القصبه أيضا البرج الرئيسي مزين بنجوم خزفية ثمانية الرؤوس والجوسق به زخارف كتابية بالخط الكوفي⁵، سقاية باب المدرج بالقرويين في عصر أبي يعقوب يوسف زينت بالجص والزليج... وأنواع الأصبغة⁶، صومعتي جامع الكتبية والقصبه بمراكش أشار بعض الباحثين إلى وجود الزليج بهما⁷.

¹ Alfryed bel, **Les industries de la céramique à Fès**, paris, Aleroux, 1918, p 156.

² André Pacard, **Le maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture**, édition atelier 74, France, 1981, p 357.

³ محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص52؛ محمد الأمين دندان، المرجع السابق، ص 70-72. André Pacard, op.cit, p358-359.

⁴ محمد الأمين دندان، المرجع السابق، ص 53-54، محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص52.

⁵ نفسه، ص 50.

⁶ الجزنائي، المصدر السابق، ص 74.

⁷ عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج3، ص279.

ذكر الوزان أن العديد من مساجد مدينة فاس فرشت أرضياتها بالزليج، وأيضاً العوارض التي تدعم أعمدتها الرخامية مكسوة بالزليج¹، وفرشت أرضية صحن مسجد الأزهر بفاس الجديد بقطع الزليج ذات الألوان البهية، وفي بيت الوضوء لنفس المسجد سقاية مزينة بأجزاء الزليج²، وبمدرسة أبي الحسن بسلا يكسو الزليج جدران أروقنتها وهو عبارة عن مربعات سوداء تتخللها نجوم ثمانية الرؤوس ذات لون أخضر، وأعمدتها مغطاة أيضاً بزليج ذات أشكال هندسية متنوعة وألوان مختلفة شملت الأسود والأخضر والبني والعقود رصعت بنجوم سداسية، وبها أيضاً نصوص كتابية من الزليج بالخط النسخي³، ومدرسة العطارين هي الأخرى عرفت استعمال الزليج في تفريش أرضيات الصحن وبيت الصلاة والأروقة المؤدية إلى حجرات الطلاب⁴، وواجهة المدخل الذي يؤدي إلى الصحن أخذت نصيبها من زينة الزليج ذات اللون الأحمر بشكل يفوق الحد⁵، وفي مدرسة الصهريج بلطت عتبات الأروقة ببلاطات زليج صغيرة ذات ألوان متنوعة والأجزاء السفلية من جدرانها، كما فرشت أرضية الصحن بمربعات خزفية ملونة⁶، أما المدرسة البوعنانية فكسيت جدرانها بزليج به زخرفة كتابية من عبارات وأبيات مرصعة فيها، وأيضاً الأقواس التي تحملها الأعمدة مغطاة بالزليج بل حتى القناة التي تمر وسط المدرسة أطرافها وأرضيتها مفروشة به⁷، وكذا بزواوية أبي سعيد عثمان بسلا وجد الزليج بأرضياتها وجدرانها وواجهات صومعتها⁸.

ورصعت مئذنة مسجد سيدي إبراهيم بقطع ملونة بالأخضر والأبيض والأحمر⁹، وازدانت صومعتي مسجد أبي حسن ومسجد أولاد الامام به¹⁰، والأمر ذاته بالنسبة لمئذنة مسجد قصر المشور¹¹ وأرضياته التي بلطت به (أنظر الملحق رقم 17، 18)، والمدرسة التاشفينية خاصة في أرضية رواقها الشمالي والجنوبي و في

¹ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص223.

² عبد العزيز توري، المرجع السابق، ص363-364.

³ محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص148.

⁴ محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص278، 281.

⁵ عبد العزيز صلاح سالم، المرجع السابق، ص124.

⁶ محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص302، 317.

⁷ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص223.

⁸ عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج4، ص306.

⁹ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص105.

¹⁰ محمد الطمار، المرجع السابق، ص122.

¹¹ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص105.

المساحة المحيطة بنافورتها، بل وحتى جدران المدرسة غطيت جوانبها السفلية بالزليج وكذا جدران بيت الصلاة في نفس المدرسة¹، وتزينت المدرسة اليعقوبية كذلك بالزليج حيث حضر كبلاط لأرضيتها والذي نال إعجاب صاحب زهر البستان فقال " ... وبساط أرضها بالزليج مرسوم... وزليج أزهرها من أبدع الشيات " ²، وبلط صحن مسجد أبي مدين صحنه ببلاطات الزليج³، ويكتسي مدخل جامع سيدي الحلوي حلة زليجية قوامها أطباق نجمية ثمانية الرؤوس ملونة بالأبيض والأخضر والبني والأصفر كما تكتنف مئذنته زخارف منمقة منه⁴.

ولم يقتصر استعمال الزليج على المساجد والمدارس بل شمل حتى بعض البيوت في المدن الكبرى يذكر القلقشندي أن أرضيات دور أثرياء مدينة فاس وأعيانها كانت مبلطة بالزليج الملون بالأبيض والأزرق والأخضر و الأسود والأصفر⁵، وهو ما أكده الوزان الذي ذكر أن بلاطات الزليج استعملت في الأروقة والأفنية و الأقواس وحتى في تزيين صهاريج الماء في البيوت⁶.

و. صناعة الزجاج :

الزجاج مادة شفافة أو شبه شفافة تتميز بالصلابة والقابلية للانكسار يستمد مواده الخام من عناصر طبيعية كالرمل والحصى والحجر الجيري⁷.

يتم تركيبه من عدة عناصر ومواد مثل: مادة السيليكا تشكل هاته المادة أكثر نسبة في الكتلة الزجاجية، توجد في الرمال والحجر الرملي وفي الحمم البركانية وفي الحصى أيضا، ومادة أكسيد البوتاسيوم تكمن وظيفتها في إبقاء المواد المنصهرة في درجة حرارة المعالجة لفترة طويلة، تتوفر في رماد بعض النباتات مثل شجر التفاح ونبات السرخس وشجر البلوط، بالإضافة إلى الصوديوم من خصائصه إكساب الزجاج البريق وكذا خفض درجات

¹ محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 270-273.

² مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، ص336.

³ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص103.

⁴ عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص181، 238.

⁵ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص156.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص222.

⁷ طه حسن الزعاري، المرجع السابق، ص267؛ رزيق فايزة، اكتشاف الزجاج وطرق وتقنيات صناعته قديما، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية،

مج10، ع02، 2021، ص295.

الذوبان، يستخلص من رماد نبات الكليس، وأيضا أكسيد الكالسيوم يستخرج من الجير، وأكسيد الحديد يوجد على سطح بعض الصخور الطبيعية، وأكسيد الألومنيوم يوجد في الرمال، وكذلك النطرون وهو عبارة عن صخر صودي معدني يوجد في السبخات والبحيرات وفي رماد بعض النباتات¹.

تبدأ هاته الصناعة بخلط المواد المعنية مع بعض كل حسب الوزن المعلوم، ثم توضع في الفرن لتصهر جزئيا، وبإخراجها من الفرن تصبح هاته المواد كتلة من الزجاج المحمص، بعد ذلك يتم سحق كتلة الزجاج ويضاف إليها النطرون وترجع إلى الفرن لتصهر انصهارا كاملا في درجة حرارة عالية تفوق 1400 درجة².

وبالنسبة لتقنيات التشكيل فالعجينة الزجاجية تشكل بعدة طرق:

تقنية الضغط على القالب: توضع العجينة المصهورة في قوالب معدة مسبقا مصممة على ذوق الصانع تكون إما من الطين أو الجص، يضغط عليها من أطراف القالب لينتج عنها آنية زجاجية حسب الشكل المأمول³.

التشكيل عن طريق النفخ: ويتم بصورتين مختلفتين: النفخ في القالب: تجهز القوالب المصنوعة من الخشب أو المعدن أو الطين، ثم توضع العجينة الزجاجية بداخلها وتنفخ حتى يحصل على شكل الآنية المطلوب⁴.

النفخ الحر (في الهواء) وهي طريقة مستحدثة عن الأولى، تجرى باستخدام أنبوب معدني توضع العجينة مباشرة من الفرن في أحد طرفي الأنبوب وينفخ في الأنبوب من الطرف الآخر فيسري الهواء وسط العجينة مشكلا كرة ثم يشرع في تحريك الكرة والأنبوب بالاعتماد على قاعدة صلبة معدنية أو رخامية للحصول على الآنية المطلوبة⁵.

¹ حنان خربوش، تشخيص الزجاج الأثري وطرق التدخل عليه- نماذج من المجموعة الزجاجية للمتحف الوطني سيرتا، مجلة الدراسات الأثرية، مج16، ع01، 2018، ص241-243؛ زريق فايقة، المرجع السابق، ص297-299.

² محمد عبد الله إبراهيم، ترميم التحف الفخار والزجاج والقشاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 2012، ص136.

³ هناء عبد الخالق، الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن العراق، د د، بغداد، 1976، ص15؛ كجه جي صباح اسطفيان، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، د د، د ب، 2002، ص103.

⁴ نفسه، ص102، 103.

⁵ زريق فايقة، المرجع السابق، ص305.

بعد إتمام العملية والتوصل إلى الشكل النهائي للمصنوعات الزجاجية، تبرد هاته المصنوعات تدريجيا باستعمال فرن درجة حرارته 500° لمدة تصل إلى 15 ساعة، وذلك للحصول على الصلابة المطلوبة وتفاديا للتشقق والانكسار، أما آخر مرحلة فهي مرحلة التزيين والصلقل والزخرفة التي تضفي على هذه المنتوجات رونقا وجمالا¹.

أكد المختسبة على الشروط التي ينبغي أن يتبعها الزجاجون عند ممارسة حرفتهم حيث: يمنعون من إخراج الزجاج من فرن التبريد إلا بعد يوم وليلة وذلك لما تسببه العجلة في إخراجه من التشقق والصدع²، كما يمنعون أيضا من صناعة الأواني التي تستعمل في استهلاك الخمر³.

أما عن حضور هاته الصنعة في الوسط الحرفي بالمغرب⁴ فالنصوص تذكر أن مدينة فاس توفرت على أحد عشر دارا لصناعة الزجاج أيام الموحدين⁵، وأشار الادريسي لمادة الزجاج من جملة السلع التي يحملها تجار أغمات إلى بلاد السودان⁶، في حين لا تسعفنا المعطيات عن تواجدها في المغرب الأوسط .

ويظهر أن استعمال الزجاج مس حتى الجانب العمراني فمثلا استخدم في تزيين جامع القرويين بفاس في عهد علي بن يوسف عندما ركبت في الشمسيات أنواع الزجاج بألوانه⁷، وكذلك زين المسجد الجامع بمراكش بشمسيات الزجاج في عهد عبد المومن بن علي⁸، في حين تحلت نوافذ جامع سلا في أيام المنصور بالزجاج الملون⁹، ويبدو أن هاته الحرفة استمرت في فاس إلى أواخر حكم المرينيين فقد أورد مازمول أن ورشات الزجاج تقع

¹ علي أحمد الطايش، المرجع السابق، ص 46.

² السقطي، المصدر السابق، ص 67.

³ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 43.

⁴ يبدو أن صناعة الزجاج لم تعرف نشاطا كبيرا في المغرب، فمن ناحية الكم لا نعتز على إشارات مصدرية عنها في المغرب الأوسط وبالنسبة للمغرب الأقصى فالحضور الوحيد الذي تسجله النصوص كان في فاس في عهد الموحدين مما يجعلنا نتفق مع مُجد القبلي الذي رأى أنها لم تشهد تطورا مشابها لما عليه في المغرب الأدنى والشرق. أنظر: مُجد القبلي، تاريخ المغرب-تحيين وتركيب-، المعهد الملكي للبحث، الرباط، 2011، ص 238.

⁵ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 48.

⁶ الادريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 232.

⁷ ابن القاضي، المصدر السابق، ج 1، ص 68.

⁸ المقرئ، نفح الطيب، ج 2، ص 144؛ السلاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 114.

⁹ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 209.

تقع بالقرب من معامل الآجر خارج أسوار القسم العتيق من المدينة، والتي وصلت على حد قوله إلى مئة دكان للزجاجين¹.

ز. صناعة آلات التوقيت :

وضع أهل المغرب من العلماء والفلكيين بصمتهم في مجال التوقيت، فابتكروا ساعات مختلفة الأشكال والمواد علقت في المساجد والمدارس من أجل الاهتداء إليها في معرفة الأوقات، صنعت من معادن وفخار ورخام وخشب .. وقد اخترنا منها بعض النماذج :

الساعة المائية بالقرويين بفاس

ابتكرها مُجدد بن الحباك التلمساني نصبت في الغرفة العليا بمنارة القرويين 685هـ/1286م بطلب من القاضي مُجدد بن أبي الصبر أيوب لكي تعلم منها أوقات الصلوات النهارية والليلية أيام الغيم والشمس، تتكون من حوض من الفخار ووعاء رسمت عليه خطوط وعليه ثقب، عند وضع الوعاء على الحوض المملوء بالماء يصل الماء إلى الخطوط ومنه يتم التعرف على الوقت².

ساعة القرسطوني:

صنعت بيد مُجدد الصنهاجي النطاع في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان سنة 717هـ/1317م وضعت في الغرفة المطللة على باب صومعة جامع القرويين، قام بتصميمها ورسمها مُجدد بن الصدينية القرسطوني³، تكونت من هيكل خشبي يضم جسمين من فخار متصلان ببعض بواسطة أنبوب نحاسي وأيضاً آنية نحاسية ومسطرة تحوي أرقام الدقائق والساعات، يقوم عمل هذه الساعة بحركة الماء من الجسم الفخاري العلوي إلى السفلي عبر الأنبوب مما يؤدي إلى تحريك الإناء النحاسي الموجود في الجسم الأسفل نحو الأعلى بعد ارتفاع نسبة

¹ مارمول كركخال، المصدر السابق، ج1، ص155، 151. ليس بالضرورة أن تكون هاته الدكاكين مخصصة للصناعة بل ربما لعرض المنتجات وبيعها، خاصة إذا استحضرتنا المعطيات السابقة وما عرف عن هاته الفترة من استيراد الزجاج المصنوع من الخارج . أنظر: عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص258.

² الجزنائي، المصدر السابق، ص 50 - 51.

³ عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 162 .

الماء فيه، تتطلب حركة الجريان والماء إثني عشر ساعة وهي مدة النهار أو الليل، ولكي يستمر ينبغي إعادة العملية السابقة وملئ الماء من جديد¹.

ساعة اللجائي :

أنجزها عبد الرحمن بن سليمان اللجائي بطلب من السلطان المريني أبي سالم ابراهيم سنة 762هـ/1361م، صممت في غرفة صغيرة تتكون من 24 طاقا بأبواب خشبية في أسفلها طاسات تتصل بها قنوات تمر من خلالها كرات تدفعها لوحة خشبية لتعلن دخول الوقت، يتم عمل هذه الماكنة بداية من تسرب الماء في القناة التي تمر فوق الطاقات وفي الوقت نفسه تتحرك اللوحة الخشبية بجبل باتجاه طاق من الطاقات وعند وصولها إليه يفتح بابه وتخرج كرة حجرية وتسقط في الطاس مذبعة بذلك دخول وقت ساعة من الساعات².

ساعة ابن الفحام التلمساني :

أخذت بأمر السلطان المريني أبي عنان لمعرفة المواقيت سنة 758هـ/1357م قام بصنعها المؤقت علي بن أحمد المعروف بابن الفحام في مقابل باب المدرسة البوعنانية، تتكون حسب ما ذكر الجزنائي من طيقان وطسوس نحاسية يستدل على دخول كل ساعة من الوقت بأن تسقط صنجة في طاس وتفتح طاق محدثة بذلك صوتاً³.

ساعة خزانة المنجانة بتلمسان :

هي آلة عجيبة ذات تقنية عالية أنشئت في قصر المشور ينسب صنعها الى ابن الفحام ورد ذكرها عند يحيى بن خلدون بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف سنة 763هـ/1362م، وهي عبارة عن أيكة عليها طائر يحمل اثنين من فراخه تحت جناحيه يخرج ثعبان من ثقب في أسفل الأيكة ويبدأ في الصعود نحو الفراخ ثم ينقض

¹ الجزنائي، المصدر السابق، ص 51 .

² رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 361 .

³ الجزنائي، المصدر السابق، ص 53؛ نَجْد المونوي، ورفات عن حضارة المرينيين، ص 360 .

على أحدهما في حين يقوم الطائر بالتصفير لإخافة الثعبان وفي هذه الأثناء تفتح الساعة بابا وتخرج منه فتاة تحمل في يدها اليمنى ورقة مسجل فيها رقم الساعة¹.

الساعة الرملية بتلمسان :

ساعة بسيطة شكلت من إنائين من زجاج يتخذان شكل القمع ملتصقين ببعض بشكل عمودي ومتصلين من خلال فتحة يمر عبرها الرمل من الإناء العلوي الى السفلي ، تقوم الساعة بعملها عند وضع كمية معلومة من الرمل في الإناء العلوي تكون المدة التي تستغرقها كي تمر الى الوعاء السفلي معروفة وبذلك يتم معرفة الوقت ، وعند مرور الرمل بكامله الى الأسفل يتم قلب الإنائين بحيث يصبح السفلي علويا والعكس وهكذا يستمر تحديد الوقت، تستعمل في قياس أربع ساعات والساعة الواحدة ونصفها وربعها².

¹ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 39-41.

² نصيرة عزرودي، ابتكارات مغرب أوسطية - فن صناعة الساعات خلال العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، 2017، ص 27 .

الفصل الرابع : الحرف والصنائع - التنظيم والأدوار-

أولا : تنظيم ومراقبة الحرف والصنائع

أ. الأسواق وأنواعها

ب. جهاز الحسبة ووظائفه

ثانيا : أدوار الحرفيين والصنائع

أ. الدور السياسي والعسكري

ب. الدور الاقتصادي والاجتماعي

ج. الدور الحضري والعمراني

أولاً : تنظيم ومراقبة الحرف والصنائع

أ/ الأسواق وأنواعها :

مثلت الأسواق واجهة اقتصادية لدول المغرب الاسلامي، لذا اكتسبت أهمية كبرى عندهم وحظيت من طرفهم بكافة أشكال الاهتمام والتنظيم، وقد كشفت النصوص عن أنواع مختلفة من الأسواق ظهرت على الساحة التجارية في الفترة الوسيطة عموماً :

الأسواق المؤقتة :

وهي التي تنظم في أوقات وأماكن محددة ومعلومة، وأكثرها يكون عند أبواب المدن وخارج أسوارها أي في الفضاءات الواسعة أو في القرى والمناطق البعيدة عن المدن¹ ، منها :

- الأسواق الأسبوعية التي تقام في يوم مخصص من أيام الأسبوع كالاثنين أو الجمعة أو الأحد ويصير ذلك اليوم اسمها الذي تعرف به² .
- الأسواق الموسمية تنظم في المناسبات والأعياد والمواسم المختلفة في السنة، قد تنظم في يوم واحد وممكن لمدة أسبوع وقد تصل إلى أسبوعين أو لشهر³ .

الأسواق اليومية (الدائمة) :

هي الأسواق المقامة داخل المدن تمارس نشاطها التجاري بشكل يومي ومستمر، يلحظ وجودها في سائر مدن المغرب الاسلامي خاصة الكبرى منها وذات الثقل الديمغرافي والعمراني⁴ ، وقد كان من الطبيعي أن تنشأ الأسواق وسط التجمعات السكانية ليتسنى للسكان الابتضاع والتسوق عن قرب دون الحاجة إلى التنقل خاصة أن مختلف أصناف السلع والمنتجات كانت متوفرة فيها .

¹ كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2011، ص 49 .

² ابراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002، ص 99 .

³ السيد أبو مصطفى كمال، المرجع السابق، ص 296؛ كريم عاتي الخزاعي، المرجع السابق، ص 55 .

⁴ ابراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي ، ص 98 .

وقد أشارت المصادر إلى الأسواق الموجودة بالمدن وأكثر من الأوصاف الدالة على مدى حركيتها وازدهارها، وسنتعرف هنا على هاته الأسواق من خلال النصوص المصدرية :

المصدر	الاستدلال المصدري	المدينة
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص244.	لها أسواق عامرة	مكناس
الحميري، الروض المعطار، ص544 .	فيها الأسواق الحفيلة	
ابن غازي، الروض الهتون، ص9 .	بها نفقت الأسواق وقويت التجارة	
الحميري، الروض المعطار، ص319 .	لها أسواق نافقة وتجارات	سلا
ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص358 .	بناء الديار حواليتها والأسواق	رباط الفتح
الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص529.	لها أسواق وضاع	طنجة
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص234	أسواقها مختلفة وسلعها نافقة	مراكش
الحميري، الروض المعطار، ص540.	أسواقها نافقة	
ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص75.	والأسواق التي ثمرات كل شيء إليها قد جيب	فاس
الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص246 .	أسواقها مختلفة مخصص للحرف	
الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص532.	فيها أسواق وصناعات	بادس
الأنصاري، اختصار الأخبار، ص36 ، ص37.	بها مئة واثنين وأربعين سوقا واحدى وثلاثين تربية	سبتة
العمرى، مسالك الأبصار، ج4، ص103.	لها أسواق ضخمة	تلمسان
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص248.	اشتهرت بنفاق أشغالها ومرابح تجارتها	
العبدري، الرحلة العبدرية ، ص28.	بها أسواق قائمة	
الادريسي، نزهة المشتاق، ج1 ، ص260 .	تجارتها مريحة وأسواقها قائمة	الجزائر
الحميري، الروض المعطار، ص163 .	لها أسواق	
الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج1، ص271	لها أسواق	مستغانم

	الحميري، الروض المعطار، ص 558 .	
مازنة	الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص272	لها أسواق عامرة
هنين	الادريسي، ج2، ص534 .	لها أسواق وبيع وشراء
وهران	الحميري، الروض، ص 612،613	بها أسواق وصنائع كثيرة وتجارات نافقة
بجاية	الادريسي، ج1، ص260	والبضائع نافقة
	الوزان، وصف افريقيا، ج2، ص50.	أسواقها جميلة ومنسقة

يظهر الجدول توزيع الأسواق الموجودة بفضاء المغربين بشكل دائم عبر مدنه من خلال اشارات مصادر فترة الدراسة، وهي وإن لم تكن معطيات احصائية لكنها ذات درجة كبيرة من الفائدة في معرفة مدى نشاط هاته الأسواق وحركيتها التي تتباين بتباين المستوى العمراني والاقتصادي للمدن المذكورة ودرجة استقطابها للناس من كل الأماكن .

ب/ جهاز الحسبة ووظائفه:

ورد مفهوم الحسبة عند المفكرين المسلمين بمعان متباينة كل حسب زاوية رؤيته للموضوع فهناك من يقصر معناها على الجانب الشرعي وهناك من يعرفها باعتبارها علما وآخر باعتبارها تكليفا وولاية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الماوردي بقوله : " هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله"¹، في حين ورد عند حاجي خليفة بأنها "علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البد من معاملاتهما التي لا يتم التمدن بدونها ... وعن سياسة العباد بنهي عن المنكر وأمر بالمعروف ... بحسب ما رآه الخليفة من الزجر والمنع"²، وفي المقابل اعتبرها ابن خلدون "وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك..."³ .

¹ الماوردي، المصدر السابق، ص 315.

² حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص 15 .

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 280-281.

ويتبين من التعاريف السابقة أن الحسبة تأخذ أصلها من مبدأ من مبادئ الدين الحنيف وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹، وإن كانت فرض كفاية على كل مسلم فإنها واجبة على الوالي و السلطان، تخول لمن يتولاها المحافظة على الآداب العامة ومراقبة الوظائف والمهن وإحقاق الفضائل والعدل أي أننا نتحدث عن الحسبة باعتبارها وظيفة من وظائف الدولة وهي تشمل مجالات عدة وأعمال واسعة²، ما يهمنا منها ما يتعلق بمراقبة السوق وأحوال الصنائع والحرف. ونظرا للمكانة التي احتلتها هاته الوظيفة فقد ألفت فيها الكتب والمصنفات بشكل كثيف سواء في مشرق العالم الاسلامي أو في مغربه وقد أصبحت هذه التصانيف مراجع هامة لكل ممارسي هاته الولاية خاصة ما تعلق بالجانب التطبيقي منها³، كما نالت اهتمام العلماء لذا حددوا مجموعة من الشروط الواجب توفرها فيمن يتولاها من بينها :

الاسلام : فلا يجوز تولية غير المسلم ، لأنها بالأساس وظيفة شرعية تهدف إلى تطبيق مبادئ هذا الدين وقمع كل من يخالف ذلك ، وهذا لا يتوفر في غير المسلم⁴ .

العلم : يجب أن يكون عالما بأحكام الشرع متفقهها في الدين، وعارفا بأحوال الصنائع وحيل التجار ومختلف أساليب الغش والتدليس⁵ .

¹ ومن ذلك قوله تعالى في محكم تنزيله "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" سورة آل عمران، الآية 110؛ "وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" سورة آل عمران، الآية 104.

² موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 70-71؛ حسين شنيبة، الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح الاسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية، إشراف محمد عبد الحليم بيوشي، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر 1، 2011-2012، ص 15 .

³ من بين المدونات التي ألفت في الغرب الاسلامي : أحكام السوق ليجي بن عمر الكتاني (ت289هـ) وهو أقدم ما ألفت في الحسبة ، بين في كتابه هذا مسائل الحسبة وأحكامها وعديد من القضايا والمعاملات؛ آداب الحسبة والمحتسب وهي رسالة من تأليف ابن عبد الرؤوف (ت424هـ)؛ رسالة في القضاء والحسبة لابن عبدون (ت527هـ)؛ رسالة الحسبة للجرسيفي . وقام ليفي برونفسال بنشر هاته الرسائل مجتمعة بعنوان ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب؛ في آداب الحسبة للسقطي المالقي (ق6هـ) وهو من الكتب التطبيقية حيث نال السقطي ولاية الحسبة والإشراف عليها بنفسه فضمن خبرته وإرشاداته في هذا الكتاب؛ المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها لابن الحاج العبدري الفاسي (ت737هـ) استرسل فيه المؤلف في عرض قضايا الحسبة بشكل كبير؛ تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المنكر للعقباني التلمساني (ت871هـ) جمع فيه أقوال الفقهاء والشواهد التاريخية التي عاصرها .

⁴ حسين شنيبة، ص 113.

⁵ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 65؛ السقطي، المصدر السابق، ص 5 .

العدالة : هي الاستقامة والاستواء وذلك بحسن المعاملة والمحافظة على القيم واجتناب الكبائر، وبذلك لا يمكن تولية الشخص الغير سوي لأنه من غير المعقول أن يأمر هكذا شخص الناس بالمعروف وينهى عن المنكر وهو فاقد الأهلية¹ ومن ذلك قوله تعالى في كتابه الكريم " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"² وهذا رأي طائفة من الفقهاء .

1/ فريق العمل في خطة الحسبة

المحتسب : المسؤول الأول عن مراقبة السوق وتفقد أحواله يطلق عليه "صاحب السوق" أو "ولي السوق" أو "صاحب الحسبة"³ .

العريف (الأمين): هو شيخ كل حرفة لذا نجد عريف البنائين، عريف الفخارين ... يعينه المحتسب أو يختاره الحرفيون على رأسهم ويكون ذا خبرة بالصناعة ملما بجزئياتها وهو المسؤول عن أصحاب الحرفة التي ينتمي إليها وكل ما يحيط بها وبذلك يسهل عمل المحتسب في مراقبة عمل هؤلاء⁴ .

الكاتب : وهو المعني بالدفاتر وترتيبها وحملها من مكان لآخر ويسجل أسماء الحرفيين والتجار وما لهم وما عليهم من حقوق أو عقوبات إلى غير ذلك⁵ .

العيون: وهم من يتحسسون أخبار السوق ويطلعون المحتسب عليها في أسرع وقت ممكن تحسبا لانتخاذ الإجراءات المناسبة والتدخل قبل فوات الأوان، وقد ذكرهم الشيزري من بين الأعوان اللائي ينبغي للمحتسب أن يستعين بهم "ويتخذ له عيوناً يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوق"⁶ وهكذا لا يخفى عليه شيء من أحوال السوق.

¹ حسين شنينة، المرجع السابق، ص 119.

² سورة البقرة، الآية 44.

³ محمد علي أحمد قويدر، التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، دت، ص 91.

⁴ ابن بسام، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تج: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 297؛ نافذ سويد، الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، دمشق، دت، ص 153.

⁵ الشيزري، المصدر السابق، 223.

⁶ نفسه، ص 215.

الغلمان : لا يختلف دورهم كثيرا عن العيون يوظفهم المحتسب كطعم ليثبت على الجاني المخالفة من غش وتدليس وغيرها، يبعث بهم إلى الدكاكين ليشتروا من عندهم وإن وجد عيبا في المادة تأكد لديه ذلك وتصرف على نحوها¹.

الشرطة : يعتمد عليهم المحتسب كقوة زجرية في تطبيق الأحكام يتولون الحراسة والقبض على المخالفين وإزالة المنكرات وأشكال الفساد².

وتحتفظ لنا النصوص المصدرية بعدد من أسماء من تولوا هذه الولاية مثلما هو موضح في الجدول التالي:

المحتسب	المدينة	المصدر ، المرجع
عبد الملك بن مروان اللمتوني (ت571هـ/1175م)	مراكش	ابن الزيات، التشوف، ص238.
ميمون بن علي الخطابي (ت627هـ/1230م)	مراكش	ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج8 ص389.
أبي فارس عبد العزيز البلزوزي المكناسي (ت697هـ/1297م)	فاس	ابن أبي زرع، الأنيس، ص282.
غالب بن علي اللخمي (ت741هـ/1340م)	فاس	ابن الخطيب، الاحاطة، ج4، ص242.
ابن علي محمد الشقوري الغرناطي (ت741هـ/1340م)	فاس	ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص75.
أبا الضياء الهاشمي الجزيري	آسفي	ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص72.
علي بن أحمد الكفاد السبتي	فاس	ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص80.
أبي عبد الله ابن أبي الجهار	سبتة	عبد الرحمان الفاسي، خطة الحسبة، ص89.
أبو الحسن علي اللجائي	/	ابن قنفذ، أنس الفقير، ص77.

¹ المقري، نفع الطيب، ج1، ص219.

² حسن شنيعة، المرجع السابق، ص149.

وبالنسبة للأمناء لا تدعمنا المصادر بأسماء بعض من شغلوا هاته الرتبة وكانوا على رأس صنائعهم في المغربين الأوسط والأقصى ، وبالكاد عثرنا على نماذج منهم وهم كالتالي:

الأمين (عريف الصناعة)	المدينة	الطائفة	المصدر، المرجع
مُحَمَّد بن عباد (ت792هـ/1391م)	فاس	الاسكافين	الخلايبي، الحرف والصنائع، ص 420 .
أبو زيد عبد الرحمان بن مُحَمَّد عبد الله ابن النجار(ق7هـ/13م)	تلمسان	الحاكة	ابن مرزوق، المناقب، ص 188-189.
سيدي مومن	فاس	الفخارين	لوتورنو، فاس في عصر بني مريني، ص144. الخلايبي، الحرف والصنائع ، ص420.

2/ الأصناف والطوائف الحرفية :

نظام الطوائف هو تكتل مهني يجمع بين أبناء الحرفة الواحدة في مدينة معينة يكفل لهم حقوقهم ويضمن سير عملهم بشكل مقنن وفقا للنظام العام والقوانين المعتمدة آنذاك ، ساد هذا النظام في مختلف المدن الاسلامية خلال العصر الوسيط¹، أي أنه بمثابة تجمع نقابي ينسق بين السلطة والإدارة المعنية وبين أصحاب الحرف وهذا ما قال به عدد من الباحثين كلويس ماسينون الذي اعتبر التنظيمات الحرفية مؤسسة نقابية تتمثل وظيفتها في تنظيم الحرفة وحفظ أسرارها²، أما غويتاين فيرى أنها اتحاد لأصحاب المهن هدفه الحفاظ على مستوى الحرفة³.

يتلخص دور التنظيم الحرفي في :

الأمناء (العرفاء): كما ذكرنا سابقا هم المسؤولون المباشرون أمام (المحتسب) ممثلين لحرفتهم ومحتفيها، تتمثل مهامهم في : القيام بتوصيل مشاكل الحرفيين إلى الجهات المعنية بالسلطة، و الوقوف على الصناعة وأحوالها ومدى تطبيق الصناع لشروطها وقواعدها وإلزامهم بالواجبات المترتبة عليهم، وكذلك حل الخلافات والنزاعات التي تقع بين الحرفيين، والتدخل في تحديد الأسعار مع المحتسب و المساعدة في تحصيل الضرائب، إضافة إلى الرجوع إليه

¹ صباح الشبخلي، المرجع السابق، ص 69 .

² Louis massignon, Islamic Guilds, Encyclopdia of social sciences, vol 7, new york. 1954, p 215.

³ صباح الشبخلي، المرجع السابق، ص 73.

فيما يخص شؤون صنعته ومشاورته فيها، مساعدة المحتسب في عملياته التفتيشية بالأسواق والورشات، وأخيرا حماية الصناعة من الغش وتردي الإنتاج¹.

أرباب الصنائع والمعلمين : من مهامهم

- تعليم التلاميذ أبجديات الصناعة حتى يتمكنوا منها ويتقنوها .
- الوقوف على سير الأعمال .
- إفادة الصناع والحرفيين بخبرتهم الطويلة في الصناعة².

الصناع الأجراء : هم من تعلموا الصناعة وأصبحوا حذقين متقنين لها، يعتمد عليهم أصحاب الورشات في العمل وتجهيز المنتوجات مقابل أجر معلوم³.

التلاميذ : هم المبتدؤون الذين يودون تعلم الصناعة واكتشاف أسرارها لذا يلتحقون بدكاكين الصناع أو ورشاتهم، ليحرف المعلمون على تعليمهم ويصبح لهم دور بمكان العمل قد يتلقون أجرا في مقابله⁴.

الخدم والغلمان : يتمثل عملهم في :

- توصيل المنتوجات والمصنوعات إلى أصحابها سواء إلى المنازل أو إلى الدكاكين التي تطلبها .
- قضاء حاجيات صاحب العمل كأن يشتري له شيئا معيناً من السوق أو يوصل خبر ما لصاحبه أو يستجلب مواد تخص العمل⁵.

3/ التخصص في الحرف :

أصبح تقسيم المدن وشوارعها على الحرفيين والصناع نمطا سائدا ومعروفا في المدن الاسلامية، حيث يختص كل درب بصناعة أو عرض سلعة معينة في مختلف الدكاكين فيه ويصبح ذلك الشارع سوقا يوميا مستمرا مختصا

¹ نافذ سويد، المرجع السابق، ص 153؛ زمان عبيد وناس، التنظيم الحرفي والجماعات الحرفية العاملة في مدينة مراكش خلال عصري المرابطين، مجلة الباحث، مج16، ع9، العراق، 2015، ص 09.

² لخضر بلعربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزبانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع 4، 2013، ص 330.

³ نفسه، ص 330.

⁴ صباح الشبخلي، المرجع السابق، ص 121.

⁵ لخضر بلعربي، المرجع السابق، ص 330.

في تلك السلعة ويحمل اسمها دائماً¹. وبما أن مدينتي فاس وتلمسان وردت فيهما إشارات من النصوص على هاته الأسواق أكثر من المدن الأخرى فارتأينا أن نعدد أسواقهما كنماذج عن مدن المغربيين ككل (أنظر الملحقين رقم 19، 20) :

أسواق فاس :

السوق	الموقع	المصدر، المرجع
الصفارون	شرق جامع القرويين	- الوزان ، وصف افريقيا ، ج1 ص 233 - 239 . - روجيه لوتورنو ، فاس في عهد بني مرين ص 28-29 . - عبد اللطيف الخلافي ، الحرف والصنائع ، ص 375 - 379 . - هالة عبد الرازق ، أسواق فاس في العصر المريني ، ص 76 - 81 .
الخرازون	جنوب جامع القرويين	
سوق الغزل	بعدة القرويين	
الشراطون	عند باب السلسلة	
القرافون	عدوة القرويين	
الصاغة	قريب من مدرسة العطارين	
العطارون	بقرب مدرسة العطارين	
النجارون	/	
القلالين	عند باب الفتوح	
سوق الدخان	عند باب الشريعة	
الشماعون	غربي جامع القرويين	
الخزفيون	باب الفتوح	
الكغادين	/	
العشابين	عدوة القرويين	
الراجون	/	
الخراطون	رحبة القيس	
المشراطون	رحبة القيس	
الساحين	/	
الزياتين	/	

¹ كرم عاتي الخزاعي، المرجع السابق، ص 68.

	حي العشابين	الدقاقون
	سوق القصر	الحدادين
	وسط عدوة القرويين	سوق القيسارية

أسواق تلمسان :

المصدر، المرجع	الموقع	السوق
<p>- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج2، ص48.</p> <p>- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ص 134 - 135.</p>	قرب باب زير	الحدادين
	جهة باب الحديد وشمال باب زير	الصفارين
	قرب مسجد أبي الحسن	الصاغة
	عند مسجد أولاد الامام	
	عند باب القرماديين	الفخارين والخزفيين
	بريض العباد	الصباغين
	بالقيسارية	الخزازين
	بجي القبابين	الخياطين
	/	العطارين
	/	السراجين
	جنوب المسجد الكبير	سوق الغزل
	درب شاكر	الحاكة
/	النحاسين	

4/ أشكال الرقابة من طرف مؤسسة الحسبة :

تجري شروط النظافة :

من بين المهام الأساسية للمحتسب في السوق وغيره مراعاة شروط النظافة عند ممارسة الحرفيين لعملهم خاصة الحرف والصنائع التي تنتج قوت الناس وغذائهم اليومي وذلك حرصا على سلامة السكان وضمان سير العملية الاستهلاكية في أحسن الظروف وفق قواعد وإرشادات مناسبة وردت في كتب الحسبة نذكر من بينها :

- الرقابة على عملية تحضير الخبز بداية من نخل الدقيق جيدا لمنع اختلاط الحصى والتراب به، ثم الماء الذي يعجن به والغطاء الذي يغطي به وصولا إلى تنظيف المكان وهو الفرن وتنقية أواني العجن والابتعاد عن الأماكن القذرة.
- إلزام الطباخين وصانعي الحلويات بتنظيف أبدانهم وتغطية رؤوسهم وتنظيف أوانيهم وتغطيتها¹.
- توخي الحذر في استعمال الأنياب النحاسية في تخزين وكيل بعض المواد مثل الزيوت لأنها تحضر وتتأكسد وتفسد².

الحرص على جودة المصنوعات وتفادي سبل الغش :

من أبرز واجبات المحتسب في السوق ضمان توفر السلع ذات الجودة العالية والوقوف في وجه بعض الممارسات التي تحد منها وكذا كافة مظاهر الخداع والاحتيال من بينها :

- أ . خلط الرديء بالجيد وهي ظاهرة وجدت لها مكانا بين الصناع ومن بين الأمثلة على ذلك :
- رديء القمح مع جيده سواء عند طحنه وبيعه دقيقا أو عجنه وبيعه خبزا³.
- رديء الزيت مع جيده، حيث يخلط الزيت درجة ثانية أو ثالثة مع زيت ممتاز، أو يضاف إلى الزيت سوائل أخرى تزيد في مكياله مثل الماء⁴.

¹ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 89، 91؛ ابن الحاج، المصدر السابق، ص 156؛ ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 152.

² ابن عبدون، المصدر السابق، ص 107.

³ السقطي، المصدر السابق، ص 21.

⁴ ابن عبدون، المصدر السابق، ص 105.

- خلط النحاس الأحمر بغيره¹ .
 - خلط الذهب والفضة بالنحاس² .
- ب . إخفاء العيوب : هي محاولات غشية تهدف إلى تجميل القبيح و ذو العيب وإظهاره في صورة السليم مثل :
- طلاء المصنوعات الفخارية والخزفية المشقوقة أو المثقوبة بطلاء أو معجون أو كلس لإخفاء عيوبها³ .
 - استعمال القصارة على الأثواب القديمة للتحايل على الناس وإيهامهم بأنها جديدة⁴ .
 - رش وجه الخبز بالعسل أو الزيت⁵ .
- ج . الغش في الأوزان : حرصا من المحتسب على تفادي كافة أشكال الغش في الأوزان وضروب التطفيف لذا فرض مجموعة من التدابير والشروط عند ممارسة عمليات البيع مثل:
- إلزام الباعة اتخاذ كفات معدنية عند عملية الوزن لأنها أسلم من الزيادة والنقصان، وبدرجة أقل استعمال كفات العود والابتعاد عن الكفات الحجرية لأن الأشياء الرطبة تلتصق بها⁶ .
 - ضرورة اختيار موازين معدلة ودقيقة يقول السقطي " أحق الموازين ما كان ثقبه في قصبته وكان الثقب موسع الجهتين مشرك الوسط يعمه المسمار وأخسرها ما كان ثقبه في اللسان أو كان قصبه غير مشرك الوسط أو كان مسماره رقيقا بالإضافة إلى ثقبه وإيقاعه بها..."⁷
 - ضرورة اتخاذ مكايل وصنوج من حديد مع الاشتراط أن تكون خالية من الإضافات الرصاصية عليها لأنها ربما تزول منه ويحصل التدليس⁸ .

¹ ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 231.

² الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 129.

³ ابن الأخوة، المصدر السابق، ص 325.

⁴ ابن الحاج، المصدر السابق، ج4، ص 17.

⁵ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 90.

⁶ نفسه، ص 100.

⁷ السقطي، المصدر السابق، ص 14.

⁸ ابن عبد الرؤوف المصدر السابق، ص 99.

الأوزان والمكاييل والمقاييس المستعملة:

الأوزان :

القنطار : وحدة وزن للأشياء الكبيرة يساوي مئة رطل، والأصل أنه اسم لجملة من المال، يختلف باختلاف تركيبة المواد الموزونة يعادل عشرة آلاف دينار ذهبي¹.

الرطل : أكثر وحدات الوزن استعمالا في المغرب الاسلامي يختلف وزنه حسب المادة الموزونة وحسب كل منطقة، فهناك رطل فاس ورطل تنس ورطل مراكش لذا نجد رطل بوزن 448 غ وآخر بوزن 504 غ وآخر يزن 567 غ وهكذا².

الأوقية : حدد الوزن الشرعي لها بأربعين درهما أي ما يعادل 102 غ³، في حين شهدت في بلاد المغرب اختلافا في وزنها من منطقة لأخرى فتوجد مثلا أوقية تساوي 21 درهما⁴ وأوقية تعادل 15 درهما⁵.

المثقال: استعمل وحدة لوزن الذهب والأشياء الثمينة يصل وزنه إلى 4.72 غ، ثم صار اسما للدينار الذهبي⁶ وهذا وهذا ما يلحظ في النوازل التي ورد ذكره فيها .

القيراط : يساوي 24/1 من الدينار (المثقال) ما يعادل ثلاث حبات من الشعير المتوسط، يقال أن الكلمة أصلها أعجمي ثم عربت وهي مأخوذة من قرط عليه معناها أعطاه قليلا قليلا⁷.

حبة الشعير: هي وحدة رئيسية في تحديد مقدار الدينار والدرهم في الشرع، يقدر وزن المتوسط منها بحوالي 0.059 غ أو 0.05 غ⁸.

¹ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية ومايعادها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، 1970، ص40.

² مسعود كربوع، نوازل النقود والمكاييل والموازين ، ص 147، 149.

³ فالتر هنتس، المرجع السابق، ص 19.

⁴ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 177.

⁵ البكري، المصدر السابق، ص 89.

⁶ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 150.

⁷ عبد الكريم بصدقي، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع ما بين القرنين 6-9هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ

الوسيط، إشراف فاطمة بلهوارى، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران1، 2017-2018، ص 204 .

⁸ نفسه، ص 204.

الخروبة : لا تتعد كثيرا عن وزن القيروط بل إن فالتر هنس جعلهما متساويين أي أنها تساوي 24/1 من وزن الدينار¹، في حين ورد عند البكري أنها تعادل وزن أربع حبات شعير².

المكاييل

الوسق : مكيال كبير القدر يساوي ستون صاعا³.

القفيز : استعمل لكيال الحبوب والسوائل كالزيت مثلا، يرى المقدسي أنه يساوي 196 مدا نبويا، وقد ظهرت له أجزاء لتسهيل التعامل بها كنصف القفيز وربع القفز وثمان القفيز⁴.

الصفحة : يختلف مقدارها من مكان لآخر ومن فترة لأخرى فنجدها في منطقة تقدر بخمس وعشرين مدا نبويا وفي أخرى بخمسة عشر مدا بل وتصل إلى مئة وأربع وأربعين مدا في منطقة أخرى⁵.

القسط : مكيال لكيال السوائل يقال أنه يساوي نصف صاع، سجل حضوره في مختلف النصوص⁶.

القدح : اتخذ في تحديد مقدار الزكاة وهذا ما تدل عليه إحدى النوازل حين سئل أبو عبد الحفار عن مقدار الزكاة في وقته نقدا ووزنا ومكيالا، وبالنسبة للكيال أجاب " وتجب الزكاة في أقداحنا اليوم في أربعين قدما كيلا لا وزنا"⁷، اختص بكيال الحبوب قيل أنه يساوي 24 مدا نبويا ويزن 32 رطلا⁸.

الصاع : هناك اتفاق من الجمهور أنه يساوي أربعة أمداد بمد النبي ﷺ، ذكره كل من الدرجيني وابن أبي زرع من بين أدوات الكيل المستعملة آنذاك كان يسمى في العهد الموحد بالسطل⁹، وورد ذكره عند الونشريسي الذي أكد أنه يساوي أربعة حفنات¹⁰.

¹ فالتر هنتس، المرجع السابق، ص 29.

² البكري، المصدر السابق، ص 60.

³ الحكيم، المصدر السابق، ص 143؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 172.

⁴ المقدسي، المصدر السابق، ص 240؛ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 185، 186.

⁵ نفسه، ص 188.

⁶ عبد الكريم بصدیق، المرجع السابق، ص 200.

⁷ الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 397.

⁸ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 120.

⁹ صابر عبد المنعم البلتاجي، المرجع السابق، ص 303.

¹⁰ الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص 398.

المد : أكثر المكايل حضورا وشهرة في المغرب الاسلامي عموما والذي عرف بدوره نوعين من المد المد القروي (المغربي) والمد النبوي ، يتفوق هذا الأخير عن الأول بقدر مختلف فيه فذكر البعض أن عشرة أمداد نبوية تساوي اثني عشر مدا قرويا¹ ، في حين ذكر الونشريسي بأن المد النبوي يساوي مدا وثمان مد قروي² ، وبالنسبة للوزن حدد الحد الحكيم وزن المد برطل وثلث³ ، وعند البكري يزن ثمانين أوقية⁴ ، أما الشاطبي فجعل مقداره ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما⁵ .

البرشالة : اختصت بها تلمسان في العهد الزياني حدد ابن خلدون مقدارها باثني عشر رطلا ونصف⁶ ، غير أن يحيى بن خلدون ذكر أن وزنها يقدر بثلاثة عشر رطلا⁷ .

المقاييس :

الذراع : شاع استخدامه في الأسواق خاصة في سوق الأقمشة يختلف من شخص لآخر، يحدد من طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى، ظهرت محاولات ضبط المقاييس من طرف الحكام مثلما حدث مع السلطان أبي عنان الذي وضع مقاسين لذراعين محددتين وطلب من الناس العمل بهما، الذراع الأول ألصق داخل مكتب المحتسب بفاس رسم على رخامة بيضاء طوله 46 سنتيمتر⁸ ، والثاني وضع في سوق العطارين مرسوم أيضا على رخامة بيضاء طوله 55 سنتيمتر⁹ ، و نفس الأمر قام به السلطان الزياني أبو تاشفين الذي وضع مقياسا عاما للتجارة وهو ذراع بطول 47 سنتيمتر في سوق القيسارية¹⁰ .

¹ مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 115.

² الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 73.

³ الحكيم، المصدر السابق، ص 146.

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 117.

⁵ الشاطبي، فتاوى الامام الشاطبي، تح: محمد ابو الأجنان، نيج لواز، تونس، ط2، 1985، ص 133.

⁶ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 95.

⁷ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 14.

⁸ محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 141.

⁹ نفسه، ص 141.

¹⁰ حسين نشيطو، علم المقاييس في المغرب الأوسط من بداية الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الثامن، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، إشراف صالح بن قرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص 59.

العروة : من وحدات القياس الكبيرة يصل طولها إلى حوالي 25 ذراعاً¹ .

الشبر : هو المسافة ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، يقدر ما بين 21 سم إلى 23 سم² .

الحبل : وحدة لقياس المسافات والمساحات الكبرى والمتوسطة يقدر بحوالي ستون ذراعاً³ .

التسعير :

من جملة صلاحيات المحتسب ومن مهامه الأساسية مراقبة الأسعار من أجل رفع الغبن على المجتمع وتحقيق العدالة والتحصيل الأمكن للأقوات والضروريات من السلع والمنتجات بمحاربة الغلو في الأثمان⁴، ولكي يتم ذلك ذلك ينبغي أن يكون المحتسب على معرفة بثمن التكلفة التي تتطلبها السلعة والثمن الذي يشتري به البائع ومستوى الربح الذي يحصل عليه ليحدد بذلك السعر ومقدار الربح⁵ .

وفي الحقيقة لا يجب على المحتسب أن يجبر الباعة على التسعيرة وتحديد مقدار ربحهم لأن هذا إجحاف في حقهم وهدرًا لمجهوداتهم وإنما يكون ذلك عن رضا وتشاور بعد الاجتماع معهم وإن حصل العكس فإن ذلك يؤدي إلى "فساد الأسعار وإخفاء الأقوات وإتلاف أموال الناس"⁶ .

كما أن الأسعار في الغالب تتحدد حسب أهميتها وحسب وفرتها أو قلتها وأيضاً درجة الإقبال عليها و المستوى المعيشي بالمدينة، وحسب الأوضاع والظروف التي تمر بها الدول خاصة أيام الجوائح والكوارث الطبيعية وأيام الحروب وما تسببه من تناقص في الأقوات وبالتالي ارتفاع الأسعار، ناهيك عن دور السياسة الضريبية الجائرة والتحصيل الجبائي⁷ .

لذا لا يمكن للمحتسب السيطرة على أسعار الأسواق في هكذا ظروف وأحوال، لكن يتعين عليه محاربة بعض السلوكيات التي تساهم في التأثير بصفة مباشرة على الأسعار مثل الاحتكار وهو خزن السلع حتى تقل

¹ عبد الكريم بصدیق، المرجع السابق، ص 210.

² حسين نشيطو، المرجع السابق، ص 112.

³ صابر عبد المنعم البلتاجي، المرجع السابق، ص 306.

⁴ حسين شنينة، المرجع السابق، ص 194، 196.

⁵ ابن رشد، البيان والتحصيل، تج: محمد حجي، ج9، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ص314؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 484.

⁶ ابن عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص 73.

⁷ ابن خلدون، المقدمة، ص484-485؛ هالة عبد الرازق، المرجع السابق، ص 158-159؛ كريم عاتي الخزاعي، المرجع السابق، ص، 183-

تعدم في الأسواق ثم يشتد عليها الطلب فيرتفع سعرها كثيرا فيبيع المحتكر بالثمن الذي يشاء لذا وجب على المحتسب أن ينتبه لهؤلاء المحتكرين وأن ينزل عليهم أشد العقوبات لكي لا يضرُوا بالسوق وبجيبوب الناس¹.

تحصيل الضرائب والجبايات:

في العادة تكون هذه المكوس والجبايات غير شرعية تفرضها السلطة خاصة أيام قلة المداخيل لبيت المال وأيام تجهيز الحملات العسكرية، قد تخص فئة معينة أو تشمل شرائح المجتمع ككل ومن بين النماذج على ذلك : مكس الأبواب : يؤخذ على السلع الداخلة إلى المدن ويكون المسؤول عن جبايته متمركزا عند باب المدينة لكي لا يفوته من دخلها من التجار وحاملي البضائع².

ضريبة السك : يدفعها الصرافون الذين يقومون بأخذ المعادن إلى دور السك لتضرب لهم نقودا، فرضت في فترة زمنية معينة³.

مكس المطاحن : ألزم أصحاب الأرحية بدفع ضريبة لقاء استغلالهم لمياه الأنهار التي تعتبرها السلطة ملكا لها، حدث هذا بفاس في عهد بني مرين حيث كان يدفع مقابل كل قنطار يطحن بالمدينة مبلغ محدد⁴.

مكس الدبغ : أشار الوزان إلى أن الدباغين بفاس كانوا يدفعون مبلغا عن كل جلد مدبوغ بحكم استغلالهم لمجرى الوادي الداخل للمدينة⁵.

مكس الأفران: أشار العقباني إلى وجود ضريبة جائرة يأخذها ولي السوق من أصحاب الأفران في عصره⁶.

¹ العقباني، المصدر السابق، ص 133-136؛ بصديق عبد الكريم، المرجع السابق، ص 112، 113.

² الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 152؛ هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1980، ص 92.

³ عبد اللطيف الخلافي، المرجع السابق، ص 342.

⁴ عبد القادر طوبلب، الضرائب والمكوس ببلاد المغرب الإسلامي في عهد الموحدين والدويلات، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة، إشراف أحمد الحمدي، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران 1، 2020-2021، ص 237.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 237.

⁶ العقباني، المصدر السابق، ص 118.

ثانيا: أدوار الحرفيين والصناع

أ/ الدور السياسي والعسكري :

1. دور الحرفيين والصناع في الحياة السياسية :

من الصعب استقصاء تأثيرات فئة الحرفيين على المستوى السياسي بحكم أن الجزء الأكبر منها ينتمي الى طبقة العامة وهي الفئات التي جعلت في أسفل الهرم الطبقي مما جعل التعتيم والطمس يطالها من طرف مؤرخ السلطان ومن الأسطوغرافيا التقليدية¹، بل حتى من النخب السياسية والفكرية على الرغم من مجهوداتهم الواضحة في قيام الدول وبناء المدن وتغيير حركة التاريخ، فظل ينظر إليهم على أساس أنهم طبقة دونية لها تفكير ضال ومنحرف وهذا ما يظهر جليا في عبارات التحقير والازدراء والنعوت القبيحة التي حوتها النصوص عنهم مثل السفلة ، الغوغاء، الدهماء، الأوباش، الأوغاد، الهمج، الرعاع، الجهال، السوقة، الأذال² ، وتأتي هاته العبارات وأكثر بشكل خاص إذا كانت العامة جزءا من حركات المعارضة والتمرد ضد السلطة.

وحتت الأدبيات السياسية والتاريخية على تجنب خطورة هذه الفئات وضرورة إبعادهم عن الحكم لأن "العامة إن قامت لم ترقد وإن طلبت لم تجد" فهي "مجبولة على الفساد وإتباع الأهواء وقلة السداد ، يغلب عليها الشرار والمهرج والاضطرار فإنها إذ أقدرت أن تقول قدرت أن تصول"³ وهم " إذا اجتمعوا ضروا وإذا تفرقوا نفعوا"⁴ نفعوا"⁴

وسنحاول هنا إيراد بعض النماذج عن مشاركة العامة في المجال السياسي حتى في ظل شح المادة المصدرية معتمدين في ذلك على المقاربة والاستقراء :

❖ المؤازرة والمولاة :

يظهر هذا في الولاء والطاعة اللذان أبدتهما قبيلتي كومية ومدبونة لعبد المومن بن علي⁵، والدعم العسكري الذي تلقاه من طرف بني ومانوا إثر توسعته الأولى في المغرب الأوسط⁶.

¹ ابراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الاسلامي، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص27-28، 259؛ أحمد الحمودي، عامة المغرب الأقصى في العصر الموحد، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 21، 31.

² فوزية كرزاز، المرجع السابق، ص 57؛ أحمد الحمودي، المرجع السابق، ص 23-29.

³ الطروش، سراج الملوك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1412، ص108.

⁴ ابن الأزرق، بدائع السلك في طباع الملك، تح: محمد عبد الكريم، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1977، 232.

⁵ البيذق، المصدر السابق، ص 81.

⁶ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحد، ص 19؛ فوزية كرزاز، المرجع السابق، ص75.

وأيضاً في البيعة العامة التي قدمتها كل أطراف المجتمع من حرفيين وصلحاء وجنود وعلماء للسلطان المريني أبي سعيد عثمان والتي أشار إليها ابن خلدون في عبره " واجتمع إليه الناس على طبقاتهم لأداء البيعة " ¹ .
ومن بين أكثر النماذج الدالة على المشاركة الفعلية للحرفيين في الأحداث السياسية الكبرى وذلك بمؤازرة سلطان على حساب آخر يفيدنا التنسي بإشارة جد هامة عن ذلك حيث أن جماعة من الرحويين قاموا بمساعدة السلطان الزياني أبي مالك عبد الواحد من استعادة حكمه بتلمسان على حساب أخيه السلطان السعيد بن أبي حمو، وتولوا إدخاله إلى البلاد خفية في الليل ² .

وهناك أسرة ترجع بأصولها الى العامة وأصبح لها دور مهم في قيام دولة الموحدين وفي مسيرة هاته الدولة وهي أسرة بني جامع بل إن رأس هذه الأسرة أبو اسحاق ابراهيم بن جامع الطليطلي كان من فئة الحرفيين حيث امتهن صناعة النحاس في الأندلس إلى أن عبر إلى المغرب وانضم لابن تومرت في دعوته حتى أصبح من المقربين إليه، وتقلد ابناؤه واحفاده فيما بعد مناصب عليا في الدولة كالوزارة والحجابه وقيادة الأساطيل حتى عهد الخليفة محمد الناصر ³ .

إلا أن أكثر الأسر حضورا وتأثيرا كان بيت بني الملاح الذي سبق وأن تكلمنا عنه، وهو بيت قرطي نزح الى تلمسان مع جملة النازحين بعد سقوط قرطبة بيد النصارى 633هـ / 1235م ونالوا حفاوة الاستقبال من طرف السلطان يغمراسن بن زيان الذي أقطعهم أراضي في مملكته، وما لبثوا أن عينوا للإشراف على دور السك وتصنيع نقود بني زيان، ولعل الكفاءة التي أظهرها جعلت السلطان أبو حمو موسى الأول يسند اليهم مناصب رفيعة في الدولة كالوزارة والحجابه حيث تردد أفراد هذه الأسرة على هذين المنصبين بداية من محمد بن ميمون بن الملاح إلى علي بن عبد الله، وفي الأخير تعرضوا للقتل جراء الانقلاب الذي قام به أبو تاشفين على أبيه أبو حمو وحاشيته ⁴ .

❖ المعارضة :

تكثر الإشارات عند الحديث عن وقوف العامة في وجه السلطة بل والثورة عليها، إلا أن الثورات عموما لم تكن تحت قيادتها ففي الغالب يتأسس الثورة أعيان البيوتات الحاكمة أو شيوخ القبائل أو العلماء والمتصوفة إلا في

¹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 334.

² التنسي، المصدر السابق، ص 234.

³ أنظر: عباس فضل حسين المسعودي، بنو جامع في عصر الموحدين، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، مج 4، ع13، الجامعة الاسلامية، ص 520-530 .

⁴ ابن خلدون، العبر، ج7، المصدر السابق، ص 140؛ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 245؛ رفيق خليفي، المرجع السابق، ص

بعض الاستثناءات، وبطبيعة الحال تنظم العامة إلى الثورة لأن الجماهير تندفع دوماً مع من ترى فيه الأمل ليغير من الأوضاع التي تعيشها¹، وكثيراً ما تدفع هذه الفئة الثمن في كلا الحالتين سواء كانت مع السلطة أو مع الثائرين عليها ومن أبرز الأمثلة :

انتفاضة أهل سبتة بزعامة القاضي عياض ضد حكم الموحدين سنة 541هـ / 1147م وبيعوا حينها المرابطين من جديد قبل أن يسترجع الموحدون مرة أخرى سنة 543هـ / 1149م².

ثورة ابن هود الماسي وهي حركة ذات طابع اجتماعي انطلقت من ماسة بالسوس الأقصى ثم من عدة مدن كدرعة وسجلماسة وسلا وانظمت إليها جموع من قبائل هسكورة ودكالة وحاحة وهيلانة وجراجة وبرغواطة³، ولعل الاستثناء في هذه الثورة أن متزعمها من العامة بل حربي من أسرة حرفية إذ كان يشتغل قصاراً وأبوه خياطاً في مدينة سلا وهذا ما يفسر الأعداد الكبيرة من الناس التي احتشدت وراءه⁴ حتى وصفها ابن عذاري بأنها "جموع لا تحصى"⁵ وهي الفئات التي تضررت من الوجود الموحد بالمغرب الأقصى، وعلى العموم انتهت هذه الثورة بمقتل الماسي وأعداد كثيرة ممن معه بعد حملات متواصلة من طرف الموحدين⁶.

انقسام عامة مدن المغرب الأوسط بين الولاء لبني غانية والولاء للموحدين، ففي بداية الأمر فتحت كل من بجاية مليانة الجزائر مازونة أبوابها لبني غانية دون قتال وأعلنت بيعتها لهم⁷، ثم ما لبثت أن انقلبت عليهم وعاودت وعاودت ولاءها للموحدين بل حتى ساعدتهم في انتزاع عدة مدن منهم فمثلاً في بجاية "ضجة العامة وفتحت الأبواب ودخلت عمائر الأساطيل"⁸، وفي المقابل دفع المواليون لبني غانية الثمن بحياتهم مثلما وصفت النصوص ذلك "وَألم بالرعية الحيف وتقسّمهم الجلاء والسيف"⁹.

¹ الحسين أسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010، ص 312، 320.

² ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين؛ ص 26، 30؛ نجد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، ص 35.

³ البيهقي، المصدر السابق، ص 97؛ مجهول، الحلل المشوية، ص 121.

⁴ أحمد المحمودي، المرجع السابق، ص 188.

⁵ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 31.

⁶ نفسه، ص 31.

⁷ فوزية كرزاز، المرجع السابق، ص 128.

⁸ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 178.

⁹ نفسه، ص 181.

حركة الجزيري بمراكش وضواحيها التفت حوله جموع من العامة سخطا على حكم الموحدين "فمشى ملفوظا يتغرب ويتجول في الأقطار ويسعى في الفساد ... ويلتمس جهالا من العوام يحادثهم"¹ وكان مآل الحركة الفشل كغيرها .

احتجاجات عامة فاس سنة 674هـ / 1276م ضد ارتفاع الأسعار جراء سيطرة اليهود على الأسواق والتجارة والصيرفة، تطورت هاته الاحتجاجات إلى فوضى كبيرة أدت في الأخيرة إلى مقتل ثلاثة عشر يهوديا².

2/ الدور العسكري :

العمارة العسكرية

الأسوار والأبراج :

يعد تسوير المدن ضرورة قصوى في فترة العصر الوسيط لذا عملت الدول الوسيطة على إحاطة مدنها بأسوار منيعة خاصة المدن الكبرى والمهمة وذلك حماية لها ولأهلها من كل خطر أو غزو خارجي باعتبار أن الحروب آنذاك جزء لا يتجزأ من الحياة العامة، وهذا ما تدل عليه كثرة الحصارات على مختلف المدن في بلاد المغرب، ومن بين النماذج التي نوردها بناء سور مدينة مراكش قاعدة المرابطين والموحدين في عهد علي بن يوسف (500-537هـ / 1107-1143م) بعد استشارة الفقهاء حتى أضحى بشكل جديد³، وقد أعجب الوزان بسور المدينة "وجدار السور غاية في الجمال والصناعة مبني من اللبن الكلسي ومن رمل غليظ مخلوط بالحص⁴"، وبنيت أسوار مدينة سلا من الجهات الأربع في عهد المرابطين ثم قام عبد المومن بن علي بدمها سنة 542هـ / 1147م عندما غزا المدينة وضمها إلى حكمه، إلا أن الخليفة يعقوب المنصور أعاد بناء الأسوار إلا الجزء الغربي منها المطل على البحر حتى بناه السلطان المريني يعقوب بن الحق كاستراتيجية تأمين للمدينة بعد

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 207؛ ابراهيم القادري بوتشيش، الاسلام السري في المغرب العربي، ص 195.

² السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 43؛ مولاي الحسن مغار، جوانب من الحياة السياسية للحرفيين خلال العصر المريني، ضمن كتاب الحرف والصنائع بالغرب الاسلامي، منشورات الزمن، الرباط، 2016، ص 146.

³ خلدون مجذ وردات، مدينة مراكش دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف صالح مجذ فياض، كلية الآداب، جامعة جامعة اليرموك، 1999، ص130

⁴ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 127 .

غزوها من طرف القشتاليين سنة 658هـ/1260م، وزود السور ببرج حربي غاية في العلو والعظمة سمي "برج الدموع"¹.

أما أم المدن فاس فقد سورت منذ أيام الأدارسة ثم تعرضت للتهديم في عهد الخليفة عبد المومن بن علي إلى أن تم تجديدها ثانية بأمر يعقوب المنصور ومن بعد مُجدِّد الناصر²، و بالنسبة لفاس الجديد (المدينة البيضاء) التي أنشأها بنو مرين أواخر القرن السابع فقد أحيطت بسورين أحدهما داخلي والآخر خارجي. الداخلي كان من تشييد يعقوب بن عبد الحق اتسم بالصلافة والمنعة في حين السور الخارجي حسب رواية ابن خلدون بأمر السلطان أحمد أبي سالم المريني³، ووصف العمري أسوار المدينتين وأعجب بمنعتهما " أسوار دائرة محصنة ذات بروج وبدنات وجميع أبنيتها من الحجر والآجر والكلس موثقة البناء مشيدة الأركان وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة حيث أن الثانية محاطة بسور واحد من الحجارة والأولى بسورين من الطوب المفرغ بالقلب من التراب والرمال والكلس المضروب وهو أشد من الحجارة ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه"⁴.

وإلى سجل ماسة التي احتفظت بسورها الذي بناه بنو مدار مدة طويلة ويبدو أنه في كل مرة يتعرض للتجديد وإعادة البناء وقد أشار ابن أبي زرع إلى سور المدينة في حديثه عن حصار السلطان المريني أبي يوسف يعقوب ورميه بالمنجنيق⁵، كما أشاد ابن الخطيب بحصانة السور بقوله " ... سورها حصين مشيد"⁶.

وبالمنصورة المدينة التي شيدت لأغراض عسكرية وطموحات سياسية من أجل حصار مدينة تلمسان بعدما استعصت وتمنعت على بني مرين بدأت بسور أحيط بكل مبانيها التي أنشأت في ظل الحصار الشهير الذي قام به يعقوب بن عبد الحق والذي استمر ثمان سنوات، ثم تعرضت للتخريب من طرف بني زيان إلى أعاد أبو الحسن المريني بعثها من جديد وأحاطها بسور سميك وصلب بني بتقنية الطابية⁷.

وبمدينة وهران أنشئت الأسوار منذ تأسيسها حسب ما أكدته النصوص وجاء وصفها عند الحميري "عليها سور من تراب متقن"⁸، وعززت قدرات هذه الأسوار بأبراج حصينة مثل البرج الأحمر الذي أمر ببنائه أبو الحسن

¹ السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص 22؛ حمدي عبد المنعم مُجدِّد حسين، مدينة سلا في العصر الاسلامي، ص75-76.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، ص395-396.

³ مُجدِّد عياش، المرجع السابق، ص57.

⁴ العمري، المصدر السابق، ج4، ص90.

⁵ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص310.

⁶ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص181.

⁷ مُجدِّد عياش، المرجع السابق، ص82.

⁸ الحميري، المصدر السابق، ص612.

المربني وبرج المرسي سنة 748هـ/1347م، أعجب به أحدهم قائلاً " واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر فإنه يفوق حصون بني الأحمر"¹ .

وإلى تلمسان قاعدة المغرب الأوسط نجد أن المدينة محصنة بأسوار شاهقة قوية داخلية وأخرى خارجية² جاءت أوصافها في النصوص كالتالي فعند العبدري " أسوارها أوثق الأسوار وأصحها"³، ويقول العمري فيها وهي وهي "في غاية المنعة والحصانة .. محصنة بالبناء"⁴ .

وتمتعت مدينة الجزائر هي الأخرى بحصانة أسوارها وهذا نستنتجه من وصف العبدري لها " وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل"⁵ .

وسورت بجاية منذ أيام بني حماد وزودت بأبراج ذات أشكال مستطيلة تتباعد فيما بينها بحوالي 25 م كما يقال، يتحكم في شكل السور موقع المدينة على جبل أمسيون مما جعلها محصنة طبيعياً وبنائياً لذا وصفت في المصادر بأنها مكان محصن محكم البناء ذات مناعة كبيرة⁶ .

الحصون والقلاع :

في ظل هواجس الحروب وترقب الأخطار كان لابد من تفعيل وضعية الاستعداد والدفاع بتشييد الحصون والقلاع وهو ما ظهر وأشارت إليه النصوص فمثلاً في خضم الصراع المرابطي الموحدية بني المرابطون عدداً أكبر من الحصون والقلاع لمراقبة أعدائهم وصد غاراتهم من بينها حصن "أمرجوا" المطل على نهر ورغة ، وكذا قلعة تاسغيموت التي تقع جنوب شرق مراكش⁷ ، وبالمقابل أقام الموحدون كذلك حصوناً وقلاعاً وإن لم تكن بتلك الكثرة الملحوظة من بينها حصن ببلاد السوس لحماية مناجم الفضة هناك وحصن آخر بالقرب من مدينة تلمسان⁸ .

¹ وردة شرقي، المرجع السابق، 160.

² مما يبين أهمية الأسوار لدى سلاطين بني زيان واعتمادهم عليها بالدرجة الأولى في حماية المدينة من الخطر الخارجي وصية السلطان يغمراسن لابنه عثمان يحثه فيها على عدم مواجهة بني مرين مباشرة وضرورة الاحتماء خلف أسوار المدينة "... وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا إليك" أنظر: ابن خلدون، العبر ج7، ص 123.

³ العبدري، المصدر السابق، ص 49.

⁴ العمري، المصدر السابق، ج4، ص 103.

⁵ العبدري، المصدر السابق، ص 82.

⁶ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 142؛ العبدري، المصدر السابق، ص 82.

⁷ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 394.

⁸ نفسه، ص 394.

ويبدو أن الاهتمام بالحصون والقلاع زاد أكثر بعد الموحديين وهذا ما يظهر في عمائر المرينيين الذين شيّدوا قلعة دبدو سنة (685هـ/1286م) وأيضا قلعة كرسيف وحصن تاوريرت (695هـ/1295م) في الجهة الشرقية الحدودية مع بني زيان بالإضافة إلى قلعة مهدي في جبال فازاز، وحصن المدية بالمغرب الأوسط سنة (704هـ/1304م)¹.

وبالنسبة لبني زيان فقد عمدوا هم الآخرون على إنشاء القلاع والحصون وصلتنا أخبار عدد منهم مثل قلعة ابن الجاهل الواقعة جنوب تلمسان، وحصن بكر الذي أنشأ على وادي الصومام لمحاصرة مدينة بجاية التي حاول الزيانيون الاستلاء عليها، وكذا حصن الياقوتة قرب بجاية شيده السلطان أبو تاشفين لنفس الغرض، ومن أهم الحصون حصن تمزكت الذي أمر ببنائه أبو تاشفين سنة (780هـ/1320م) والذي قيل أنه بني في أيام قليلة².

القصبات :

استعمل لفظ القصبية بدلالات عدة فقد يطلق على عاصمة الإقليم أو الدولة وقد يطلق على المدينة أو جزئها الرئيسي وقد يطلق على البناء المعد لممارسة شؤون الحكم وهذا الأخير هو الرائج كثيرا في بلاد المغرب، وتأسيسا على ذلك سجلت القصبات حضورها في المغربيين وحظيت بأنواع التحصين والتسوير ومن بين الأمثلة : قصبه الأوداية : بناها الموحدون على مصب أبي رقراق وساحل البحر المحيط كإحدى مكونات مدينة رباط الفتح، تمت إحاطتها بأسوار منيعة وبنيت عليها أبراج للمراقبة والحماية³.

قصبه مراکش : هي مدينة إدارية صغيرة اختطها الخليفة المنصور ما بين سنتي 581هـ-584هـ/1185-1188م سميت تماركشت وأيضا حملت اسم حي الصالحة، حشد لها مختلف البنائين والصناع متى أضحت تضاهي العاصمة مراکش⁴، ونقل لنا العمري وصف ابن سعيد لها " ولا أدري كيف أصل إلى غاية من الوصف به

¹ نضال مؤيد الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الواحد ذنون طه، كلية التربية، جامعة الموصل، 2004، ص 125.

² مصطفى علوي، تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من ق7-9هـ، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي الاسلامي الوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015، ص 196، 197؛ عباس قويدر، المرجع السابق، ص 193، 194.

³ سحر عبد العزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1996، ص 113، 115.

⁴ مصطفى سالم، الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه في الآثار الاسلامية، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر2، 2018، ص 150-152.

به ترتيب هذه المدينة المحدثه ... ذات أسوار ضخمة وأبواب عالية وبها قصر الخلافة¹، وردت أخبارها كذلك عند الوزان الذي قال " قصبة كبيرة كأنها مدينة فتحت فيها أبواب في غاية الحسن قوائمها وأعاليها من الحجر المنحوت ومصاريعها مصفحة بالحديد "².

قصبة الوادي بفاس : بناها الخليفة محمد الناصر على أنقاض القصبة المرابطية بني فيها مسجدا وقصرا للحكم³، أقام به السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق قبل أن يؤسس فاس الجديد⁴.

قصبة مكناس : هي القصبة المسماة تاكرات بناها الموحدون سنة 545هـ/1150م وأحيطت بأسوار وأبراج عظيمة⁵، كما قام بنو مرين ببناء قصبة مكناس من جديد سنة 674هـ/1275م وحصنها جيدا وبنو بداخلها مدرسة الشهود المعروفة⁶.

قصبة تلمسان : شيدها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-138م) اتخذها لإقامة الأعداد الكبيرة من الرهائن اللائي يأخذهم من القبائل التي تدخل في طاعته مثلما ذكر ابن خلدون واصفا إياها قائلا " وهي الغور الفسيح الخطة تماثل بعض الأمصار العظيمة اتخذوها للرهن ... واختط لهم المساجد ونفقت بها الأسواق والصنائع ... "⁷.

قصبة هنين : أنشئت داخل المدينة في الجهة الجنوبية الغربية ومن المرجح أنها بنيت في القرن السادس هجري، سورت من كامل الجهات وزودت كذلك بثلاث أبراج⁸.

قصبة وهران : لم تصلنا الكثير من المعطيات حولها قيل أنها تقع على الجهة الغربية لواد الرحي في أعلى المدينة، ورد ذكرها في سياق الانشقاق الذي حدث داخل الأسرة الحاكمة الزيانية واستعمال القصبة يومها كمعتقل للسلطان أبو حمو من طرف ابنه تاشفين⁹.

¹ العمري، المصدر السابق، ج4، ص 100.

² الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 130.

³ الجزائلي، المصدر السابق، ص 43.

⁴ ابن أبي زرع، الأتيس المطرب، ص 293.

⁵ نفسه، ص 263؛ مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 190.

⁶ سالم أبو القاسم محمد غومة، المرجع السابق، ص 119.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 139.

⁸ مصطفى سالم، المرجع السابق، ص 264.

⁹ ابن خلدون، العبر، ج7، ص 192؛ وردة شرقي، المرجع السابق، ص 149.

2/ دور التصنيع العسكري في الحروب:

لا يمكن إغفال دور الحرفيين والصناع في صناعة الأسلحة ومختلف تجهيزات الجيوش وكذا القطع البحرية وبما أن الحروب كانت كثيرة في تلك الفترة ولا نستطيع حصرها هنا سنقتصر على أثر التصنيع البحري في رسم السياسة الخارجية لدول المغربين آنذاك كنموذج عن الدور العسكري للصنائع، حيث أدى نشاط صناعة السفن والقطع البحرية في فترة من الفترات الى محاولة دول المغربين لتحقيق أهدافهم السياسية والعسكرية وكانت هذه القطع حاضرة في عدد من حروبهم وهو ما سنتطرق اليه هنا ببعض الأمثلة :

انطلاقاً من الأسطول الموحد الذي ساهم في تقوية دولة الموحدين وفي نجاح مشروعها السياسي بداية من توحيد بلاد المغرب والأندلس إلى دحر الحركات المناوئة ثم جهاد النصارى ومحاربة القرصنة وحماية ثغور المسلمين، ونستهل مغامرة الموحدين البحرية بحصار مدينة سبتة التي ثارت في وجههم وقد قاد الأسطول إليها أبي العباس الصقلي وتمكن بالتعاون مع الجيش البري من إعادتها إلى طاعة الموحدين¹، وخصص عبد المومن أسطولاً بحرياً يتكون من سبعين سفينة لحصار مدينة المهديّة في افريقية واسترجاعها من حوزة النورمان وأسند قيادته لمحمد بن عبد العزيز بن ميمون وابن الخراط والشاطبي، وقد قام هذا الأسطول بحصار المدينة من جهة البحر بالإضافة إلى الحصار الذي أطبق عليها براً، كما تمكن من هزيمة أسطول نورماني قادم من صقلية لنجدتها وبعد حصار طويل دخل الموحدون المدينة سنة 555هـ/1160م²، وبهذا كللت جهود عبد المومن بالنجاح في توحيد المغرب الإسلامي لأول مرة منذ فتحه .

ولعل أهم خطر واجه الموحدين هو خطر بني غانية في جزر البليار³ الذين ثاروا على حكم الموحدين وسيطروا على مدن هامة في افريقية والمغرب الأوسط وكانت لهم صولات وجولات معهم، وقد شارك الأسطول الموحدى بقيادة مجموعة من القادة كأبي العباس وابن جامع وابن عطوش في استرجاع الجزائر وبجاية منهم كما نجح أيضاً في السيطرة على جزيرة يابسة صغرى جزر البليار، إلا أن الضربات الشديدة على بني غانية كانت في

¹ فوزية محمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 196.

² التجاني، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا، 1981، ص 348؛ عبد العزيز سالم أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 252 - 253.

³ أو الجزائر الشرقية وهي ثلاث جزر تقع شرق مدينة بنسنية على البحر المتوسط، أكبرها ميورقة بعدها أنورقة ثم يابسة. أنظر: أحمد مختار العبادي، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 134 .

عهد الخليفة الناصر فقد تمكن أسطوله من الاستيلاء على جزر البليار نهائيا بقيادة أبو العلاء إدريس ثم انتزع الناصر بنفسه المهديّة وتونس من أيديهم¹.

كما ساهم هذا الأسطول مساهمة فعالة في العبور إلى الأندلس حينما مد عبد المومن بصره إليها حتى قبل انطلاق حملاته لتوحيد بلاد المغرب وكان ذلك على مراحل حيث استولت جيوشه على طريف والجزيرة الخضراء ثم اشبيلية التي شارك أمير البحر عيسى بن ميمون في حصارها ثم قرطبة 543هـ/1148م واستولوا على قرمونة² من أيدي ابن مردنيش ثم مالقة وصولا إلى غرناطة 549هـ/1154م، وقام الجيش الموحدى أيضا باسترجاع مدينة المرية من أيدي النصارى بمساعدة أسطول سبتة بقيادة عبد الله بن سليمان سنة 552هـ/1156³.

بالإضافة إلى هذا شكل الأسطول دورا هاما في نقل القوات من المغرب إلى الأندلس في أهم معارك الموحدين ضد الممالك النصرانية في الأندلس مثلما حدث في معركة الأرك 591هـ/1195م و في موقعة حصن العقاب 609هـ/1212م⁴.

على أن أغلب العمليات التي شارك فيها الأسطول الموحدى كانت ضد مملكة البرتغال غرب الأندلس من بينها الحملتان اللتان انطلقتا من سبتة الأولى سنة 575هـ/1179م وقادها غانم بن مردنيش وأغارت على لشبونة⁵، والثانية في العام الموالي أسفرت عن هزيمة الموحدين، أما الثالثة فقادها ابن جامع رفقة أسطول اشبيلية سنة 577هـ/1181م⁶، ولعل أشهر الحملات كانت سنة 580هـ/1184م والتي قادها الخليفة يوسف بن عبد المومن بنفسه وأسفرت في النهاية عن استشهاده عند مشارف مدينة شنترين⁷، وقد استأنف المنصور حركة

¹ أحمد مختار العبادى، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 281؛ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص 335-350.

² تقع بالقرب من الوادى الكبير جنوبا وفي شمال شرقي اشبيلية في أرض مبسوطة خصبة، تعد من أحصن المدن الأندلسية، شهدت قيام إمارة بني برزال بها خلال فترة ملوك الطوائف، سقطت بيد النصارى سنة 645هـ/1247م. أنظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997، ص 71.

³ عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 181، 182، 186؛ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص 152، 153.

⁴ فوزية محمد عبد الحميد نوح، المرجع السابق، ص 246، 248.

⁵ مدينة قديمة تعود إلى الفترة الرومانية، وهي من القواعد الغربية للأندلس، تقع على مصب نهر تاجة في البحر المحيط، دام حكم المسلمين لها حوالي أربعة قرون ونصف، سقطت في يد البرتغاليين سنة 542هـ/1147م. أنظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 416.

⁶ نفسه، ص 255-258.

⁷ محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج 5، ص 127.

الموحدين الجهادية ضد البرتغال وقام بغزو أراضيها برا وبحرا وقد انتصر في معركة بحرية سنة 586هـ/1190م وهاجم عددا من المدن الساحلية، وقد وصف ابن عذاري مقدرة الأسطول الموحدى وبراعته في مواجهة البرتغاليين حيث توجت حملاته باسترجاع مدينة شلب والسيطرة على القاعدة البحرية قصر أبي دانس¹. وهكذا كان للأسطول دور في كل مرة يعبر فيها جيش الموحدى إلى عدوة الأندلس سواء في جهاد الممالك النصرانية أو في قمع حركات التمرد.

وبالنسبة لدور الأسطول المريني فإنه شهد عبورا إلى الأندلس في عدة مناسبات من أجل جهاد النصارى هناك ولتوفير الدعم للمناطق الإسلامية، ومن أشهر تدخلاته :

عبور السلطان أبي يعقوب إلى الجزيرة الخضراء والتوغل داخل الأراضي الأندلسية حتى تمكن من الانتصار على قشتالة في موقعة أستجة سنة 674هـ/1275م².

جواز الأسطول المريني مرة أخرى سنة 678هـ/1279م لفك الحصار الذي فرضه ملك قشتالة ألفونسو العاشر على الجزيرة الخضراء وقد نجح في مهمته³.

معركة الملند 740هـ/1340م : التي شهدت اصطداما بين تحالفين الأول نصراني ضم كل من قشتالة ميورقة أرغون والبرتغال، والثاني إسلامي ضم الأسطول المريني بقيادة السلطان أبي الحسن الذي سعى للثأر لمقتل ابنه والأسطولين الحفصي والنصري⁴، توج هذا التحالف بانتصار كبير خلدته ابن الخطيب بأبيات من نظمه :

تلك الجوارى المنشآت صدقها	مهج العدى وخلوقهن من الدم
وحجالهن من البنود فلا ترم	وصلا بدينار لهن ودرهم
نصرت عباد الله جل جلال	وسطت بعباد المسيح ومرمم ⁵

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدى ص 145.

² ابن خلدون، العبر، ج7، ص 398؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السننية، ص 150.

³ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 329.

⁴ حفصة معروف، دور الأسطول المغربي في النشاط الحربي والحركة التجارية في الفترة الممتدة من العهد الموحدى الى القدوم العثماني لبلاد المغرب، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد العزيز لعرج، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2، 2016-2017، ص 303.

⁵ ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تح: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989، مج 1، ص 55.

معركة طريف : لم يهنأ المسلمون بانتصارهم السابق حتى انكسروا في موقعة طريف سنة 741هـ/1340م التي شهدت تعاوناً بين بني مرين وبني نصر من جهة، ومن جهة أخرى تشكل جيش العدو من كل من قشتالة وأرغون والبرتغال وجنوة، كانت هاته المعركة مقدمة لانجازات أخرى أدت الى سقوط مدينة الخضراء بيد قشتالة سنة 744هـ/1344م وبذلك فقد المرينيون ثغرين مهمين في بلاد الأندلس في فترة وجيزة ولم يبق لهم إلا جبل الفتح¹، قبل أن يتمكنوا من استرجاع الجزيرة الخضراء مرة أخرى في عهد أبي فارس عبد العزيز (767-774هـ/1366-1373م) سنة 770هـ/1369م².

ويبدو أن البحرية في بلاد المغرب ظلت متوجهة نحو الانحدار والتراجع، وملامح ذلك ظهرت منذ وقت مبكر منذ أن ورثت الدويلات المستقلة أملاك الموحدين وأصبحت تستعين بأساطيل النصارى من أجل طموحاتها وصراعاتها السياسية وفي كل مرة كانت تقدم تنازلات كبيرة جراء ذلك لتصل في الأخير إلى حالة من الضعف والهوان لدرجة أنها لم تعد قادرة حتى على حماية سواحلها من تحرشات الأساطيل الأوروبية حتى لم يأت القرن 9هـ/15م حتى سقطت أهم المدن الساحلية للمغرب الأقصى بيد الأساطيل البرتغالية تباعاً بداية من سبتة 818هـ/1415م ثم أصيلا 876هـ/1471م ثم طنجة والعرائش³، كما تهاوت المدن الساحلية للمغرب الأوسط أمام الغزو الإسباني منذ مطلع ق10هـ/16م.

¹ عبد الحق المريني، الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997، ص 50.

² حفصة معروف، المرجع السابق، ص 308.

³ نفسه، ص 326، 332؛ عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 357، 361.

ب/ الدور الاقتصادي والاجتماعي

1/ الدور الاقتصادي :

التجارة الخارجية :

إن الحديث عن النشاط التجاري بين دول المغرب وبين العالم الخارجي خاصة أوروبا بالذات يطرح اشكاليات عدة تتعلق بطبيعة ونمط هذا النشاط وما مدى المساهمة فيه وتأثير ذلك على المستقبل الاقتصادي للمنطقة .

فإلى أي مدى ساهمت دول المغرب في التجارة العالمية ؟ كيف أثر موقع بلاد المغرب وقربها من مصادر الذهب في توجيهها الاقتصادي ؟ ما محل المنتجات الصناعية في المعادلة التجارية الخارجية ؟

الاتفاقيات والمعاهدات :

المعاهدات مع إمارة مع جنوة :

اتفاقية 548هـ/1153م : عقدت بين الخليفة الموحد عبد المومن بن علي وإمارة جنوة وهي معاهدة سلام وتجارة .

اتفاقية 555هـ/1160م : تم بموجبها السماح للجنوبيين بحرية التنقل والتجارة والإقامة في أراضي الموحدين، وأيضاً تحديد الرسوم 8% على التجارة في كامل مدن بلاد المغرب، باستثناء بجاية التي فرض رسمها 10%¹.
معاهدة 571 هـ / 1176م : كان ذلك في عصر المنصور مثلت هذه الاتفاقية تجديدا للاتفاقية السابقة² .

أما في عهد بني زيان فكانت أولى الاتصالات التجارية بين جنوة وتلمسان سنة 671هـ/ 1272م أتبعها معاهدة سلم وتجارة بينهما في سنة 681هـ/1272م، وقد وجد التجار الجنوبيون في عدة مدن ومرافئ في المغرب الأوسط كهنين ومستغانم والجزائر³ ووهران التي كانت موثلاً لهم ولهم فيها دار تسمى بدار الجنوبيين⁴ .

¹ خديجة بورملة، التجارة الحاجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف عبد القادر بوباية، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران 1، 2017-2018، ص 236 .

² محمد الشريف، المرجع السابق، ص 83.

³ علي عشي، المرجع السابق، ص 456.

⁴ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 30.

وكانت تجارة بجاية الحفصية مع جنوة نشطة وهذا ما تظهره العقود التجارية بينهما كعقد سنة 613هـ/1216م، وسنة 620هـ/1233م، وسنة 632هـ/1234م، وسنة 648هـ/1250¹.

وبالنسبة لبني مرين فأشهر اتفاقية ذكرت كانت في عهد أبي عنان سنة 757هـ/1356م، اتفق الطرفان بموجبها على السماح للتجار الجنوبيين بممارسة نشاطهم التجاري في المغرب مع الالتزام بدفع الرسوم على سلعهم، وكذا إيقاف عمليات القرصنة والتعرض لسواحل المغرب من طرف السفن الجنوبية².

المعاهدات مع جمهورية بيزا :

اتفاقية 562هـ/1166م : عقدت بين الخليفة يوسف بن عبد المومن مع السفير البيزي غريفي نصت على حرية التجارة في أراضي الموحدين .

معاهدة 582هـ/1186م في عهد الخليفة المنصور مدتها 25 سنة³.

759هـ/1358م : معاهدة سلم وتجارة بني السلطان أبي عنان وجمهورية بيزا نصت على الحفاظ على حقوق التجار والرعايا الأجانب بل ومنحهم فندقا خاص بهم في أي مدينة يقيمون بها⁴.

المعاهدات مع البندقية :

570هـ/1172م : وهي معاهدة صلح وتجارة مع الموحدين في عهد الدوق سيباستيان والخليفة⁵.

المعاهدات مع مملكة أرغون :

اتفاقية مع حاكم سبتة أبي القاسم العزفي 667هـ/1269م : تسمح بمزاولة تجارة الدولة عملهم ظروف جيدة⁶.

709هـ/1309م : اتفاقية عسكرية تجارية بين السلطان أبو الربيع سليمان مع أرغون تتضمن مساعدة أرغون لبني مرين بالسفن والجنود لاستعادة مدينة سبتة من أيدي غرناطة مقابل ترك ثلث للتجارة .

¹ علي عشي، المرجع السابق، ص 453.

² سمر عبد الحليم عبد المعز، تجارة الدولة المرينية، د ن، الاسكندرية، 2019، ص 101.

³ بونو سلفاتوري، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، تر: عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، ع2، ليبيا، 1986، ص 31.

⁴ سمر عبد الحليم عبد المعز، المرجع السابق، ص 100.

⁵ رسائل موحدية، تج: أحمد عزاوي، ح1، منشورات كلية الآداب، القنيطرة، 1995، ص 255، بغداد غربي، المرجع السابق، ص 192.

⁶ محمد شريف، المرجع السابق، ص 99.

734/1334هـ : معاهدة سلام لمدة أربع سنوات مع انضمام كل من قشتالة وغرناطة إليها تمنح هذه المعاهدة التجار حرية التنقل بين هذه الدول وتأمين تجارتهم وأرواحهم .

745/1344هـ م : اتفاقية لمدة عشر سنوات في عهد أبو الحسن المريني شملت أيضا كلا من قشتالة وغرناطة ستسمح بحرية التجارة ومحاربة القرصنة¹ .

وبالنسبة للعلاقات الأروغونية الزيبانية فيبدو أنها نشطت باكرا من عهد يغمراسن الذي عقد سنة 648هـ /1250م صفقات تجارية معهم .

معاهدة 675/1276هـ م : بين بيدرو الثالث ويغمراسن، وهي معاهدة سلم وتجارة أسفرت عن السماح للتجار من الطرفين بممارسة مهنتهم بحرية في البلدين² .

اتفاقية 686هـ /1286م : بين أدفونونش الثالث وعثمان بن يغمراسن حصلت بموجبها أرغون على امتيازات اقتصادية من بينها بناء فندق للتجار الأروغونيين في وهران³ .

معاهدة صلح وسلم 762هـ /1362م : بين بطرس الرابع وأبو حمو موسى الثاني لمدة خمس سنوات أسفرت على ضرورة توفير الأمن والحماية للتجار سواء داخل الدولتين أو في عرض البحر، كذلك حددت الرسوم الجمركية العشر للطرفين⁴ .

المعادات مع مرسيلىا :

تواجد التجار المرسيليون في المغرب الأوسط بشكل واضح وعرفت أسر تجارية بذاتها مثل أسرة ماندويل وأسرة اوستريا، كما عرفت مرسيلىا تمثيلا لها في بجاية عبر إنشاء قنصلية لها هناك وشكلت مدن الجزائر، تنس وهران، حضورا للتجار المرسيليين بما مثلما دلت السجلات التجارية على ذلك والمؤرخة سنة 680هـ /1288م وأخرى بسنة 654هـ /1255م⁵ .

¹ سمير عبد الحليم عبد المعز، المرجع السابق، ص 97، 98.

² لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني زيان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 145.

³ خديجة بورملة، المرجع السابق، ص 264.

⁴ لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 157.

⁵ نفسه، 137-139.

التجارة مع السودان الغربي :

لم تقف الصحراء عائقا أمام نشاط القوافل التجارية المنطلقة من بلاد المغرب تجاه بلاد السودان التي أضححت من أهم الوجهات التجارية نظرا للأهمية التي تقدمها، وقد أدت المراكز الجنوبية بالمغربيين دورا كبيرا في المبادلات التجارية بين الاقليمين ومن بينها :

سجل ماسة :

محطة رئيسية للقوافل التجارية الوافدة من بلاد السودان والمغادرة إليه وصارت " مقصدا للوارد والصادر"¹، لذا توصلت النصوص إلى القول بغناء أهلها لكثرة تجارتهم²، احتفظت بمكانتها التجارية طيلة العصر الوسيط حتى أنها كانت هدفا استراتيجيا لعدة دول ومحل تنافس للسيطرة عليها .

أغمات :

مثلت هي الأخرى مركزا تجاريا مهما نحو الجنوب فهي " دار التجهز نحو الصحراء"³، وانعكس ذلك على ساكنتها فقد اعتبرهم الإدريسي " تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان.... ولم يكن أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا"⁴ .

توات :

إقليم صحراوي يحتوي على قصور و واحات كثيرة تشكلت للضرورة التجارية لكونها ممرات لعبور الصحراء إلى السودان الغربي من بينها تيكورارين و تمنطيط، أشار ابن خلدون إلى أهمية توات قائلا " وهو ركب التجار إلى مالي .."⁵، ووصف الوزان حال ساكنة قورارة " سكان هذه البقعة أغنياء لأن عاداتهم الذهاب كثيرا مع بضاعتهم بضاعتهم إلى بلاد السودان حيث يجنون أرباحا كثيرة وهنا يقع رأس خيط القوافل حيث ينتظر تجار بلاد البربر تجار بلاد السودان ثم يذهبون سوية"⁶ .

¹ الحميري، المصدر السابق، ص 305.

² العمري، المصدر السابق، ج4، ص 201؛ الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 192؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 181.

³ مجهول، الاستبصار، ص 207.

⁴ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 232.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 280.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 133.

وقد توطدت علاقة أهل توات بمدن السودان الغربي حتى أصبح لهم ممثلين هناك، شاهد ابن بطوطة إقامة تجار تواتيين في أحياء خاصة بهم¹.

الصادرات الخارجية للمغربين: نتعرف هنا على أبرز المواد المصدرة من المغربين إلى أوروبا والسودان الغربي

المادة	مكان التصدير	المستورد	المرجع
السكر	بجاية سبتة	بلنسية جنوة	- دومينيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي، ص 541. - مُجد الشريف، سبتة الاسلامية، ص 79.
الزبيب	بجاية بونة	السودان الغربي	خديجة بورملة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط، ص 148.
منتجات نسيجية : أكسية، ثياب الصوف، عمائم ، أقمشة كتانية	أغمات	السودان الغربي	الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، 232.
جلود مدبوغة	بجاية وهران تلمسان	بيزا جنوة	بغداد غربي، العلاقات التجارية للدولة الموحدة، ص 208، 209.
نحاسيات وآلات حديدية	أغمات	السودان الغربي	الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص 232.
العطور	المغرب الأقصى	السودان الغربي	الادريسي، ج1، ص 232.
الحلي و المرجان	المغرب الأقصى	السودان الغربي	الادريسي، ج2، ص 529.
الخزفيات	بجاية	جنوة مرسيليا	خديجة بورملة، ص 149.
الشمع	بجاية	ميورقة، مرسيليا، برشلونة، البندقية	دومينيك فاليرين، ص 535- 537.

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ج2، ص 403

يتبين من خلال الجدول أن حجم المواد المصدرة نحو الخارج لا يتناسب مع حجم الاتفاقيات المبرمة مع الدول خاصة الأوروبية منها وهذا يدل على أن هاته الدول لم تكن بحاجة ماسة إلى البضائع المصنعة بالمغربين باستثناء السودان الغربي، كما أن هناك مواد أخرى دخلت على الخط التجاري وهي من تحظى بالأهمية من طرف الأوروبيين مثل بعض المواد الأولية إضافة إلى المادة الأساسية ذات الاستقطاب الحاد وهي الذهب وهي السبب الرئيسي في الإقبال الكبير للأوروبيين على مدن بلاد المغرب عموماً .

المبادلات التجارية بين مدن المغرب الإسلامي :

عرفت مدن المغرب الإسلامي تبادلات تجارية فيما بينها، حيث كانت السلع والمنتجات تنتقل إما بين مدن الإقليم الواحد القريبة من بعضها أو عبر الأصقاع الثلاثة، ونجد صعوبة كبيرة في تحديد مظاهر التجارة الحاصلة ولا في التعرف على أنواع السلع الرائجة والمتنقلة عبر هذا الفضاء الجغرافي الواسع بسبب صمت النصوص لذا حاولنا تتبع الإشارات الضئيلة الواردة وما تحمله من دلالات لتوضيح الأفكار السابقة مثل أن بعض المدن مثلت محجاً للقوافل التجارية الذاهبة والآتية وأضحت حواضر اقتصادية لما حولها . ففاس كانت " مقصد مدن المغرب الأقصى وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل"¹ يقصدها الناس من جميع الأقطار والأقاليم "وتلمسان قفل بلاد المغرب وهي على رصيف للداخل والخارج منها" واشتهرت "بمرايح تجارتها"²، في حين أصبحت مكناس مركزاً تجارياً مقصوداً حيث "ينزل بها المسافرون يبيعون ويشترون"³ أما بجاية فيظهر أنها خير من مثل حركية التبادل التجاري عبر عن ذلك الإدريسي بقوله " بها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة... وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء..."⁴ .

المادة	المصدر	الدلالة التاريخية	المصدر
السكر	مدن السوس	ما يعم أكثر الأرض	الإدريسي ، نزهة، ج1، ص 227.
		منها يجلب السكر إلى الجميع بلاد المغرب و الأندلس وإفريقية	الزهري ، الجغرافية، ص 117. كتاب الاستبصار، ص 212.

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 246.

² نفسه، ص 250، 248.

³ ابن غازي، المصدر السابق، ص 10.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 260.

مراكش	منها يجلب السكر إلى فاس	الزهري، الجغرافية، ص 116.
مراكش	تمير بلادا كثيرة	كتاب الاستبصار، ص 210.
مراكش	منها يجلب الزيت إلى فاس وغيرها	الزهري، الجغرافية، ص 116 .
جزائر بني مزغنة	يحمل منها إلى القيروان وغيرها	الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 248.
أغمات	مد للبلاد و ممير	ابن الخطيب، معيار الاختيار ص 146.
مراكش	يجلب إلى جميع بلاد المغرب	الزهري، الجغرافية، ص 116 .
نفيس	كثيرا جدا مشهور في بلاد المغرب الأقصى.	الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 229.
السوس	عليه ينتقل ملوك المغرب	الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 230.
مرسى الدجاج	يحمل منها شرائح طوبا ومنتورا إلى سائر أقاصي المدائن والأمصار	الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 259. الحميري، الروض، ص 539 .
تلمسان	منها تحمل ثياب الصوف المفصلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب	ابن سعيد، الجغرافيا، ص 140 .
	ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا	يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج 1، ص 92 .
	تباع ثيابها الصوفية بثمان مرتفع بفاس وتلمسان	الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 132.

2/ الدور الاجتماعي :

توفير القوت والغذاء :

قدم النشاط الحرفي خدمة عظيمة للمجتمع بتوفير غذائه ومعاشه من خلال مجهودات الحرفيين بتحويل المنتج الزراعي والحيواني إلى مواد غذائية جاهزة للاستهلاك من خبز وزيت وأجبان وثمار مجففة وغيرها ، حيث كانت المدن تعج بهكذا نوع من الصنائع لتغطية احتياجات ساكنيها من المواد الضرورية والحيوية من مطاحن وأفران ودكاكين الأطعمة والحلويات ومعاصر الزيت ...

الملبس :

اتخذ الانسان اللبس والزي من أجل الستر والتزين وكذا من أجل الوقاية من البرد والحر وهذا الأصل الذي جاء في كتاب الله " يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " ¹ ، وفي آية أخرى " وَجَعَلْ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ " ² .

عمل النساجون على تطوير صناعة النسيج وتحسين الإنتاج وتجويده بمختلف أصنافه التي استخلصها من المجالين الزراعي والحيواني من قطن وكتان وصوف وحرير وجلود فجادت أناملهم ثيابا وألبسة متعددة تحاكي المستوى الاجتماعي والعادات والتقاليد والدين وكذا أحوال المناخ والطبيعة .

المسكن :

استفاد أهالي المغريين من أيادي البنائين في بناء مساكنهم ودورهم وهو المكان الذي يأوون إليه بعيدا عن ظروف الطبيعة القاسية وحفاظا على الخصوصية يقول ابن خلدون في هذا الصدد " أن الانسان بما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد له أن يفكر في موانع إذاية الحر والبرد عنه باتخاذ البيوت ذوات الحيطان والسقف الحائلة دون ذلك " ³ .

¹ سورة الأعراف، الآية 31 .

² سورة النحل، الآية 81 .

³ ابن خلدون، المقدمة، ص 510 .

تقل هذه الدور أو تكثر حسب أوضاع كل مدينة ودرجة تمدنها ورفاهيتها، يذكر الجزنائي أن عدد الدور بفاس أيام الموحدين بلغ تسعا وثمانين ألفا ومئتين وستة وثلاثون¹، وهو رقم يبين المستوى الذي وصلت إليه المدينة خاصة أيام الخليفة المنصور، وفي المقابل تشير احدى النصوص إلى أن تلمسان حوت أيام السلطان أبو تاشفين حوالي ستة عشر ألف بيت²، ويقارن الحميري بين فاس وتلمسان من حيث قيمة ومستوى المباني والدور بقوله " وفاس أعلى همة في المباني واتخاذ الديار الحسنة"³، وهو ما أكدته الوزن بعد مدة ذاكرا أن دور فاس ذات قيمة وأن دور تلمسان تقل عنها"⁴.

بالنسبة لشكل وتصميم المنازل فلا تخرج عن الشكل المربع أو المستطيل، منها ما تحتوي على نوافذ ومنها لا، داخل المنزل تكون هناك أروقة وممرات بين الغرف وأغلب الأسقف تكون منخفضة⁵، تبني هذه المنازل تبعا لأحوال الناس المعيشية وطبقاتهم لذا توجد بيوت من ثلاث طوابق وأخرى من طابقين والأغلبية منها ذات طابق أرضي، كما قد تضم شرفات مزخرفة وأروقة وأفنية مبلطة بالزليج والرخام والحيطان مصبوغة بمختلف الألوان والرسوم⁶.

الإسهام في مجال الوقف :

الوقف لغة : هو الحبس والمنع والإمساك⁷، وهو مصدر وقف، وقف الشيء يقفه وفقا إذا حبسه والجمع أوقاف وأحباس⁸.

¹ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44 .

² الوزن، المصدر السابق، ج2، ص 17 .

³ الحميري، المصدر السابق، ص 135 .

⁴ الوزن، المصدر السابق، ج2، ص 19 .

⁵ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص 93، 119 .

⁶ الوزن، المصدر السابق، ج1، ص 222 .

⁷ الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمود باسل عيون، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، 1998، ص686.

⁸ منذر قحف، الوقف الاسلامي تطوره إدارته وتميمته، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000، ص54.

اصطلاحاً : وردت فيه عدت تعريفات : " الوقف حبس العين على ملك الواقف والتصديق بالمنفعة"¹ ، وأيضاً " تبييس الأصل وتسييل المنفعة"² ، ومن التعاريف الحديثة "الوقف هو وضع أموال وأصول منتجة في معزل عن التصرف الشخصي بأعيانها وتخصيص خيراتها أو منافعها لأهداف خيرية محددة"³ .

أدى الوقف دوراً خيراً في حياة المجتمعات ومن بينها مجتمع المغرب الأوسط و الأقصى شمل هذا مختلف المجالات فعلى المستوى الديني كان للأوقاف أثر بارز في بناء المساجد وترميمها وصيانتها والنفقة على أئمتها ومؤذنيها والقائمين عليها وتجهيزها بما تحتاج، وهذه المساهمات تعضد في أداء وظيفتها على أكمل وجه⁴ .

كما كان لها دور في الجانب العلمي أيضاً حيث شكلت وسيلة للنهوض العلمي و الثقافي وتعليم الأجيال وذلك بتوظيف عائداتها المالية لمصلحة المدارس وتجهيزاتها والإنفاق على طلابها ومدرسيها وإيواء الطلبة الغرباء، وشمل الوقف أيضاً الإنفاق على الزوايا بمتطلباتها، بالإضافة إلى التكفل بفئة الفقراء والمساكين والأيتام والغرباء كإحدى مظاهر التكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم⁵ .

أما عن موقع عائدات الحرف والصنائع من هاته الأوقاف فأكد أنها كانت من جملة الحضور في هذه المعادلة لكننا نجد صعوبة في تتبعها وتبيانها في ظل غياب الوثائق والعقود التي تثبت ذلك ناهيك على أن بعض المعطيات الموجودة لا تصرح بالملك المحبوس ولا عن محبسه إذ يقتصر اللفظ أحيانا على حبس فلان، ضف الى ذلك أن الحصاة الكبرى من الأوقاف عبارة عن عقارات وأراضي فلاحية، وقد حاولنا قدر الإمكان إثبات ضلوع أملاك الحرفيين والصنائع في العمليات الوقفية آنذاك ببعض النماذج :

المسجد الكبير بفاس الجديد : تم بناؤه من إيرادات معصرة زيتون بمدينة مكناسة، وهذا يدل على حجم المساهمة وكذا حجم الإنتاج⁶ .

¹ ابن العابدین، رد المختار على الدر المختار، دار احیاء التراث العربی، ط2، بیروت، 1987، ص 17.

² ابن قدامة، المغني في الفقه الحنبلي، تح: عبد الله بن محسن التركي، عبد الفتاح الحلو، ج6، دار الفكر، بیروت، 1997، ص 185.

³ منذر قحف، المرجع السابق، ص 17.

⁴ ریم محمد راشد، الدور الثقافي والاجتماعي للأوقاف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة سر من رأى، ع64، 2020، ص919 .

⁵ نفسه، ص 922؛ بشير مبارك، دور الأوقاف في التكافل الاجتماعي خلال العصر الوسيط، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج 3، ع 2، 2017، ص 125-126 .

⁶ ابراهيم القادري بوتيش، إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997، ص 59.

مسجد أبو الحسن بتلمسان : بني في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (681- 703هـ / 1282- 1303 م) سنة 696هـ / 1297م تخليدا لروح أخيه الأمير أبي عامر إبراهيم وصدقة عليه، وقد حبست عليه مجموعة من الأملاك من بينها عشرون حانوتا ذكر بروسلاز أنها خاصة بمحترفي الصياغة¹ .

مدرسة وزاوية أولاد الإمام : أمر بنائها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني، المدرسة جعلت لولدي الإمام والزاوية أقيمت على ضريح والده، أحبس عليهما أوقافا كثيرة ومتنوعة منها حوانيت ورحا وفرن استفادتا منها أثناء عملية البناء وعند ممارسة وظيفتهما وقد أفادنا بروسلاز بنشر نص التحبيس لذا وجب أن نورده كاملا: " أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبو حمو ابن مولانا الأمير يعقوب بن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكريا بن مولانا أمير المسلمين ابن يحيى بن يغمراسن بن زيان وصل الله مفاخره وخلد آثاره الكريمة ومآثره على الزاوية المباركة المقامة على ضريح والده المذكور برد الله ضريحه فمن ذلك ما بداخل تلمسان المحروسة وجميع الطاحونة الملاصقة للزاوية والثلاثون حانوتا المعروفة بالصياغة القديمة والكوشة التي تنثر الجلد وحمم الطبول وفرن مقسم وفندق العالية وبخارج البلد المذكور جميع الرحي السفلى بقلعة بني معلىوزيتون تفيدا وأرض الزيتون المذكورة ثم معصرته ورحاها، وجميع المحبس ملكه وشهرة الجميع تغني على التحديد تحبيسا تاما مطلقا عاما أو وقفا ثابتا أبديا ليصرف ما يستفاد من الحبس المذكور على معلمين العلم وطالبيه وإمام ومؤذن ..."² .

مدرسة العطارين : اكتمل بناؤها سنة 725هـ / 1325م بأمر من السلطان المريني أبو سعيد خصصت لها أصناف من الأحباس بين دكاكين وأرحية وأفران ودوروقد وثقت هاته الأحباس في نص التحبيس على رخامة التأسيس لهذه المدرسة، لذا ننقل هنا هاته الأحباس من النص : " فمن ذلك ثلاث عشر حانوتا متصلة بباب الفرج ومع ذلك باب الصابون مع الحوانيت الثلاثة المخرجة منها بالشرطين والحانوت الرابع بالعطارين عن يمين المارين بالمدرسة والحانوت الثاني بالقيساريةوبيت أرحى مصالة بشيبوبةوالفرن بجرنيز"³ .

أوقاف المدرسة البوعنانية (المتوكلية) : بنيت من طرف السلطان المريني أبي عنان فارس سنة 751هـ / 1350م، أوقفت عليها مجموعة من الأملاك من أجل تجهيزها وتصريف شؤونها وشملت حوانيت كثيرة بلغت 74 حانوتا

¹ Charles Brosselard ,op cit,p 162- 163.

² Charles Brosselard, Mosque ouled EL- Imam, Revue africaine,3Annee, n13, 1858,p 169-170.

³ عباس عبد الله، دور الوقف في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الاسلامي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، إشراف الحاج عيفة، جامعة الجزائر 2، 2015- 2016، ص 290.

بالإضافة إلى فرن وأرحاء وحمامات . وهذا مقتطف من نص التحسيس المأخوذ من الحوالات الحبسية المرينية : "حبس أيده الله على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا وإعانة بهم على طلبهالرحا المتصلة بالمدرسة والرحا الثانية المعروفة برحا الخطابين ... والفرن الذي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة... وأربع وسبعون حانوتا كلها بالقرب من المدرسة ..."¹ .

مسجد ومدرسة العباد : قام بإنشائهما السلطان المريني أبو الحسن، بني المسجد سنة 739هـ /1338م ثم اتبع بالمدرسة سنة 747هـ /1347م، حبست عليهما أوقاف كثيرة من جنان وحمامات وحوانيت وأرحاء² .

أحباس مدرسة المدينة البيضاء (فاس الجديد) : أنشئت سنة 720هـ /1320م من قبل السلطان المريني أبو سعيد عثمان وحبس عليها أملاك كثيرة من بينها ستة عشر حانوتا ببيت الرحي وكوشة كبيرة . وهذا جزء من نص التحسيس : "وهي مدرستهم الكائنة بدار ملكهم الشامخ ومقر عزهم الراسخ المدينة البيضاء المنيرة وستة عشر حانوتا محملة على وادي اللجوطية... وبين الأرحا الكائن بوادي قميمة المشتتمل على حجرين اثنين الكوشة الكبرى والحانوتان المتصلان بها من ناحية الجوف ..."³ .

موقوفات مدرستي الصهريج والسبعين : كانتا من جملة مباني أبو الحسن المريني استفادتا من مداخل الأوقاف إذ وقفت عليهما أحباس متنوعة كالبساتين والجنان ومجموعة من الأرحاء منها اثنين بغدير حسن وواحدة بغدير الجوزا وأخرى بالعيون، وعدد من الحوانيت متواجدة في عدوة الأندلس وأيضا بمنطقة اللبادين وزقاق العطارين⁴ .

هذا بالنسبة للأوقاف التي كانت في رعاية السلطة أما عن مساهمة الفئات الشعبية فوردت إشارات نوازلية حول هذه الأحباس وإن كانت مقتضبة ويسود الغموض تفاصيلها ونوعيتها وأماكنها، وقد حاولنا أن نختار الأمثلة ذات الدلالة الواضحة مثل :

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، السعيد المليح، الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال ق 8هـ /14م، مجلة عصور الجديدة، ع12-13، 2013-2014، ص 70، 60.

² محمد زاهي، دور الوقف الحضاري في تلبية حاجات المجتمع العلمية والثقافية في الدولة الزيانية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع2، 2010، ص 65 .

³ إبراهيم القادري بوتشيش، السعيد المليح، المرجع السابق، ص 57، 71.

⁴ نفسه، ص 52، 58.

نازلة حول رجلين يشتركان في فرن مناصفة، وقام أحدهما بوقف نصيبه على الجامع الأعظم والآخر قام بكراء الفرن بعد بقاءه عاطلا مدة وجرى بينهما خلاف¹.

نازلة بخصوص مسجد محبسة عليه حوانيت تؤدي مرتب أربعة من المؤذنين إضافة إلى الحاجيات الأخرى، مع الزمن تم توظيف ثلاث مؤذنين آخرين وهكذا لم يعد الوقف قادرا على نفقة سبعة أشخاص².

مسألة بمدينة فاس حول ممتلكات أوقفها شخص على مدرسة تشمل حوانيت وأرحى وحمام....وقد خصصت هذه الأحباس من أجل ترميم المدرسة والإنفاق على الطلبة والمدرسين والإمام والمؤذن وخدام المدرسة، والمشكلة التي تواجهه هي أن إيراد الأحباس لم يعد يفي بمرتبات الجميع وجرى خلاف بين المنتفعين بهذه المدرسة حول مرتباتهم³.

الدور العلمي :

على غرار مساهمة الحرفين والصناع في بناء المؤسسات العلمية من مساجد ومدارس وزوايا وغيرها كان لهم دور آخر ذو أهمية بالغة وذلك عبر بوابة حرفة الوراقة التي أسهمت في تدوين التراث وحمايته وتوثيقه وحفظه من الضياع، وفي انتشار حركة التأليف والتصنيف وهذا ما تدل عليه كثرة المصنفات في ذلك العصر والتي وصلتنا منها المئات إن لم نقل الآلاف من الكتب المخطوطة، وأضحت حوانيت الوراقين بمثابة مراكز علمية ودور نشر من خلال قيامها بتوفير الكتب ونشرها في المؤسسات والأسواق وبالتالي ظهور المكتبات وخزائن العلم سواء التابعة للمؤسسات الثقافية أو المنفردة⁴. ومن بين المكتبات التي ظهرت بالمغربيين في فترة الدراسة :

. الخزانة الملكية بمراكش أسسها يوسف بن عبد المومن كانت عامرة بالكتب حتى صارت تشبه بمكتبة الحكم بالأندلس⁵.

¹ الونشريسي، المصدر السابق، ج7، ص 42-43.

² نفسه، ص41-42.

³ نفسه، ج7، ص 363-369.

⁴ زينب رزيوي، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و9هـ/13/15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، إشراف خالد بلعربي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016، ص 58.

⁵ محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص282.

. المكتبة الشاربية بسببة تنسب لأبي الحسن الغافقي المشهور بالشاري (ت 649 هـ/1251م)، كان مولعا بالكتب لذا جمع عددا كبيرا منها مكونا بذلك مكتبته الكبيرة التي ضمت على ما يقال نفائس الكتب آنذاك، وقد قام بوقف المكتبة على طلبة العلم ووضعها بمدرسته بسببة¹.

. مكتبة عبد الرحمن ابن الملجوم بفاس تعد من أكبر المكتبات بالمغرب يقول عنه ابن القاضي " له خزانة دفاتر جلييلة الشأن لم يكن لأحد من أهل عصره مثلها² .

. مكتبة المومنانى بفاس مكتبة كبيرة جدا من تشييد وجمع محمد بن عيسى المومنانى³ .

. مكتبة القيس بمراكش صاحبها من رندة نزيل مراكش كان جماعا للكتب نسابه لخطوط العلماء⁴ .

. مكتبة جامع القرويين التي أسسها أبي عنان سنة 750 هـ/1349م، ضمنها كما يقول الجزائى كتبا عدة في علوم متنوعة⁵ .

. مكتبة أبي عبد الله القلعي (ت 673 هـ/1274م) الذي امتهن التدريس ببجاية سخر مكتبته لطلبته الذين يدرسون عنده ويلازمونه⁶ .

. مكتبة الجامع الأعظم بتلمسان وضعها أبو حمو موسى الثاني سنة 760 هـ/1359م⁷ .

. مكتبة الجامع الكبير بتلمسان أنشأها أبو زيان محمد سنة 796 هـ/1394م⁸ .

. مكتبة مدرسة العباد حبس عليها أبو الحسن المريني وعلى مدارس أخرى كتبا بالجملة مثلما ورد عند ابن مرزوق

¹ الأنصاري، المصدر السابق، ص 29 .

² ابن القاضي، المصدر السابق، ص 396 .

³ المنوني، العلوم والآداب، ص 284-285 .

⁴ السملالي، المصدر السابق، ج4، ص 377 .

⁵ الجزائى، المصدر السابق، ص 76 .

⁶ الغريبي، المصدر السابق، ص 94 .

⁷ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 211 .

⁸ التنسي، المصدر السابق، ص 211 .

" هذه المدارس مع ما حبس في جلها من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة فلا جرم أن كثير بسبب ذلك طلب العلم وعدد أهله"¹ .

ج/ الدور الحضري والعمري

1/ الصنائع والتمدن :

نتطرق إلى علاقة الصنائع بالمدن باعتبار أن المدينة هي المكان المناسب للحضارة لذا طالما يقترن التطور العمري والحركية السائدة في المدن بالتطور الصناعي بل إن هذا الأخير يعود من أساسياته وأضحى مؤشرا على الجانب الحضري، وفي الحقيقة أن العلاقة بينهما دائرية فبقدر ما تمثله المدن من بيئة خصبة للرواج الصناعي بقدر تساهم هاته الصنائع في التبحر العمري وفي ازدهار المدن وديناميكيته المتعددة . وهنا نستدعي مرة أخرى الطرح الخلدوني الرائد في هذا المجال والذي يعتبر أن الصنائع مرحلة ثانية مبتعدة عن البداوة، وكلما عظمت المدن وتبحرت في العمران كلما زادت الحاجة إلى صنائع جديدة فعلى " مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حينئذ واستجابة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة" و "إذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكماليات كان من جملةها التأنيق في الصنائع واستجاءتها"² .

وسنحاول من خلال الجدول التالي تبيان مظاهر التمدن في المغربين من خلال النصوص المصدرية :

المدينة	الدلالة التاريخية	المصدر
فاس	قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى وهي حضرتها الكبرى لها من كل شيء حسن أكبر ونصيب وأوفر حظ	الإدريسي، نزهة، ج1، ص 246.
	حاضرة المغرب، يقصدها الناس من جميع الأقطار وفيها من البناء الحسن المقاصير .	الزهري، الجغرافيا، ص 115.
	وهي في نهاية العمارة والاصلاح	الحميري، الروض، ص 434.
	وما أظن في الدنيا مدينة كفاس أكثر المرافق وأوسع المعاش	المراكشي، المعجب، ص 290 .

¹ ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 406 .

² ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 502.

	انتهت ... من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب لاسيما أيام المنصور والناصر	الجزنائي، زهر الآس، ص 43.
	مدينة كبيرة جدا، متحضرة جدا أبنيتها جميلة جدا	الوزان، ج1، ص 221، 246.
مراكش	أكبر مدن المغرب الأقصى، أزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية	الإدريسي، ج1، ص 234.
	صارت أوسع البلاد معاشا وأكثرها خلقا وأرباحها تجارة. فصارت مراكش مصر الأمصار وغاية في الفخامة وارتفاع المقدار .	ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين ص 153، 174.
	عظمت في الدولتين فكانت أكبر مدن المغرب الأقصى، عظمت تجارتها وتنافس الناس في البناء فيها، وبنيت فيها القصور والأسواق و الفنادق	كتاب الاستبصار ، ص 209، 210. الحميري، الروض المعطار، ص 540.
طنجة	مدينة حسنة لها أسواق و صناع وفعلة	الإدريسي، نزهة، ج2، ص 529.
سلا	مدينة حسنة لها أسواق نافقة و تجارات ودخل وخرج وتصرف لأهلها وسعة أموال ونمو أحوال .	الإدريسي، نزهة، ج1، ص 239.
	ذات تحضر وترف وبذخ	الوزان، ج1، ص 208.
رباط الفتح	مدينة عظيمة على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه .	ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص 9.
مكناس	مدينة عامرة لها أسواق عامرة	الإدريسي، ج1، ص 244.
	مدينة جليلة فيها الأسواق الحفيلة	الحميري، ص 544.
	عمرت المدينة ونفقت الأسواق وقويت التجارة	ابن غازي، الروض المتهون، ص 10.
	مدينة حسنة الترتيب والتنسيق بها مساجد ومدارس	الوزان، ج1، ص 214.

	وحمامات وسوق .	
سجلماصة	كثيرة العامر مقصد للوارد والصادر بها قصور وديار وعمارات متصلة	الحميري، الروض، ص 305.
تلمسان	مدينة عظيمة لها أعمال كثيرة .	الزهري، الجغرافيا، ص 113.
	مدينة كبيرة جميلة المنظر، بها أسواق قائمة، وهي مدينة ذات منظر ومخبر وأقطار متسعة ومبانيها متسعة .	العبدري، الرحلة، ص 27 - 28.
	وكم أبقى بتلمسان من آثار حسان ومصانع يعجز عن وصفها كل لسان .	النميري، فيض العباب، ص 488.
	مدينة عظيمة، لها عمائر متصلة ومدن كثيرة ترجع إلى نظرها .	الحميري، ص 136.
	مدينة عريقة في التمدن، بها للملك قصور زاهرات اشتملت على المصانع الفائقة والصورح الشاهقة هي التي سحرت الألباء رواء وأصبحت النهى جمالا	المقري، نفع الطيب، ج 7، ص 134.
مدينة كبيرة بلغت درجة عالية من الازدهار أيام بني عبد الواد	الوزان، ج 2، ص 17.	
بجاية	مدينة بجاية قطب لكثير من البلاد بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد .	الإدريسي، ج 1، ص 260.
	بجاية مبدأ الإتقان والنهاية مدينة كبيرة وثيقة البيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني	العبدري، الرحلة، ص 23 .
وهران	بها أسواق مقدره وصنائع كثيرة وتجارات نافعة	الإدريسي، ج 1، ص 258.
	بها عدد كبير من المباني مثل المدارس والمستشفيات والحمامات والفنادق والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة	الوزان ، ج 2، ص 30.
الجزائر	مدينة عامرة أهلة أسواقها قائمة وصناعاتها نافعة .	الإدريسي، ج 1، ص 258.

الوزان، ج2، ص 37.	مدينة كبيرة جدا، بها دور جميلة و أسواق منسقة وعدد من الفنادق والحمامات	
-------------------	---	--

أفادتنا إشارات النصوص في الوقوف على أبرز الملامح الحضرية لعدد من المدن بالمغربين الأوسط والأقصى وهي انطباعات من أصحابها تشمل المباني والمرافق والخدمات تدل ولو جزئيا على أهمية هذه المدن واستقطابها الحضري، وبطبيعة الحال تتباين درجات التمدن بين المدن التي ذكرناها وهذا يرجع إلى عوامل جغرافية وسياسية واجتماعية، حيث أن البعض منها لم تكن ذات استقطاب تجاري وثقافي ولم تشغل دور العاصمة الإدارية لأي دولة من دول العصر الوسيط مما يفسر ظهور المحتشم على أرض الواقع وفي النصوص التاريخية .

تفوقت مدينة فاس على كل مدن المغرب الإسلامي ووصلت إلى مستويات متقدمة من النمو العمراني والاقتصادي، وما يحسب لها أنها ظلت في منحى تصاعدي ومستمر حتى في الفترات التي لم تشغل فيها وظيفة قاعدة الحكم مثلما حدث في عهد المرابطين والموحدين يوم انصرفوا عنها إلى مدينة مراكش، وهذا لم يتأتى لمدن أخرى فمثلا مراكش لما انصرف عنها بنو مرين وحولوا العاصمة إلى فاس ظهرت عليها ملامح التراجع شيئا فشيئا حتى طال الخراب أجزاء كبيرة منها منذ القرن الثامن وامتعض كل من شاهد حالتها المزرية¹.

وبالمقابل تفوقت تلمسان على مدن المغرب الأوسط وصلت إلى قمة تحضرها أيام بني عبد الواد، وبالنسبة للمدن المتوسطة والصغيرة فإنها وإن لم تبلغ ما بلغته المدن الكبرى من تبحر في العمران وازدياد متطلبات الترف وكثرة الصنائع لكنها حظيت ببعض من تلك المظاهر على قدر نموها فكان لها بعض المرافق والأسواق والصنائع والبنائيات، بالإضافة إلى هذا كله أن مدن بلاد المغرب عموما لم تكن على حالة واحدة طيلة العصر الوسيط كما ذكرنا بل إن التقلبات السياسية والاجتماعية بالمنطقة جعلها تراوح بين التقدم والتراجع.

¹ ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص 163.

2/ العمارة المدنية :

نتوصل هنا الى مجهودات السلطة في تشييد بنايات والصروح الحضارية التي سجلت في التاريخ من جملة إنجازاتهم، وبطبيعة الحال تكون هذه المهمة منوطة بالبنائين والمهرة والفنانين الذين تركوا بصمة واضحة في هذا المجال تشهد عليها أعمالهم إلى اليوم . ومن بين البناءات التي شيدت في فترة الدراسة :

. القصور :

أقدم السلطان الزياني يغمراسن بن زيان علي تشييد قصر له في جنوب المدينة ليكون مقرا للإقامة وممارسة الحكم وأسماه قصر المشور، تم تحصينه وإحاطته بالأسوار وبنيت بداخله مرافق أساسية كالمسجد ومخازن السلاح ومسكن السلطان وأهله¹ .

وقام السلطان أبو حمو موسى الأول (707 - 718 هـ / 1307 - 1318م) بتعديلات وإضافات عليه، كما أنه بنى قصرا آخر سمي بالدار البيضاء، وقد ضوعفت تحصينات المشور أيضا في عهد أبي العباس أحمد (834 - 866 هـ / 1431 / 1462م)² .

وقد ورد في النصوص اهتمام سلاطين بني زيان ببناء القصور خاصة السلطان عبد الرحمان أبي تاشفين (718 - 737 هـ / 1318 - 1337م) الذي عرف بذلك فقد وصفه ابن الخطيب بأنه متم بتشييد القصور والمصانع والمنتزهات³، وصلتنا ثلاث أسماء من هاته القصور وهي دار السرور، دار الملك، قصر أبي فهر⁴ .

كما شيد بنو مرين قصورا في فاس اندثرت معالمها والأخبار عنها قليلة جدا، ذكر كل من العمري وابن الأحمر أن بستان السلطان المريني الموسوم بالمصاراة له فيه قصر جليل جميل وهو خارج فاس الجديدة⁵، ومن بين

¹ عطاء الله دهينة، الحصار الجزائرية في عهد الزيانيين، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ (العهد الاسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص463؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 114.

² رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 48.

³ ابن الخطيب، رقم الحلل من نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ، ص 73.

⁴ التنسي، المصدر السابق، ص 140؛ يحيى بن خلدون، الصدر السابق، ج2، ص 239.

⁵ العمري، المصدر السابق، ج4، ص 90؛ ابن الأحمر المصدر السابق، ص 48.

القصور أيضا قصر " قصر الطرقي " بفاس القديمة قرب حي الزيات، والقصر الذي أنشاه أبو سالم إبراهيم (706 - 762 هـ / 1358 - 1360 م) بقصبة فاس¹ .

• المساجد :

في مدينة مراكش نجد مسجد علي بن يوسف الذي شيد سنة 526 هـ / 1132 م، ومسجد الكتبية سنة 553 هـ / 1157 م، ومسجد ابن صالح سنة 715 هـ / 1316 م² .

أما في رباط الفتح فظهر جامع القصبة في عهد عبد المؤمن بن علي (524 - 548 هـ / 1130 - 1136 م)، ومسجد حسان في عهد يعقوب المنصور (580 - 595 هـ / 1184 - 1199 م)³ .

وبالنسبة لفاس فهناك المسجد الكبير بفاس الجديد الذي بني سنة 677 هـ / 1277 م، ومسجد أبي الحسن 742 هـ / 1341 م، مسجد الأزهر 759 هـ / 1357 م، مسجد الحمراء والشرابيين (الصفارين) في عهد أبي الحسن (731 - 749 هـ / 1331 - 1348 م) وكل من مسجد السمارين وابن أبي برقوقة سنة 725 هـ / 1325 م⁴ . بالإضافة إلى مسجد تينملل 548 هـ / 1154 م، وجامع تازة 529 هـ / 1133 م⁵ ، والجامع الأعظم بسلا في عهد المنصور (580 - 595 هـ / 1184 - 1199 م)⁶ .

وشهدت تلمسان هي الأخرى بناء مجموعة من المساجد على فترات مختلفة مثل الجامع الأعظم 530 هـ / 1135 م، مسجد أبي الحسن 696 هـ / 1296 م، مسجد أولاد الإمام 710 هـ / 1310 م، مسجد ابراهيم المصمودي في عهد أبو حمو موسى الثاني (763 - 765 هـ / 1363 - 1365 م)، مسجد أبي مدين بالعباد 739 هـ / 1339 م⁷ ، أما وهران فشيدها جامع البيطار سنة 747 هـ / 1347 م⁸ .

¹ رشيد خالدي، المرجع السابق، ص 290.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 297، 299 .

³ سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 123، 139 .

⁴ عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج4، ص 154، 148، 158، 161، 164؛ ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص 159 .

⁵ عبد الله علام، المرجع السابق، ص 372، 374.

⁶ حمدي عبد المنعم، مدينة سلا، ص 69 .

⁷ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص 187، 214، 257، 264؛ عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 147 ،

⁸ وردة شرقي، المرجع السابق، ص 162.

• المدارس:

في فاس بصمت المدارس حضورها منذ العهد المريني بداية من مدرسة الحلفاويين سنة 679هـ/1280م، ثم مدرسة دار المخزن 720هـ/1321م، ومدرسة الصهريج 721هـ/1321م، بعدها مدرسة العطارين 723هـ/1323م، والمدرسة المصباحية 745هـ/1345م، المدرسة البوعنانية 751هـ/1351م، مدرسة الوادي في عهد أبي سعيد عثمان 710 - 731هـ/ 1911 - 1331م، مدرسة اللبديين عهد أبي يوسف يعقوب (656-685هـ/ 1258-1268م)، وكذلك شهدت مكناس بناء مدرسة الشهود سنة 674هـ / 1275م¹، وبمدينة سلا وجدت مدرسة أبي الحسن حوالي 742 هـ / 1341م².

وتأسست المدارس بتلمسان أيام بني عبد الواد مثل المدرسة التاشفينية عهد أبو تاشفين عبد الرحمان 717 - 737هـ/ 1318 - 1337م، مدرسة أبي مدين بالعباد سنة 747 هـ/ 1347م، مدرسة سيدي الحلوي 754 هـ/ 1353م، والمدرسة اليعقوبية في عهد أبو حمو موسى الثاني (760 - 791هـ/ 1358-1388م)³.

• الفنادق :

هي مرافق ذات خدمات متعددة، ظهرت ببلاد المغرب في فترة مبكرة وازداد انتشارها مع نشاط الحركة التجارية وازدهار المدن تحتوي على عدة منشآت بداخلها كمخازن السلع ودكاكين متنوعة البضائع وحجرات لإقامة التجار وحتى أماكن للعبادة، أي أنها أشبه بمدن مصغرة بما كل متطلبات الحياة⁴، وقد أشرفت السلطة الزمنية على بناء الفنادق والاعتناء بها بصفة رسمية نظرا لتطور المدن وزيادة الاقبال عليها من طرف الغرياء، وأيضا لارتباطها بعلاقات تجارية واتفاقيات رسمية مع دول مختلفة خاصة الأوروبية منها.

عدد الجزنائي الفنادق الموجودة بفاس وحدها أيام الموحدين بنحو أربعمئة وتسعة وستون⁵، وهو عدد ضخم بالنسبة لمدينة واحدة، وذكر الوزان أن فاس العتيق في أيامه بما نحو مائتي فندق كبيرة حسنة البناء وكثيرة

¹ ابراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص 156، 158؛ محمد السيد أبو رحاب، المرجع السابق، ص 285، 298، 326، 390، 408.

² حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 70.

³ مختار حساني، المرجع السابق، ج2، ص 275، 276، 277.

⁴ علي عشي، المرجع السابق، ص 539-542.

⁵ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

الغرف¹، وبالمقابل وجد بمدينة مراكش فنادق عدة ذكر منها فندق السكر وفندق لبيب وفندق مقبل وفندق الأرنبة²، وتعد سبتة رائدة في بناء الفنادق وصل عددها في عصر المرينيين ثلاثمئة وستون فندقا كان أشهرها وأحسنها بناء الفندق الكبير الذي أنشأه أبو القاسم العزفي، ووردنا من الفنادق الأخرى فندق الوهراني وفندق غانم ذو الثلاث طوابق وفندق الزيات بغرب مقبرة السوق³، وعرفت مدينة سلا هي الأخرى إنشاء الفنادق بها كان أكثرها شهرة فندق أسكور وفندق الزيت⁴، وإلى تلمسان الزيانية أين ظهرت الفنادق بصورة مكثفة أكثرها شهرة فندق أبي علي وهو أكبر الفنادق ذات طابقين يضم غرف ومحازن ودكاكين، وفندق الحامي، فندق الرمانة يحمل اسمه من الرمانة التي تتوسطه، فندق العباد وهو من بناء بني مرين، فندق المجاري⁵، وفي وهران وجدت فنادق للتجار الجنوبيين فيها " دار الجنوبيين لأنهم كانوا يقيمون بها"، ووجدت فنادق للكتلانيين وأخرى لتجار مرسليليا⁶، أما بجاية فشهدت ظهور الفنادق بشكلها الخاص والعام وقد أشار الغبريني إلى تواجد الفنادق بها في معرض حديثه عن الجوائح وطلب الفقيه أبي زكريا الزواوي المعدمين إلى الالتجاء للفنادق⁷، أما الفنادق الأخرى فكانت من نصيب التجار الأوروبيين منها فندقا للجنوبيين وفندقا للكتلانيين وآخر للبيزيين⁸.

. القيساريات :

عبارة عن بنايات تجارية كبيرة مغلقة تحظى بتنظيم إداري محكم، محاطة بأسوار تضم أبوابا بداخلها دكاكين متنوعة المنتوجات والبضائع ومحازن للسلع، أي أنها بمثابة مدن تجارية صغيرة تابعة للسلطة التي تقوم ببنائها والإشراف على إدارتها وتحصيل المداخل المالية منها، كانت مصدرا للسلع الفاخرة والمنتجات العالية الجودة والقيمة⁹، ومن أشهر القيساريات التي أنشئت بالمغربيين :

¹ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 231.

² ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 90؛ حارث علي عبد الله، ص 603

³ الأنصاري، المصدر السابق، ص 38-39.

⁴ حمدي عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العصر الاسلامي، ص 71.

⁵ علي عشي، المرجع السابق، ص 547-548.

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 20.

⁷ الغبريني، المصدر السابق، ص 135.

⁸ خديجة بورملة، المرجع السابق، ص 86.

⁹ محمد علي أحمد قويدر، المرجع السابق، ص 71؛ مسعود كربوع، النظام المالي، ص 536.

قيصارية مراكش أمر ببنائها الخليفة الموحد يعقوب المنصور، اكتمل بنائها سنة 585هـ/1189م، ظهرت فيها كل مقومات العظمة والجمال المعماري حتى وصفها صاحب الاستبصار بأنها " أعظم قيسارية لم يبن في مدن الأرض أعظم منها"¹، وزاد ابن عذاري عليه فقال : " كانت كالمراة في وجه القصر تضيء به من أكتافه وكالورد العذب والمادة لتأتي مؤنه وجميع لباناته"²، أعاد مُجدُّ الناصر بنائها بعد الحريق الذي تعرضت له سنة 607هـ/1210م إلى أن تم تدميرها وحرقتها ثانية من طرف قبيلة هسكورة سنة 664هـ/1265م³.

وفي مدينة فاس وجدت قيصاريتين بها في عهد الموحدين كما أشار إلى ذلك الجزنائي واحدة مشيدة بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس تضم كل منهما أسواقا كثيرة⁴، وفي عصر بني مرين وجدت قيصارية كبيرة ذات اثني عشر بابا تتكون من خمسة عشر حيا يضم كل حي منها مجموعة من الأسواق⁵.

أما مدينة سلا توفرت كذلك على قيصارية وصنفت بأنها قيصارية عظيمة⁶، في حين اشتملت مدينة سبتة على قيصارية تمومت خلف الجامع الأعظم⁷.

وبتلمسان أقام السلطان أبو حمو موسى الأول قيصارية كبيرة أضحت السوق الرئيسية بالمدينة وقبلة للتجار الأجانب والمحليين⁸، وبمدينة بجاية ذكر الغبريني وجود قيصارية كبيرة بها في زمنه⁹.

• الحمامات :

ذكر الجزنائي أن فاس كانت تتوفر على ثلاث وثلاثون حماما في عهد الموحدين¹⁰، ازداد عددها حتى وصل المئة أواخر عهد بني مرين¹¹، في حين وجد بسبتة إثنان وعشرون حماما زائد عشرة بقصبة المدينة اشتهر منها حمام

¹ مجهول، الاستبصار، ص 210.

² ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 258.

³ نفسه، ص 258، 439.

⁴ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 240.

⁶ مجهول، الاستبصار، ص 141.

⁷ الأنصاري، المصدر السابق، ص 36.

⁸ لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 175.

⁹ الغبريني، المصدر السابق، ص 59، 82.

¹⁰ الجزنائي، المصدر السابق، ص 44.

¹¹ الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 229.

القائد وحمّام أبو علي ناصح، حمّام بن عيسى حمّام اليانثي¹، وبني بسلا حمّام كبير سنة 760هـ/1358م²، وأنشأ بوجدة حمّام سنة 696هـ/1296م³، وعرفت رباط الفتح بحمام العلو ذات البناء المتقن⁴، وبمستغانم⁵ والجزائر وبجاية حمّامات كثيرة⁶، أما تلمسان فاشتهر من حمّاماتها حمّام الصباغين، حمّام سيدي بومدين بالعباد، حمّام الطبول⁷، حمّام العالية الذي أعجب به العبدري كثيرا وذكر أنه "قل ما يرى له نظير"⁸.

¹ الأنصاري، المصدر السابق، ص 34-35 .

² عثمان عثمان إسماعيل، المرجع السابق، ج4، ص 254 .

³ نفسه، ص 254 .

⁴ سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 147 .

⁵ الادريسي، المصدر السابق، ج1، ص 271 .

⁶ الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 37، 50 .

⁷ محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ج1، ص 217 .

⁸ العبدري، المصدر السابق، ص 15 .

خاتمة

الملاحق

1. جدول يمثل أبرز الجوائح التي أمت ببلاد المغرب من ق 6 إلى ق 9 هـ
2. صور سياج خشبي من بقايا مقصورة جامع تلمسان
3. صورة باب خشبي يعود لمدرسة زيانية
4. صورة قالب ضرب السكة يعود لسنة 509 هـ / 1116م
5. صورة خلخال ذهبي يعود إلى ق 6 هـ / 12م
6. صورة مد مريني نحاسي يرجع للقرن 08 هـ / 14م
7. صورة مسمارين حديديين مزخرفين يعودان للفترة الوسيطة
8. صورة طبطبة باب حديدية
9. رسم نموذجي أطباق نجمية ذات ثمانية رؤوس وإثني عشر رأسا
10. رسم نموذجي لكيزان الصنوبر
11. رسم نموذجي لورق الأكتنس
12. رسم نموذجي للمراوح النخيلية
13. صورة قطعة جصية مزخرفة من مسجد أولاد الامام الفترة الزيانية
14. صورة قطعة جصية ذات زخارف نباتية مأخوذة من قصر المشور الفترة الزيانية
15. صورة حوض رخامي مأخوذ من مسجد العباد الفترة المرينية
16. صورة جزء من حوض رخامي عثر عليه بالمنصورة الفترة المرينية
17. صورة قطعة زليج متعددة الألوان ذات زخارف هندسية تنتمي الى قصر المشور
الفترة الزيانية
18. صورة بلاطات خزفية مصدرها قصر المشور الفترة الزيانية
19. مخطط توزيع أسواق مدينة فاس
20. مخطط توزيع أسواق مدينة تلمسان

ملحق رقم 1 : أبرز الجوائح التي أمت ببلاد المغرب من ق 6 إلى ق 9 هـ

الزمن	الجائحة	المكان	التفاصيل والأوصاف	المصدر
524هـ	قحط	فاس وماحولها	كان القحط والوباء	ابن القطان ، نظم الجمان ص 217
532هـ	فيضان	طنجة	سيل عظيم حمل الديار والجدر ومات خلق عظيم من الناس والدواب	ابن عذاري ، البيان المغرب، ج 4، ص 96
534 هـ	جفاف	مراكش	تولاهما الجذب حتى جفت الأرض مذائبها وأغبرت جوانبها	ابن عذاري ، البيان المغرب، ج 4، ص 16
536هـ	فيضان	فاس	. حملت الوديان أكل وادي فاس باب السلسلة وأكل واد سبو مع واد ورغة أخبية لمطة	البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص 50 .
511هـ	وباء	مراكش	لم يعهد مثله في ما تقدم من الأزمنة قبله ، يموت في كل يوم مئة إلى مئة وتسعون شخص، لا يكاد يدخل أحد المدينة ولا يخرج منها	ابن عذاري ، قسم الموحدين ، ص 136 ، 137
588هـ	مجاعة ووباء	بجاية	المجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عم الموتان	ابن عذاري ، قسم الموحدين ، ص 181 .
591هـ	جفاف	سبتة	نزل بسكان سبتة تبعته مجاعة شديدة	الكتاني سلوة الأنفاس ج 3 ص 432
610هـ	قحط ومجاعة ووباء	بجاية، المغرب الأندلس	وقعت مجاعة ... إلى أن اخصب الناس في العام التالي وفيها وكان الوباء بالمغرب والاندلس	ابن الزيات ، التشوف ، ص 429 . مجهول ، الذخيرة السنوية ، ص 49 ، الناصري ، الاستقصا ، ج 3 ، ص 4

الملاحق

616هـ	مجاة	المغرب	مجاة شكاهها الضاعن والمقيم ، بدأت منذ سنتين .	ابن عذارى ، قسم الموحدىن ، ص 266 .
617هـ	قحط	المغرب والأندلس	كان الغلاء الشدىد بالمغرب والقحط والجراد	ابن ابى زرع ، القرطاس ص 358.
620هـ	قحط وجفاف	مراكش وأجزاء من المغرب	شدة غلاء الأسعار انجس المطر عنهم لاربع سنوات	المراكشى ، الذىل والتكملة س 8 ق 1 ص 175 ابن نظىف الحموى ، تلخىص الكشف والبيان ، ص 84
626هـ	سىل	فاس	سىل عظمى هدم سورها وأخذجامعها ودىار وفنادق	ابن ابى زرع ، القرطاس ص 274
630هـ	مجاة ووباء	المغرب	وفىها خلت بلاد المغرب وكثرت فىه الجوع والوباء .	ابن ابى زرع ، القرطاس ، ص 361.
632هـ	مجاة	المغرب	ضاقت الارض بما رحبت على الناس لانقطاع المرافق والمواد وارتفعت الاسعار وعدمت الأقوات .	ابن عذارى ، قسم الموحدىن ، ص 318 .
634هـ 635هـ	مجاة ووباء	المغرب	الغلاء المفرط اشتد الغلاء والوباء حتى أكل الناس بعضهم البعض	ابن أبى زرع ، القرطاس ، ص 318 . ابن عذارى ، قسم الموحدىن ، ص 339 .
637هـ	جفاف	سبته وأكثر بلاد المغرب	غلاء الأسعار لكثرة الفتىن وقلة الأمطار	ابن عذارى ، البيان المغرب قسم الموحدىن ص 351
منتصف ق 7هـ	جفاف	بجاية	أصاب الناس جفوف عظمى وقلت المىاه	التنبكى ، نىل الابتهاج ، ص 320 .

الملاحق

السلامي، الاستقصا ، ج3 ص 89	قحط شديد لم ير الناس قطرة ماء	لمغرب	قحط	683 هـ
السلامي ، الاستقصا ، ج3 ص 89 ابن أبي زرع ، القرطاس ص408	قحط شديد توالى ذلك إلى اخر العام تسعين	المغرب	قحط	687 إلى 690 هـ
ابن خلدون ، العبر ج 7 ص 454 ابن أبي زرع ، القرطاس ص 409	أصاب الناس قحط في هذا العام وما بعده وفيها كانت المجاعة شديدة والوباء العظيم	المغرب وإفريقية ومصر	قحط ومجاعة	692 إلى 693 هـ
يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ج1 ص121 . التنسي ، نظم الدرر والعقيان ، ص130.	غلت الاسعار وهلك الناس بالجوع	تلمسان	مجاعة	698 إلى 707 هـ
السلامي ، والاستقصا ، ج3 ص178	كان القحط بالمغرب وأقيمت صلاة الاستسقاء	المغرب	جفاف	711 هـ
ابن أبي زرع ، القرطاس ص 113 ابن القاضي ، لقط الفرائد ، ج2 ، ص179 .	وفيها كان القحط واستسقا الناس . ارتفع السعر وبدأت المجاعة الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة	المغرب	القحط ومجاعة	723 هـ ، 724 هـ
السلامي ، الاستقصا ، ج3 ص 179	سيول طاغية حملت الناس والدواب والمواشي وأهلكت الزرع	فاس	سيول	724
السلامي ، الاستقصا ، ج3 ص 180	دخل السيل العظيم فاس وكاد يأتي عليها هدم الدور والمساجد والأسواق وأهلك	فاس	سيول وفياضانات	725 هـ

الملاحق

ابن أبي زرع ، القرطاس ص 414 .	الخلف وقطع الشجر وهدم القناطر وسوق الصباغين وسوق الرصيف وألف دار ومئة والأرحاء والأفران والخوانيت			
ابن مرزوق المسند ، ص 261	وقع الوباء توفي فيه أبو عبد الله الرندي .	الجزائر	وباء	740 هـ
بن بطوطة ، تحفة الانظار ، ج 2 ، 670 . ابن خلدون ، المقدمة ، 42 ، 43 .	- تولى الخراب على مراكش . - طوى البساط بما فيه	المغرب الأقصى المغرب الأوسط أجزاء كبيرة من العالم	الطاعون الجارف (الاسود)	749 هـ
ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ج 3 ص 61	عظم الجفاف وعصفت الريح والرجف	المغرب	جفاف	763 هـ

ملحق رقم 2: سياج خشبي من بقايا مقصورة جامع تلمسان



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 4 : قالب ضرب السكة يعود لسنة 509هـ / 1116م



المصدر : متحف الآثار القديمة والفنون الإسلامية الجزائر (تصوير الباحث)

ملحق رقم 5 : خلخال ذهبي يعود للقرن السادس هجري



المرجع : نعيمة مختيش، المرجع السابق، ص 200.

ملحق رقم 6 : مد مريني نحاسي يرجع للقرن 08 هـ / 14م



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 7 : مسمارين حديديين مزخرفين يعودان للفترة الوسيطة

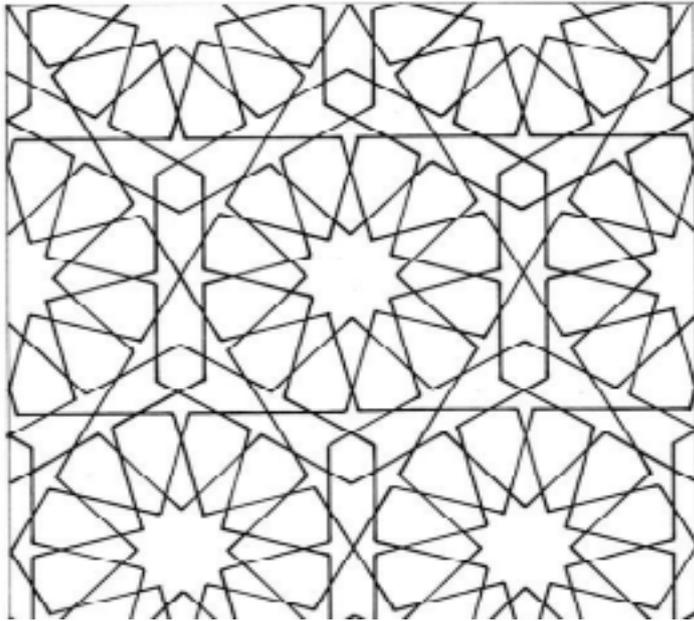
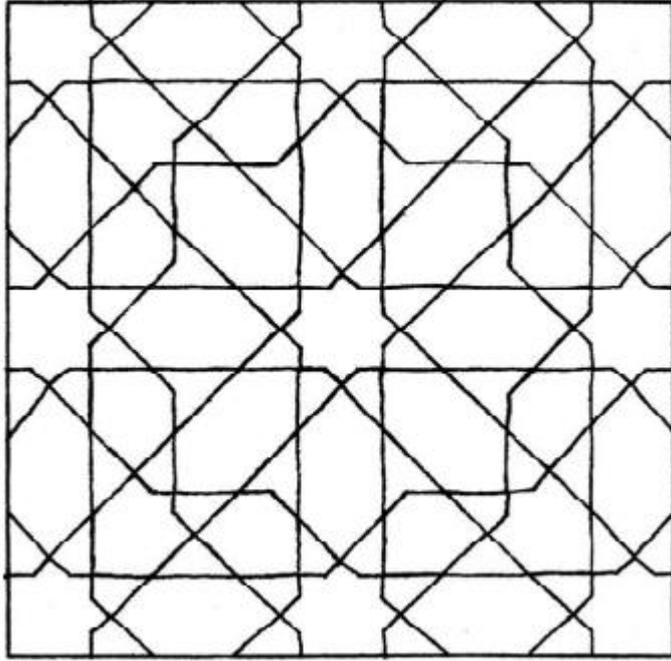


المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)



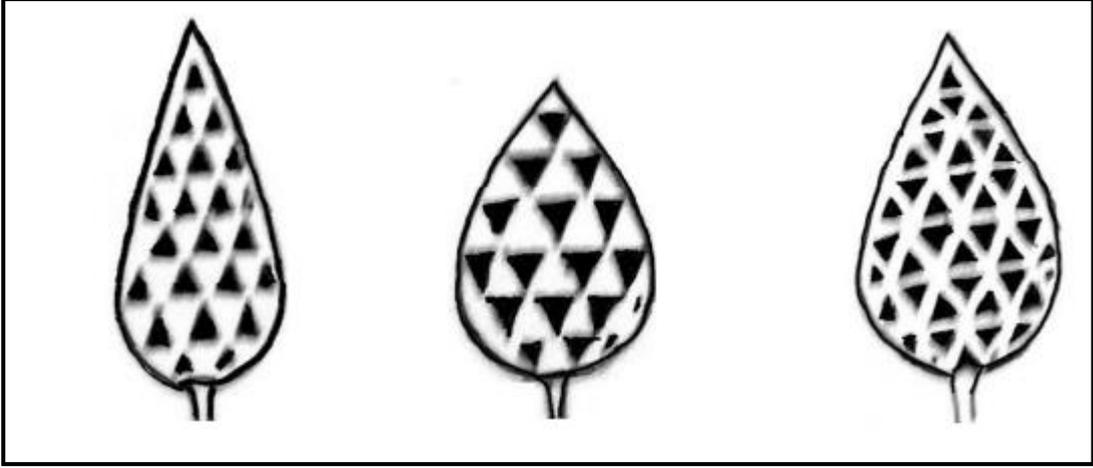
المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 9 : أطباق نجمية ذات ثمانية رؤوس وذات إثني عشر رأسا



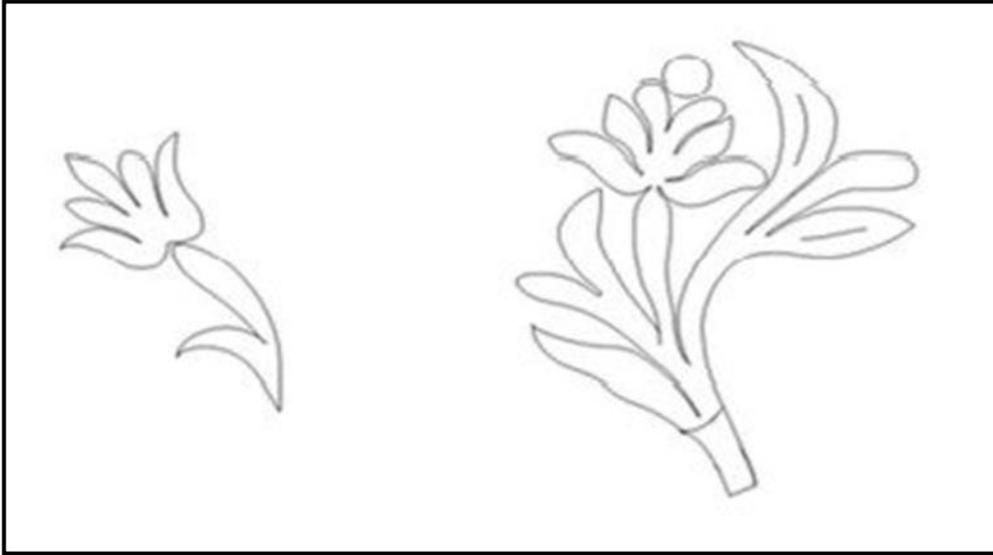
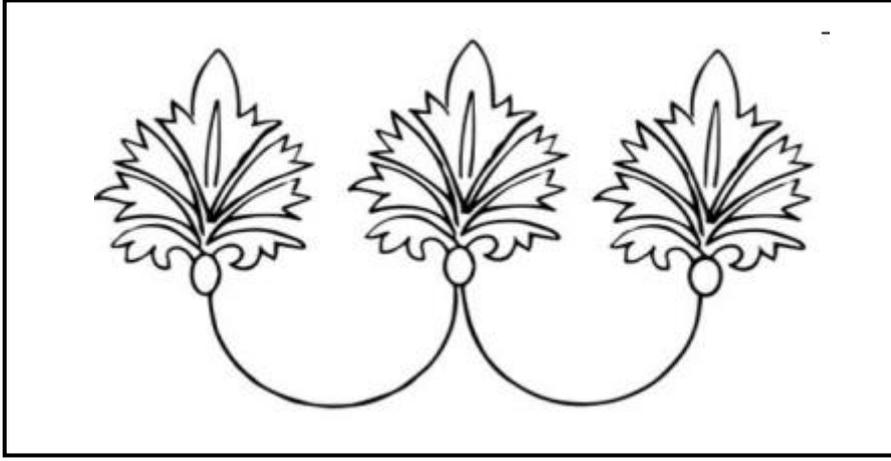
المرجع : محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 364 .

ملحق رقم 10 : رسم نموذجي لكيزان الصنوبر



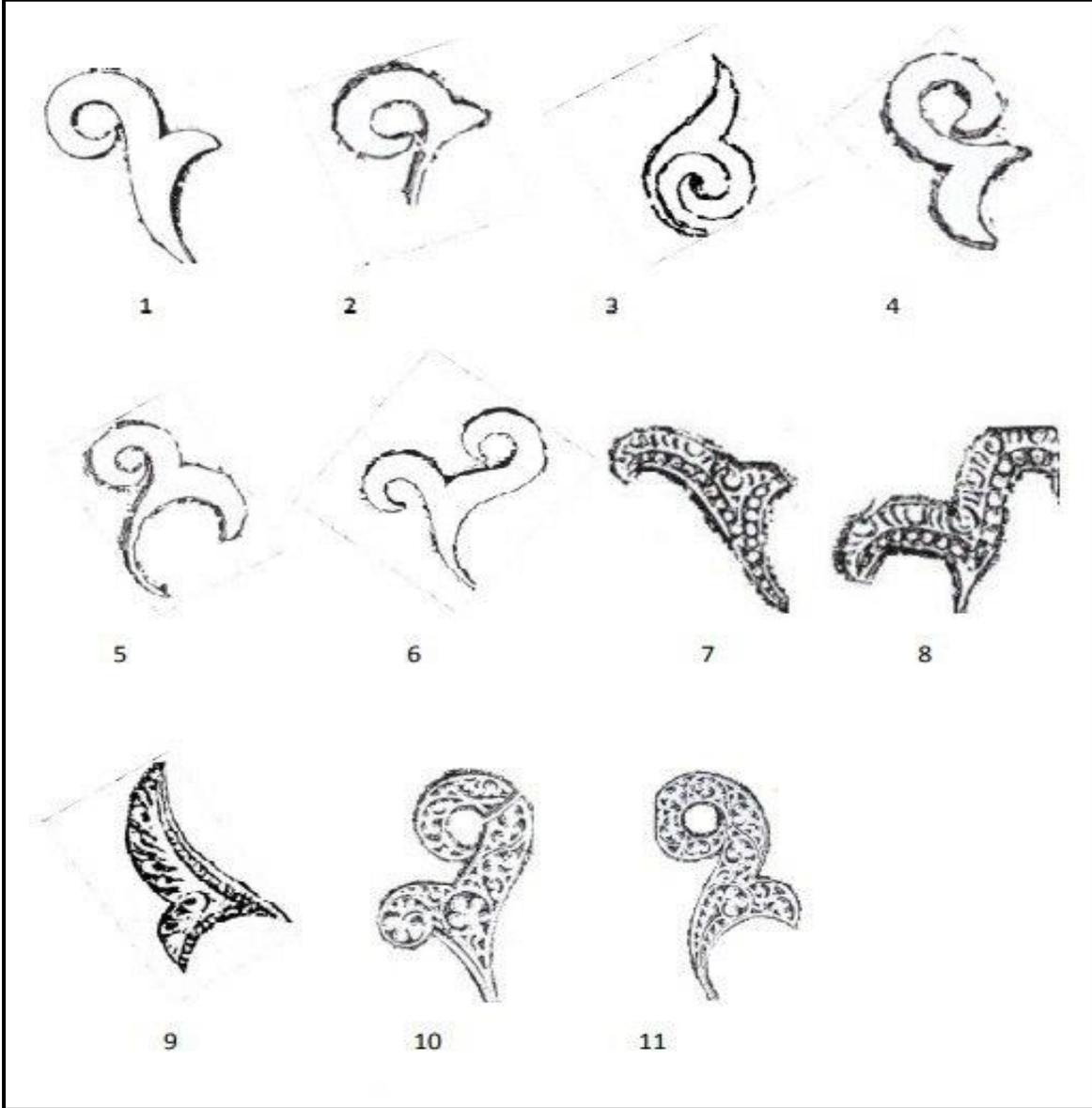
المرجع : محمد لخضر عولمي، المرجع السابق، ص 336 .

ملحق رقم 11 : رسم نموذجي لورق الأكتنيس



المرجع : خولة نواري، المرجع السابق، ص 273، 274 .

ملحق رقم 12 : رسم نموذجي لمراوح نخيلية



المرجع: محمد لخضر علومي، المرجع السابق، ص 331 .

ملحق رقم 13 : قطعة جصية مزخرفة من مسجد أولاد الامام الفترة الزيانية



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 14 : قطعة جصية ذات زخارف نباتية مأخوذة من قصر المشور الفترة الزيانية



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 15 : حوض رخامي مأخوذ من مسجد العباد الفترة المرينية



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 16 : جزء من حوض رخامي عثر عليه بالمنصورة الفترة المرينية



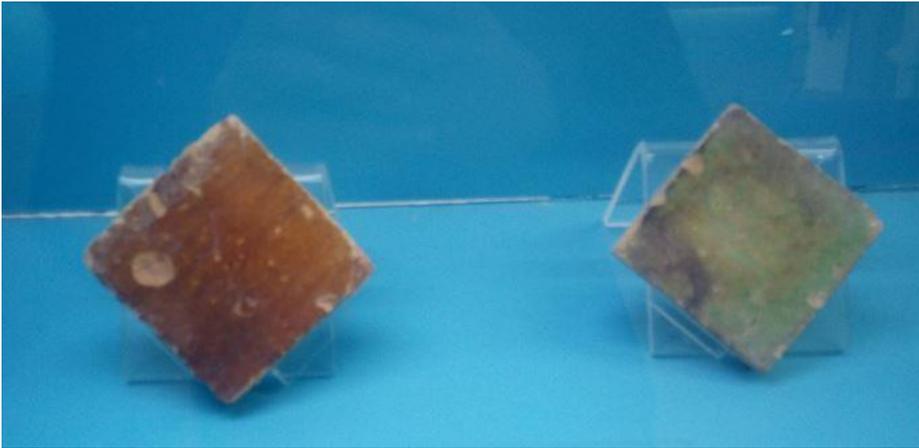
المصدر : متحف تلمسان

ملحق رقم 17 : قطعة زليج متعددة الألوان ذات زخارف هندسية تنتمي الى قصر المشور الفترة الزيانية



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

ملحق رقم 18 : بلاطات خزفية مصدرها قصر المشور الفترة الزيانية



المصدر : متحف تلمسان (تصوير الباحث)

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

1. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت726هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
2. -----، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، د ن، الرباط، 1972م.
3. ابن الآبار القضاعي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، ت658هـ/1238م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م.
4. ----، الحلة السبراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
5. ابن الإخوة القرشي (محمد بن محمد، ت729هـ/1329م)، معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد شعبان، صديق أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1976م.
6. ابن الأزرق (أبو عبد الله محمد، ت896هـ/1490م)، بدائع السلك في طباع الملك، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1977م.
7. ابن الأحمر (اسماعيل ت807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
8. ابن الجزائر (أبي جعفر أحمد ت369هـ/980م)، كتاب في فنون الطيب والعطر، تحقيق: الراضي الجازي، فاروق العسلي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2007م.
9. ابن الجزري الدمشقي (شمس الدين، ت833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.
10. ابن الحاج العبدري (أبو عبد الله محمد ت737هـ/1336م)، المدخل، ج4، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت،
11. ابن الخطيب (لسان الدين ت776هـ/1374م)، الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق: محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، دت.
12. ----، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق: حسن قارة، دار الأمان، الرباط، 2015م.
13. ----، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد مفتاح، مج1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1989م.

14. ----، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق: مُجَّد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
15. ----، رقم الحلل من نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.
16. ابن الرامي (مُجَّد بن إبراهيم عاش ما بين القرنين 7 و8هـ/13 و14م)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق: فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، 1999م.
17. ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 2، 1997م.
18. ابن العوام الاشبيلي (أبو زكرياء يحيى بن مُجَّد، ت580هـ/1184م)، الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور أبو سويلم آخرون، ج2، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 2012م.
19. ابن القاضي المكناسي (أحمد ت1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
20. ابن القنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني، ت810هـ/1407م)، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: مُجَّد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
21. ابن القوطية (أبو بكر مُجَّد بن عمر ت367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
22. ابن المؤقت (مُجَّد بن مُجَّد المراكشي)، تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس، مطبعة حجرية، دت.
23. ابن الوردي (سراج الدين عمر ت861هـ/1457م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، بيروت، دت.
24. ابن بسام (شمس الدين مُجَّد)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: أحمد فريد المزبدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
25. ابن بكرة (منصور الكامل)، كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، تحقيق: عبد الرحمان فهمي، د، القاهرة، 1954م.
26. ابن بلكين (عبد الله بن باديس)، التبيان، تحقيق: ليفي برونفسال، دار المعارف، مصر، دت.
27. ابن تومرت (مُجَّد بن عبد الله الهرغي المصمودي، ت524هـ/1129م)، أعز ما يطلب، تحقيق: عمار طالي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
28. ابن جلجل (سليمان بن حسان، عاش في القرن 4هـ/10م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيد، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

29. ابن حجاج الاشبيلي (أحمد بن مُجَّد عاش خلال القرن 5هـ/11م)، *المقنع في الفلاحة*، تحقيق: صلاح جرار، جاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، 1982م.
30. ابن حزم (أبو مُجَّد علي بن أحمد الظاهري، ت456هـ/1063م)، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
31. ابن حمديس (عبد الجبار ت527هـ/1133م)، *ديوان ابن حمديس*، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت.
32. ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن مُجَّد، ت241هـ/855م)، *مسند الامام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج28، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.
33. ابن خلدون (أبي زكرياء يحيى، ت780هـ/1378م) *بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد*، تقديم وتحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980م.
34. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن مُجَّد، ت808هـ/1406م)، *المقدمة*، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
35. ----، *ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تحقيق: خليل شحادة، سهيل زكار، ج6، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.
36. ابن خلكان (شهاب الدين أبو العباس، ت681هـ/1282م)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، ج5، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
37. ابن رزين التجيبي (ت692هـ/1293م)، *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان*، طباعة وخدمات بهداشتي، ايران، 1388هـ.
38. ابن رشد الجد (أبو الوليد مُجَّد بن أحمد القرطبي، ت520هـ/1126م)، *فتاوى ابن رشد*، ج2، تحقيق: المختار التليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م.
39. ابن رشد الحفيد (مُجَّد بن أحمد بن مُجَّد بن أحمد، ت595هـ/1198م)، *البيان والتحصيل*، تحقيق: مُجَّد حجي، ج9، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988م.
40. ابن زهر (أبي مروان عبد الملك ت557هـ/1162م)، *الأغذية*، تحقيق: مُجَّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
41. ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى، ت685هـ/1286م)، *بسط الأرض في الطول والعرض*، تحقيق: خوان قرنيط خينيس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.
42. ----، *كتاب الجغرافيا*، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

43. ابن سلام (أبي عبيد القاسم، ت224هـ/837م)، كتاب السلاح، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
44. ابن سينا (الحسين بن علي، ت428هـ/1038م)، القانون في الطب، تحقيق: مُجَّد أمين الضناوي، ج1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
45. ابن عابدين (مُجَّد أمين عبد العزيز، ت1252هـ/1836م)، رد المختار على الدر المختار، دار احياء التراث العربي، ط2، بيروت، 1987م.
46. ابن عباد (مُجَّد بن إبراهيم الرندي، ت792هـ/1390م)، الرسائل الكبرى، مطبعة المعلم العربي الأزرق، فاس، 1320هـ.
47. ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله، ت242هـ/856م)، رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق: ليفي برونفسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1946م.
48. ابن عبدون التجيبي (مُجَّد بن أحمد، توفي في منتصف ق6هـ/12م)، رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق: ليفي برونفسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1946م.
49. ابن عذاري (أبو العباس أحمد المراكشي، كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين - تحقيق: مُجَّد ابراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م.
50. ابن قدامة (موفق الدين أبي مُجَّد عبد الله، ت620هـ/1223م)، المغني، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، عبد الفتاح الحلو، ج6، دار الفكر، بيروت، 1997م.
51. ابن قزمان (أبو بكر مُجَّد، ت555هـ/1160م)، ديوان ابن قزمان، تحقيق: فيديريكو كورينتي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995.
52. النويري (شهاب الدين أحمد، ت733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: علي بوملحم، ج8، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
53. ابن مرزوق (أبو عبد الله مُجَّد التلمساني، ت781هـ/1379م)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
54. ----، المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008م.
55. ابن مريم (أبو عبد الله أحمد الملبّي التلمساني، كان حيا سنة 1014هـ/1401م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه مُجَّد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر.

56. أبو حمو (موسى الثاني الزياني ت 791هـ / 1389م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق: محمود بوترة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.
57. أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن ت 665هـ / 1266م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزبيق، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.
58. أبي الخير الاشبيلي (عاش خلال ق 6هـ / 12م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق: مُجَدِّ العري الخطابي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1995م.
59. ---- كتاب في الفلاحة، المطبعة الجديدة، دب، 1357هـ.
60. أبي الفداء (عماد الدين إسماعيل ت 732هـ / 1331م)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850م.
61. اخوان الصفا وخلان الوفا، رسائل اخوان الصفا، مكتب الاعلام الاسلامي للنشر، طهران، د ت.
62. الإشبيلي (بكر بن إبراهيم، ت 575هـ / 1179م)، التسيير في صناعة التفسير، تحقيق: عبد الله كنون، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مج7 و8، مدريد، 1959-1960م.
63. الأنطاكي (داود عمر، ت 1008هـ / 1600م)، بغية المحتاج في الجرب من العلاج، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995م.
64. الأنصاري (مُجَدِّ بن القاسم السبتي، ت 861هـ / 1457م)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، د ن، الرباط، 1983م.
65. البادسي (عبد الحق بن اسماعيل، كان حيا سنة 722هـ / 1323م)، المقصد الشريف والمنزح اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م.
66. البرزلي (أبي القاسم بن أحمد، ت 841هـ / 1438م)، فتاوى البرزلي، تحقيق: مُجَدِّ الحبيب الهيلة، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م.
67. المقرئزي (تقي الدين أحمد، ت 845هـ / 1442م)، درر العقود المفيدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج2، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م.
68. البكري (عبيد الله، ت 487هـ / 1094م)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت.
69. بن قتيبة (أبي مُجَدِّ عبد الله بن مسلم، ت 276هـ / 889م)، كتاب الأشربة (وذكر اختلاف الناس فيها)، تحقيق: ياسين مُجَدِّ السواس، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1999م.

70. بن منكلي (مُجَّد)، الأدلة الرسمية في التعايي الحربية، تحقيق: محمود شيث خطاب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1988م.
71. البيذق (أبي بكر بن علي الصنهاجي، ت 555هـ/1160م)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية الرباط، 2004م.
72. ----، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
73. البيروني (أبو الريحان مُجَّد بن أحمد، ت 440هـ/1048م)، الجماهر في معرفة الجواهر، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1984.
74. ----، الصيدنة في الطب، مركز نشر طهران، إيران، دت.
75. التجاني (أبو مُجَّد عبد الله، ت 717هـ/1317م)، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا، 1981م.
76. التجيبي، اختصارات من كتاب الفلاحة، تحقيق: أحمد الطاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
77. التميمي (مُجَّد بن أحمد بن سعيد، ت 390هـ/1000م)، طيب العروس وريحان النفوس في صناعة العطور، تحقيق: لطف الله قاري، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م.
78. التنسي (مُجَّد بن عبد الله الحافظ، ت 899هـ/1494م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان، تح: محمود بوعبيد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.
79. الثعالبي (أبي منصور عبد الملك، ت 429هـ/1038م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: مُجَّد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، 1985م.
80. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت 255هـ/868م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م.
81. ----، الرسائل، مجلد 3، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 1964.
82. الجزنائي (علي، كان حيا عام 766هـ/1365م)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، ط2، الرباط، 1991م.
83. الحكيم (علي بن يوسف، عاش في القرن 8هـ/14م)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1958م.
84. الحموي (ياقوت شهاب الدين، ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج5، دار صادر، بيروت، 1977م.

85. الحميري (مُجَّد بن عبد المنعم، ت 866هـ/1461م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984م.
86. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، ت 1067هـ/1656م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
87. الخوارزمي (مُجَّد بن أحمد بن يوسف، ت 387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
88. الدكالي (مُجَّد بن علي)، الاتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تحقيق: مصطفى بوشعراء، ط2، الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، 1996م.
89. الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي، عاش خلال القرن 6هـ/12م)، الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تقديم: محمود الأرنؤوط، دار صادر، بيروت، 1999م.
90. الداودي (أبي جعفر أحمد بن نصر، ت 402هـ/1011م)، كتاب الأموال، تحقيق: مُجَّد رضا سالم شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.
91. الزجالي القرطبي (أبي يحيى عبيد الله)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: مُجَّد بن شريفة، القسم الثاني، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، د ب، د ت.
92. الزركشي (مُجَّد بن إبراهيم بن الولد، عاش خلال ق 9هـ/10م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح : مُجَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
93. الزمخشري (أبي القاسم جار الله، ت 538هـ/1143م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمود باسل عيون، ج2، دار الكتب العلمية بيروت، 1998م.
94. السقطي (أبي عبيد الله مُجَّد، ت 616هـ/1216م)، في آداب الحسبة، تحقيق: ج. س، ليفي برونفسال، دن، باريس، 1931م.
95. الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم، ت 790هـ/1388م)، فتاوى الامام الشاطبي، تحقيق: مُجَّد ابو الأجنان، نصح لواز، تونس، ط2، 1985م.
96. الادريسي (أبي عبد الله مُجَّد الشريف، ت 560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
97. الشيزري (عبد الرحمن بن نصر، ت 590هـ/1194م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.
98. الصولي (أبي بكر مُجَّد)، أدب الكتاب، تحقيق: مُجَّد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1341هـ .

99. الطرسوسي (مرتضى بن علي، ت 589هـ/1193م)، تبصرة أرباب الألباب في كيفية من الحروب، تحقيق : كلود كاهن، بيروت، 1948م.
100. الطرسوسي (أبو بكر، ت 520هـ/1126م)، سراج الملوك، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، 1412هـ
101. العبدري (مُجَّد، ت 720هـ/1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، 2005م.
102. العسقلاني (ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد، ت 852هـ/1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
103. العقباني (أبو عثمان سعيد أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد التلمساني، ت 871هـ/1467م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، دن، دب، 1967م.
104. العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد ، ت 749هـ/1348م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: مُجَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
105. -----، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
106. الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد، ت 704هـ/1304م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق : عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
107. الغزالي (أبو حامد مُجَّد بن مُجَّد، ت 505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.
108. الفارابي (أبي ابراهيم إسحاق)، معجم ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، ج1، مؤسسة دار الشعب للطباعة، القاهرة، 1974 م.
109. الفارابي (أبي نصر مُجَّد بن مُجَّد ت 339هـ/950م)، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ت.
110. الفراهيدي (الخليل بن أحمد، ت 173هـ/789م)، العين، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
111. القزويني (زكرياء، ت 682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت.
112. القلوسني (أبو بكر مُجَّد، ت 707هـ/1307م)، تحف الخواص في طرف الخواص، تح: حسام أحمد مختار، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 2007 .

113. القلقشندي (أبي العباس أحمد، ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج2، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1913م.
114. الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير بن هاشم، عاش في ق13هـ/19م)، سلوة الأنفاس ومحاذة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: الشريف مُجَّد الكتاني، دن، دب، د ت.
115. الكندي (أبو يوسف يعقوب بن اسحاق، ت 256هـ/873م)، رسالة في اللحون والنغم، تحقيق: زكريا يوسف، دن، بغداد، 1965م.
116. المازوني (أبو زكريا يحيى المغيلي، ت883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: مختار حساني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
117. مالك (ابن أنس، ت 179هـ/795م)، الموطأ، صححه ورقمه وعلق عليه: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
118. الماوردي (علي بن مُجَّد ت 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.
119. مارمول كارفخال، افريقيا، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م.
120. مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمينة، إصدار ليفي برونفسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.
121. رسائل موحدية، تح: أحمد عزاوي، ح1، منشورات كلية الآداب، القنيطرة، 1995.
122. مجهول، (مؤلف مراكشي من أهل القرن 6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت.
123. مجهول أندلسي (كان حيا سنة 783هـ/1381م)، الحلل الموشية في أخبار في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
124. مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، ج1، مدريد، 1983م.
125. مجهول، زهر البستان، في دولة بني زيان، تحقيق: بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
126. المجلدي (أحمد بن سعيد، ت 1094هـ/1683م)، التسيير في أحكام التسعير، تحقيق: ليفي بروفينسال، الجزائر، 1970م.
127. المراكشي (عبد الواحد، ت 647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: مُجَّد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1963م.

128. عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت
129. المطرني (أحمد بن حميدة)، تدبير السفير في صناعة التسفير، تحقيق: عبد العزيز بنموسى، دن، دب، 2012م.
130. المعز بن باديس (التميمي الصنهاجي)، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق: نجيب مايل الهروي، عصام مكية، نشر مجمع البحوث الاسلامية، إيران، 1409هـ.
131. المقدسي (مُجَّد بن أحمد البشاري، ت 378هـ/988م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
132. المقري (أبو العباس أحمد بن مُجَّد القرشي التلمساني، ت 1041هـ/1615م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: سعيد أعراب، عبد السلام الهراس، ج5، مطبعة فضالة، المحمدية، 1980م.
133. ----، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988م.
134. الناصري (أحمد بن خالد السلاوي، ت 1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، أحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م .
135. النميري (ابن الحاج، ت 678هـ/1366م)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990م.
136. النووي (أبو زكرياء محي الدين بن شرف، ت 676هـ/1277م)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 2007م.
137. الهمداني (الحسن بن أحمد ت 345هـ/956م)، كتاب الجوهرتين العقيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة)، تحقيق: أحمد فؤاد باشا، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.
138. الونشريسي (أبو العباس أحمد بن أحمد بن يحيى، ت 914هـ/1511م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس، ج8، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م.

ثانيا : المراجع

أ/ الكتب :

1/ الكتب باللغة العربية :

1. إبراهيم مُجَّد عبد الله، ترميم التحف الفخار والزجاج والقشاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 2012م.
2. أبو رحاب مُجَّد السيد، المدارس المغربية في العصر المريني دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011م.
3. أبو ربة عطا ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005م.
4. أبو ضيف مصطفى أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية من الفتح العربي إلى سقوط الدول المستقلة، دار النشر المغربية، المغرب، 1986م.
5. أبو مصطفى ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982م.
6. إدريس روجي، الدولة الصنهاجية، ترجمة حماد الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992.
7. اسطفيان كجه جي صباح ، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، دن، دب، 2002م.
8. أسكان الحسين، الدولة والمجتمع في العصر الموحد، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010م.
9. باشا حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، مصر، 1979م.
10. بروديل فرنان، المتوسط والعالم المتوسطي، تر: مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت، 1993م.
11. بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني زيان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م.
12. بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2001م.
13. البلتاجي صابر عبد المنعم، النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، دب، دت.
14. بلعرج عبد العزيز، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان، دار الملكية، الجزائر، 2007م.
15. بلوم جوناثان ، قصة الورق تاريخ الورق في العالم الاسلامي قبل ظهور الطباعة، تر: أحمد العدوي، دار أدب للنشر والتوزيع، الرياض، 2021م.

16. بن تاويت مُجَّد، تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982.
17. بن عبد الجليل عبد العزيز، الموسيقى الأندلسية المغربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.
18. بن قرية صالح، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
19. بن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.
20. بنمليح عبد الإله، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2004م.
21. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ج1، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
22. بوروية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1977.
23. الجبوري يحيى، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1989م.
24. الجعماطي عبد السلام، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
25. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مكتبة النهضة، بغداد، 1976م.
26. الحاج قاسم محمود مُجَّد، البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الاسلامي، دار ماشكي للطباعة، العراق، 2020م.
27. حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياتي حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
28. حامد خليفة، فن الفخار في الفنون العربية الإسلامية، ج 3، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1997م.
29. الحريري مُجَّد عيسى، تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987م.
30. حسين طاهر راغب، تاريخ نقود دول المغرب من 441 إلى 982هـ، د ن، د ب، 1994م.
31. حسين مُجَّد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة، ليبيا، دت.
32. حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات زين، بيروت، 2009م.
33. حنفي عوض السيد، العمل وقضايا الصناعة في الاسلام، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1996م.

34. الخرازي بديعة، تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007م.
35. دهينة عطاء الله، الحضارة الجزائرية في عهد الزيانيين، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ (العهد الاسلامي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
36. الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في ق4هـ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1995م.
37. دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2012م.
38. رزوق محمد، الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، مطابع افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط3، 1998م.
39. رشدي صبيحة رشيد، الملابس العربية وتطورها في العهود الاسلامية، مؤسسة المطابع الفنية، بغداد، 1980م.
40. رفيق يونس، النقود في الاقتصاد الإسلامي، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، القاهرة، الشارقة، 2013م.
41. رية عطا علي، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة للطباعة والنشر، دمشق، 1999م.
42. الزعاري طه حسن، الصناعات والحرف في جنوب بلاد الشام، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2021م.
43. الزعفراني حاييم، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة، المغرب، 1987م.
44. زغروت فتحي، الجيوش الاسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، 2005م.
45. زكي عبد الرحمن، السلاح في الإسلام، دار المعارف، مصر، د.ت.
46. زهران محمد أحمد، فنون أشغال المعادن والتحف، مكتبة الأنجلو المصرية، د ب ، 1965م.
47. سالم سحر عبد العزيز، مدينة الرباط في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1996م.
48. سالم عبد العزيز ، العبادي أحمد مختار ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م.

49. سالم عبد العزيز صلاح ، روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2010م.
50. سنوسي يوسف ابراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، شركة سعيد رأفت للطباعة والنشر، مصر، 1986م.
51. سولر ألفارو، ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، تر: إسحاق عبيد، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، 2007م.
52. شاوش مُجَّد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011 م.
53. الشحات هيكل أحمد، يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مطبعة العمرانية للأوفست، مصر، 2007م.
54. شرف فاروق، فن النحت والاستنساخ، دار القاهرة، مصر، 2002م.
55. الشريف مُجَّد، سببته الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين)، ط2، منشورات جمعية تطاون، الرباط، 2006م.
56. الشيخلي صباح، الأصناف والمهن في العصر العباسي نشأتها وتطورها، بيت الوراق للنشر، بغداد، 2010م.
57. الطايش علي أحمد، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة (في العصرين الأموي والعباسي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000م.
58. الطمار مُجَّد، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
59. طه جمال، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2018م.
60. الطيار مُجَّد شعلان ، الفخار القديم والحرف، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2002-2003م.
61. ظاظا حسن، عاشور مُجَّد، اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، دار الاتحاد العربي للطباعة، دب، 1975م.
62. عبد الجواد ابراهيم رجب، معجم الملابس العربية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2002م.
63. عبد الحليم عبد المعز سمر، تجارة الدولة المرينية، د ن، الاسكندرية، 2019م.
64. عبد الخالق هناء، الزجاج الإسلامي في متاحف ومخازن العراق، د د، بغداد، 1976م.
65. عبد العليم أنور، الملاحاة وعلوم البحار عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
66. عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الاسلامي أنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، 1913 م.

67. عبد المنعم حمدي، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997م.
68. عثمان إسماعيل، عثمان تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.
69. العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994م.
70. علام عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المومن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971م.
71. علام محمد علام، علم الخرف، مكتبة الأنجلو المصرية، د ب، ج ت.
72. العلي زكية عمر، التزيق والحلي عند المرأة في العصر العباسي، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1976م.
73. عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الأندلس -العصر الأول، القسم الأول- ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
74. عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة، القاهرة، دار الوفاء، المنصورة، 1991.
75. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الاسلامية وما يعادها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، 1970م.
76. فروخ عمر، اخوان الصفا، منشورات مكتبة منيمنة، بيروت، 1953م.
77. فهمي عبد الرحمن، موسوعة النقود العربية وعلم النميات-فجر السكة العربية-، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1965م.
78. القادري بوتشيش ابراهيم، الاسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995م.
79. -----، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.
80. -----، المهمشون في تاريخ الغرب الاسلامي، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م.
81. -----، المغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.
82. -----، إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002م.
83. -----، إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي اسماعيل، مكناس، 1997م.
84. قحف منذر، الوقف الاسلامي تطوره إدارته وتميمته، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000م.

85. قطب أماني، النظم المالية بالمغرب الأقصى في عصر الدولة بني مرين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2022م.
86. قويدر مُجد علي أحمد ، التجارة الداخلية في المغرب الأقصى في عصر الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، دت.
87. القيسي ناهض عبد الرزاق ، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2008 م.
88. كريم عاتي الخزاعي، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2011م.
89. كوبرن أندرو وآخرون، حص الجبس تصنيعه واستعمالاته، ترجمة: بشير مُجد يوشع، شركة توب، د ب ، 1955.
90. لقبال موسى ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.
91. ----، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
92. لوتورنو روجيه ، فاس في عصر بني مرين، تر: نقولا زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1997م.
93. ---- فاس قبل الحماية، تر: مُجد حجي، مُجد الأخضر، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992
94. مارسيه جورج ، مدن الفن الشهيرة-تلمسان- ترجمة: سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة، 2004م.
95. ماهر سعاد مُجد، النسيج الاسلامي، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1977م.
96. ----، البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت.
97. ----، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1986م.
98. المحمودي أحمد، عامة المغرب الأقصى في العصر الموحد، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
99. مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين، د ن ، القاهرة، 1974م.
100. مرزوق مُجد عبد العزيز ، الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، د ت.
101. المريني عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1997م.
102. المصري مُجد عبد الغني ، أخلاقيات المهنة، مكتبة الرسالة الحديثة، مصر، 1986م.
103. مغار مولاي الحسن ، جوانب من الحياة السياسية للحرفيين خلال العصر المريني، ضمن كتاب الحرف والصنائع بالغرب الاسلامي، منشورات الزمن.
104. المقرري علي، الخمر والنبذ في الاسلام، رياض الريس للكتب والنشر، د ب، د ت.

105. المناصر مُجَّد عبد الحفيظ ، الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2000م.
106. المنوني مُجَّد، تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة مُجَّد الخامس، الرباط، 1991.
107. موسى عز الدين ، الموحدون في الغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دت.
108. مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، دت.
109. الميلي مُجَّد بن مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.
110. النخيلي درويش، السفن الاسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1974م.
111. نشاط مصطفى، جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م.
112. هدية محمود، اقتصاد النسيج في الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017م.
113. هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا، 1980.

2/ الكتب باللغة الأجنبية :

1. Alfryed bel, **Les industries de la céramique à Fès**, paris, Aleroux, 1918.
2. André Pacard, **Le maroc et l'artisanat traditionnel islamique dans l'architecture**, édition atelier 74, France, 1981.
3. Émile Bourry, **Traité des industries céramiques**, encyclopédie industrielle, paris, 1844..
4. Henri terrasse, **la grand masquée de taza**, les éditions d'art et histoire, paris, 1971.
5. Henri terrasse, **lamosque des Andalous à fés**, éditions d'art et histoire, Paris, 1942.
6. Lucien Golvin, **Recherches archéologiques à la Qal'a des BanûHammâd**, G.P. Maisonneuve et Larose, paris, 1965.
7. Quin, **la poterie**, librairie grand, paris, 1994.

ب/ المقالات

1 المقالات بالعربية

1. بابان زهراء ، تومي رفيقة ، المعادن المستعملة لصناعة الأدوات الجراحية في الحضارة الاسلامية خلال القرن 13م من خلال مخطوط ابن القف، مجلة الدراسات الأثرية، مج20، ع1، 2022م.
2. براهيمي فايذة، بن عاشور سالم، مراحل تطور الصناعة المعدنية وطرق تصنيعها، مجلة الفكر المتوسطي، مج08، ع02، 2019م.
3. بكر عمر مُجَّد ، الرخام في بلاد المغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة المنيا، ع24، 2019م.
4. بلعربي لخضر ، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزيانية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013م.
5. بن مُجَّد عبد المعطي ، المنظور الاجتماعي والاقتصادي للحرف والصناعات بمكة قبيل البعثة من خلال كتاب الفاكهي، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العدد26، 2016م.
6. بن نعمان إسماعيل ، البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي تقنية الطابية نموذجاً، دورية كان التاريخية، ع10، 2010م.
7. -----، الصناعة التقليدية للآجر والقرميد المقعر في بلاد الغرب الإسلامي، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، ع14، 2013م.
8. بوتشيش ابراهيم قادري ، السعيد مليح، الوقف العلمي بالمغرب الأقصى ودوره في تأسيس المدارس خلال ق 8هـ/14م، مجلة عصور الجديدة، ع12-13، 2013-2014م.
9. بوزاد فاطمة ، الأرحية المائبة بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مجلة مدارات تاريخية، ع2، 2019م.
10. بولقطيب الحسين، أسلوب الانتاج الحربي والتحول المعاق: حالة المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة شعيب الدكالي، ع2، المغرب، 1995م.
11. بونابي الطاهر ، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013م.
12. بونو سلفاتورى، العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وايطاليا في العصر الوسيط، ترجمة: عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، ع2، ليبيا، 1986م.

13. البياتي بان علي مُجَّد ، الثروة المائية في المغرب العربي منق 4-7هـ، مجلة التراث العربي، ع1، العراق، 2016م.
14. البيلي مُجَّد بركات ، مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان، مجلة المؤرخ المصري، ع3، جامعة القاهرة، 1989م.
15. جديد عبد الرحيم ، نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 11، 2017م.
16. حمود عامر حميد ، الأمراض والأوبئة وأثرهما على الحياة الاجتماعية لبلاد المغرب، مجلة الجامعة العراقية، العدد4، دت.
17. خالدي رشيد، نقود الدولة الزيانية (633-962هـ / 1236-1554م) دراسة تاريخية وفنية، مجلة كان، ع48، 2020م.
18. خربوش حنان، تشخيص الزجاج الأثري وطرق التدخل عليه-نماذج من المجموعة الزجاجية للمتحف الوطني سيرتا، مجلة الدراسات الأثرية، مج16، ع01، 2018م.
19. خضير صلاح الدين حسين ، ابن خلدون وآراؤه الاقتصادية في المعاش، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد1، العراق، 2009م.
20. خليف رفيق ، حرفيو السك النقدي في المغرب الزياني: أسرة بني ملاح أمموذجا (633-718هـ/1235-1318م)، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع04، 2013م.
21. راشد ريم مُجَّد ، الدور الثقافي والاجتماعي للأوقاف في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مجلة سر من رأى، ع64، 2020م.
22. رزيق فايزة، اكتشاف الزجاج وطرق وتقنيات صناعته قديما، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج10، ع02، 2021م.
23. زاهي مُجَّد ، دور الوقف الحضاري في تلبية حاجات المجتمع العلمية والثقافية في الدولة الزيانية ، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، ع 2، 2010م.
24. سويد نافذ، الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الاسلامية، مجلة التراث العربي، دمشق، دت.
25. السيد مُجَّد مصطفى ، طبخ السكر في مصر المملوكية، حوليات آداب عين شمس، مج46، ع يوليو-سبتمبر، مصر، 2018م.

26. شحادة كامل ، تاريخ الطاحون كمؤسسة اقتصادية، الحوليات الأثرية العربية السورية، مج 23، ج 2، 1، سوريا، 1973م.
27. الشكيل علي جمعان ، صناعة الأصباغ في الحضارة الاسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع32، دبي، 2001م.
28. الشويري ظاهر خير الدين ، الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، مجلد19، القاهرة، 1904م.
29. ضاري سناء زيدان، عدنان خلف كاظم، مصادر المياه وتأثيراتها على بيت المال في بلاد المغرب (627-982هـ)، مجلة ديالي، ع08، 2019م.
30. عبد الجبار حامد أحمد، صناعة العطور في العصر العباسي، مجلة التربية والعلم، مج19، ع3، 2012م.
31. عبد الفتاح محمود محسب وآخرون، آلة القانون وتاريخها، مجلة التربية النوعية، ع 09، 2019م.
32. عدالة مليكة ، الصناعة الغذائية في المغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع4، 2013م.
33. عزرودي نصيرة ، الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع 04، 2013م.
34. -----، الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع09، 2014م.
35. ----- ابتكارات مغرب أوسطية - فن صناعة الساعات خلال العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، 2017 .
36. العمدة إحسان صدقي ، الخبز في الحضارة العربية الاسلامية، حوليات كلية الاداب، ع12، 1992م.
37. غنيمة عبد الفتاح مصطفى السيد ، صناعة السفن ومعدات الملاحة عند العرب، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، ع42، 2000م.
38. فيلالى فاطمة ، النقود الموحدية-دراسة في الأنواع والقيمة، مجلة العصور الجديدة، مج 10، ع1، جامعة وهران، 2020م.
39. قرقوتي حنان، ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين، مجلة المدارة، ع4، 1430هـ
40. قومي مُجَّد، دور يهود توات خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، ع28-29، 2016م.
41. الكباجي نادية صباح ، علم الاجتماع الحضري عند ابن خلدون، مجلة آداب الرافدين، العدد51، العراق، 2000م.

42. الكوش عبد الرحيم ، دور الحرف في التزود بالأسلحة بالمغرب الوسيط، القسي نموذجاً، مركز جيل البحث العلمي، ع22، 2016م.
43. لكحل زهيرة، دور قبائل المغرب الأوسط في الصراع بين دول المغرب خلال القرنين (7-8هـ) بني توجين أنموذجاً، مجلة عصور الجديدة، مج 10، ع1، 2020م.
44. مبارك بشير، دور الأوقاف في التكافل الاجتماعي خلال العصر الوسيط، مجلة تاريخ المغرب العربي، مج 3، ع2، 2017م.
45. المسعودي فضل حسين، بنو جامع في عصر الموحدين، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، مج4، ع13، الجامعة الاسلامية، 2010.
46. معروف حفصة، المعارك البحرية في العهد الموحد، مجلة عصور، مج 12، ع1، 2013م.
47. مقورة سمية ، أثاث المنازل في الغرب الاسلامي من ق 4هـ الى ق10، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج17، ع01، 2021م.
48. نشاط مصطفى ، المغرب المريني وأزمة القرن14م/ 8هـ النقدية، مجلة أمل، ع3، الدار البيضاء، 1993م.
49. وجدان فريق عناد، فن التسفير في بلاد المغرب خلال العهود الاسلامية، مجلة التراث العلمي العربي، ع4، العراق، 2011م.
50. وناس زمان عبيد ، التنظيم الحرفي والجماعات الحرفية العاملة في مدينة مراكش خلال عصري المرابطين، مجلة الباحث، مج16، ع9، العراق، 2015م.

2/ المقالات باللغة الأجنبية :

1. Charles Brosselard, **les inscriptions arabes des tlemcen, mosquée oulad El-Imam**, in Revue africaine, N 15, 1859, r03
2. ----- **les inscriptions arabes des tlemcen, mosquée abou- al hasen ou bel- hasin**, Revue africaine, 3 anne, N 15, 1859.
3. Louis massignon, Islamic Guilds, Encyclopdia of social sciences, vol 7, new york. 1954
4. d. Jean Sauvaget, **introduction a l'étude de la céramique**, extrait e la revue des études islamiques, paris, 1966.

ج/ الملتقيات والندوات:

1. بوتشيش ابراهيم القادري ، الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، أعمال الندوة العلمية الموارد الطبيعية ببلاد المغرب في العصرين القديم والوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2010م.
2. الهلالي محمد ياسر ، أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى أواخر العصر الوسيط، مؤتمر حول المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2002م.

د/ المعاجم والموسوعات:

1. ابن سيده علي بن اسماعيل ، المخصص، سفر12، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
2. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج 9، دار صادر، بيروت، د.ت.
3. الأزهرى أبي منصور محمد، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد علي نجار، عبدالله درويش، ج 5، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.
4. الجرجاني علي بن محمد، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.
5. الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م.
6. الخازعي علي بن محمد، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعملات البشرية، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م.
7. الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ج 23، مطبعة حكومة الكويت، 1984م.
8. رزق محمد عاصم ، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، مصر، 2000م.
9. مجمع اللغة العربية، المعجم الكبير، مطابع يوزر يوسف، القاهرة، 2000م.
10. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.
11. محمود سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، ج 1، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1988م.
12. عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية، دار الشروق، بيروت، 1993م.

13. معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1984م .

هـ/ الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. الأعرجي نضال مؤيد ، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، 2004م.
2. بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف مبخوت بودواية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، 2013-2014 .
3. بصديق عبد الكريم ، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع مابين القرنين 6-9هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران 1، 2017/2018م.
4. بلعربي لخضر، الحرف في مدينة تلمسان على العهد الزياني، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2011-2010م.
5. بلمداني نوال، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2013-2014م.
6. بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2005م.
7. بن موسى جميلة، تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
8. بورملة خديجة، التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاسلامية ، جامعة وهران 1، 2017-2018م.
9. بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الاسلامي خلال القرنين 7-9 هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009-2008م.
10. بولعراس خميسي، فن الحرب بالغرب الاسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014م.

11. جديد عبد الرحيم ، تطور صناعتنا الجص والرخام في المغرب الإسلامي من ق5 إلى نهاية ق 9هـ، رسالة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018م.
12. جليل عقيلة ، الحزف الإسلامي بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 3هـ/ 9م و 9م/ 15م، أطروحة دكتوراه في علم الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017-2018 م.
13. حمزة عبد الصمد ، أهل الذمة في الدولة الزيانية، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والإسلامية ، جامعة وهران 1، 2017-2016م.
14. حميد آمنة حمزة، الصيادلة العشابون في الأندلس، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007م.
15. خالد رشيد، الحرف والصنائع بمدينتي تلمسان وفاس من ق7هـ إلى ق10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2021-2022 م .
16. خلدون مُجَّد وردات، مدينة مراكش دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة اليرموك، 1999م.
17. خليلي بختة، الفقر بالمغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة اسطبولي، معسكر، 2016-2015 م.
18. خيدة علي ، تطور صناعة الفخار الإسلامي في المغرب الأوسط من القرن 1هـ/7م إلى القرن 9هـ/15م، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015-2016م.
19. دندان مُجَّد الأمين ، الزليج الزياني في القرنين 13-14م/ 7-8هـ (دراسة فنية للزليج المكتشف في حفريات المشور(2008-2009)، مذكرة ماجستير في علم آثار المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2013-2014م.
20. رزقي نبيلة، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الاوسط و الأندلس (ق 7-8 هـ / 13-14 م)، رسالة دكتوراه في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2014-2015م.
21. الزغلول جهاد غالب مصطفى ، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة، ، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.
22. ساري صالح خالد مُجَّد ، الفخار الأيوبي والمملوكي في بلاد الشام، رسالة ماجستير في الآثار، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 1979م.

23. سالم مصطفى، الاستحكامات العسكرية الموحدية في بلاد المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2017-2018م.
24. سحنون توفيق ، تنميط الخزفيات الإسلامية للمغرب الأوسط من خلال المجموعات المتحفية الجزائرية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2017، 2018م.
25. سعدان مُجَد، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من ق 7 الى ق9هـ، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015-2016م.
26. سماش سيد أحمد ، الموسيقى الأندلسية بتلمسان، رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أوبكر بلقايد، تلمسان، 2010-2009م.
27. سياب خيرة، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الاسلامي، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م.
28. شحات زاهية، الطب ببلاد المغرب في عهد الدولة الموحدية، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2014 - 2013م.
29. شرقي نورة ، الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2014م.
30. شرقي وردة، مدينة وهران خلال العصر الوسيط، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 2013-2012م.
31. شريد حورية ، تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2010م.
32. شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي الى نهاية دولة الموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2012-2011م.
33. شنيبة حسين ، الحسبة والمحتسب في الأندلس من الفتح الاسلامي إلى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر1، 2011-2012م.
34. الصوفي شذى بشار ، دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2004م.

35. طهير عبد الكريم ، التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين(ق5- ق7هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م.
36. طويلب عبد القادر ، الضرائب والمكوس ببلاد المغرب الاسلامي في عهد الموحدين والدويلات، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران 1، 2020-2021م.
37. طيان شريفة ، حلي المرأة وزينتها في المغرب الإسلامي القرن 4-6هـ /10-12م، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012م.
38. عاشور شفيقة، الزخارف بمحاربي المساجد في المغرب الأوسط (ق 5-8هـ/11-14م)، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2014-2015م.
39. عباس عبد الله، دور الوقف في الحياة الاجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الاسلامي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2015-2016م.
40. عباس قويدر، الجيش في العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2015م.
41. عبد الحميد فوزية مُجد نوح، البحرية الاسلامية في عهد المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، 1998-1997م.
42. عشي علي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة1، 2016-2017م.
43. علوي مصطفى ، تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من ق7- ق9هـ، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2014-2015 م.
44. عميار خليل، المشكلات المائية ببلاد المغرب في القرنين 8 و9هـ من خلال كتب النوازل، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2 ، 2014-2015.
45. عولمي مُجد لخضر ، الزخرفة المعمارية في عهد المرينين والزيانيين، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2012-2013م.
46. عياش مُجد، الاستحكامات العسكرية المرينية من خلال مدينتي فاس الجديد والمنصورة بتلمسان، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

47. غرداين مغنية ، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015-2016م.
48. غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
49. غومة سالم أبو القاسم ، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين 668/451هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الفتح ، ليبيا، 2004م.
50. -----، النظم الحربية في دولة بني مرين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2011، 2012 م.
51. فرشيشي رمزي، الطراز المعماري والفني لعمارة القصور بالمغرب الأوسط من العصر الزييري إلى نهاية العصر الزياني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2019-2020م.
52. كربوع مسعود ، النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي (من القرن الثاني إلى التاسع هجري)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة 1، 2017-2018م.
53. ----- نوازل النقود والمكايل والأوزان في كتاب المعيار للونشريسي- جمعا ودراسة وتحليلا، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012-2013 .
54. كرطالي أمين، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر2، 2017-2018 م .
55. مزدور سمية، المجامع والأوبئة في المغرب الاوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2008م.
56. مزيان عربية، الفنون المعدنية بتلمسان من العهدين الزياني و المريني الى نهاية العهد العثماني، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م.
57. معروف حفصة، دور الأسطول المغربي في النشاط الحربي والحركة التجارية في الفترة الممتدة من العهد الموحيدي الى القديوم العثماني لبلاد المغرب، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2، 2016-2017 م.

قائمة المصادر والمراجع

58. ناصري مُجَّد، الحرب والجمتمع بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي والوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليايس، سيدي بلعباس، 2020-2021م.
59. نشيطو حسين، علم المقاييس في المغرب الأوسط من بداية الفتح الاسلامي إلى نهاية القرن الثامن، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012م.
60. نميش سميرة، أهل الذمة ودورهم الحضاري بالمغربين الأدنى والأقصى (ق6هـ - ق10هـ)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018م.
61. نواري خولة، الحرف والصناعات ومنتجاتها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2018-2019م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرهان

مقدمة (أ-ي)

مدخل

أولاً : مفاهيم 17

أ. تعريف الحرفة 17

ب. تعريف الصناعة 18

ج. الحرف والصنائع في التراث الفكري الاسلامي 20

ثانياً : حدود الدراسة 26

أ. الإطار الجغرافي 26

ب. الإطار السياسي 28

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في الإنتاج الحرفي والصناعي

– مقومات وعوائق –

أولاً. العوامل الطبيعية 35

أ. الثروة المائية 35

ب. المواد الأولية 40

1. المعادن 40

2. الغطاء النباتي 48

3. الثروة الحيوانية 56

57	ج. الجوائح الطبيعية
61	ثانيا. العوامل البشرية
61	أ. نظرة المجتمع إلى الحرف والصنائع
66	ب. تنوع التركيبة السكانية
82	ج. الحروب
86	د. السياسة الضريبية

الفصل الثاني : الحرف والصنائع ذات الأصل النباتي والحيواني

92	أولاً. الحرف والصنائع الغذائية
92	أ. طحن الحبوب
95	ب. تحضير الخبز
98	ج. عصر الزيتون
99	د. صناعة السكر
101	هـ. الألبان ومشتقاتها
102	و. صناعة الحلويات
103	ز. تجفيف الفواكه
105	ح. صناعة الخمور
109	ثانيا. الحرف والصنائع النسيجية والخشبية
109	أ. الحرف والصنائع النسيجية
109	1. مراحل تصنيع المنسوجات
116	2. الصباغة
118	3. الوراقة
125	ب. المصنوعات الجلدية
125	1. الدباغة
127	2. الخرازة
129	ج. المصنوعات الخشبية

129	1. صناعة السفن
138	2. الأسلحة الخشبية
139	3. مصنوعات أخرى
141	4. الآلات الموسيقية
144	ثالثا. حرف وصنائع متنوعة
144	أ. صناعة الأدوية
148	ب. صناعة العطور
150	ج. صناعة الصابون
150	د. صناعة الشمع
151	هـ. صناعة المداد والحبر

الفصل الثالث : الحرف والصنائع المعدنية والترايبية والصخرية

155	أولا. الصنائع المعدنية
155	أ. سك النقود
170	ب. صناعة الحلي
175	ج. حرفة الصفارة
180	د. حرفة الحدادة
186	ثانيا. الصنائع ذات الأصل الترايبى والصخري
186	أ. صناعة الفخار والخزف
192	ب. حرفة البناء
196	ج. تصنيع الجص
200	د. تصنيع الرخام
204	هـ. صناعة الزليج
207	و. صناعة الزجاج
210	ز. تصنيع آلات التوقيت

الفصل الرابع : الحرف والصنائع - التنظيم والأدوار -

214	أولا : تنظيم ومراقبة الأسواق
214	أ. الأسواق وأنواعها
216	ب. جهاز الحسبة ووظائفه
231	ثانيا : أدوار الحرفيين والصناع
231	أ. الدور السياسي والعسكري
243	ب. الدور الاقتصادي والاجتماعي
257	ج. الدور الحضري والعمراي
267	خاتمة
271	الملاحق
291	قائمة المصادر والمراجع
320	فهرس المحتويات
325	ملخص الدراسة بالعربية
327	ملخص الدراسة بالانجليزية

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة بالعربية :

وقفت الدراسة على الواقع الحرفي والصناعي الذي شهدته بلاد المغربيين الأوسط والأقصى في الفترة المحددة من ق 6هـ إلى ق 9هـ /12م إلى 15م ، وذلك من خلال التطرق إلى أصناف متنوعة من الصناعات الموجودة في هذين الإقليمين والتعرف على تقنياتها ووسائلها الشائعة آنذاك، ومدى تأثير مستواها الانتاجي من ناحية الجودة والعدد بالظروف والعوامل المحيطة بها سواء كانت مقومات تحمل شحنات ايجابية تمد هذا المجال بكل ما يحتاج وتسير به تصاعديا، أو كانت معيقات وحواجز قد تعرضه للتراجع والانتكاس.

قام الحرفيون والصناع بالأدوار المنوطة بهم على أكمل وجه بتأمين ما يحتاجه المجتمع بمختلف أطيافه وطبقاته من غذاء وملبس ومسكن وعلم وأدوية وفنون وزخارف وغيرها، وأظهروا مهارات فنية وتقنية مدهشة تتناقلها الأجيال إلى اليوم ، مما جعل الحياه من خلالها تبعث في الأسواق والمدن والمصانع والورشات، وأن تتنبه السلطة الزمنية إلى ثقلهم وتحيطهم برعايتها من حيث التنظيم والمراقبة وكافة أشكال الدعم خاصة ما تعلق بالصناعات ذات الطابع المخزني .

كلمات مفتاحية : الإنتاج، الصناعات والحرف، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى، الأسواق، المجتمع .

Abstract:

The study examined the craftsmanship and industry in the regions of the Middle and Far Maghreb during the specified period from the 6th century AH to the 9th century AH / 12th to 15th century CE. It explored various types of industries in these regions, their techniques, and common methods at that time. It assessed their production levels in terms of quality and quantity, considering the surrounding conditions and factors, whether supporting elements driving the field forward or obstacles hindering its progress. Craftsmen and industrialists fulfilled their roles by providing society with various necessities such as food, clothing, shelter, knowledge, medicine, arts, and decorations. They demonstrated remarkable artistic and technical skills transmitted through generations to this day, making life vibrant in markets, cities, factories, and workshops. Authorities recognized their significance, providing regulation, to oversight, and support, especially for industries with a commercial aspect .

Keywords: Production , Craftsmanship, Industries, The Middle Maghreb, The far Maghreb, Markets Society.